



الجامعة الإسلامية

١٤١٩ هـ

١٩٩٩ م

العدد ٢٩

o b e i k a n d i . c o m

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم معالى رئيس الرابطة

يتسم العصر الحالى بالتغير السريع والحركة المستمرة ، وهذا يؤثر بصورة مباشرة على إيقاع الحياة ، فيجعل الأمم يتدافعون على دروبها . وقد زاد من وطأة هذا التدافع أنه ليس تدافعا بالأجسام ، ولكنه تدافع بالثقافة والعلم والتقانة والمعلومات وتفعيل الوقت . وأصبح ميزان الأمم لا يرجع فقط إلى سعة رقعتها أو عدد سكانها أو مقدار ثرواتها الطبيعية ، ولكن يرجع - بالدرجة الأولى - إلى ما تحوزه من علماء مبدعين فى مختلف المجالات ، لديهم المهارات اللازمة لاستثمار العلم والتقانة المعاصرة فى تقدم المجتمع ، ولديهم القدرة على اكتشاف علوم جديدة ومعارف حديثة يفتحون بها آفاقا للحياة أكثر رحابة وثراء ، ويرفعون بها درجة مجتمعاتهم فى ركب التقدم المعاصر .

ونجد من أهم سمات العصر الحاضر أن حيازة العلوم الحديثة والتقانة الجديدة لم تعد حكراً على العلماء والباحثين ، كما أنها لم تعد تنتظر طويلاً فى أدراك المعامل وطيأت أضايبير الباحثين ، ولكن سرعان ما تجد طريقها إلى التطبيق العملى فى حياة الناس وفى تنمية المجتمعات . فالأفكار والإبداع والاختراع ، أصبحت مفهومات عامة تشكل جزءاً من ثقافة الإنسان المعاصر فى الدول المتقدمة . وأصبحت الثقافة العملية والتقانية - على وجه الخصوص - من أهم مطالب الحياة المستبصرة . وهذا يفسر النهم العلمى التقانى المنتشر بين الأفراد والأمم المتقدمة ، كما يفسر استمرار اتساع الفجوة بين هذه الأمم والأمم المتخلفة . فمن يحوز معلومات أكثر ، ويعرف سبل تطبيق هذه المعلومات فى تطوير حياته يقطع خطى أوسع على طريق التقدم .

وقد ألقى هذا التغيير بسماته الثقافية والعلمية والتقانية والمعلوماتية على مجتمعاتنا الإسلامية مهمات ثقيلة أعباؤها ، ضخمة تبعاتها . وأصبح لزاماً على هذه المجتمعات أن تستقر طاقاتها الإبداعية لكي تحتل مكانها اللائق في خضم التقدم المعاصر ، وعبور فجوة التخلف التي تعاني منها في وقتنا الحاضر . فالتخلف حلقة من حلقات مسيرة الأمم حيث يعتربها المد والجزر والقوة والضعف . وكما أن للتخلف أسباباً فإن التقدم له أيضاً أسباب . ويأتي في مقدمة أسباب التخلف قى بلاد المسلمين التهاون فى الأخذ بسنن التقدم وفق تعاليم ديننا الحنيف .

فمن سنن التقدم فى ديننا الحنيف ، أن يأتى من داخل المجتمع وليس من خارجه ، فقد قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (١١) « سورة الرعد »

لذلك ، لا يرجى لأمة أن تتقدم بالاعتماد على استيراد مقومات التقدم من أمة أخرى . ولكن الأمم تصنع التقدم وتنهض باستثمار عوامله فيها بسواعد أبنائها ، وبما يتلاءم مع غاياتها وأهدافها ، وما يتفق مع عقيدتها ، ويتناغم مع أصول ثقافتها .

والحاصل أن مجتمعاتنا الإسلامية ، لم تعن العناية الكافية باستنبات عوامل التقدم فى داخل ديار المسلمين ، بما يتوحد به المشرب وتناسق معه الخطى وتتكامل به الإمكانيات ، ولكنها أخذت تبحث عن عوامله فى الخارج ، فأصبح التوحد - فى كثير من الأحيان - شتاتاً والتناسق اختلافاً والتكامل تفوقاً . وذلك بسبب اختلاف المشارب والأهداف والغايات فى الروافد الأجنبية.

ومن سنن التقدم فى ديننا الحنيف ، أن يؤدى المسلم فريضة طلب العلم لكى يظل المجتمع المسلم مواكباً لمستحدثاته . وآيات التدبير فى خلق الله والنظر إلى عجائب هذا الخلق تترى فى سور القرآن الكريم تحث المسلم على استمرار البحث والتنقيب عن مكنونات خلق الله فى السماوات والأرضين ، وصولاً إلى اليقين بقدره الخالق ، ووفاء بالاجتهاد فى سبيل الارتقاء بالأمّة . فقد قال النبى ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (أخرجه ابن ماجه) .

والمقصود بالنظر هنا ليس مجرد مد البصر ، ولكنه - أيضاً - البحث والدراسة والتحليل بالمنهج العلمى الدقيق ، وباستخدام تقانة العصر .

ومن سنن التقدم فى ديننا الحنيف ، أن أجر المسلم يتحقق بإحسانه لما يعمل ، فقد جعل الله تبارك وتعالى هذا الإحسان أساساً للمثوبة عليه :

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) ﴾ « سورة الكهف »

وقد قال الرسول الكريم ﷺ :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » .

« أخرجه أبو يعلى والحاكم وصححه »

وهكذا نجد العمل المتقن المؤسس على العلم النافع والتربية الرشيدة ، من أهم ركائز التقدم فى الإسلام . وهما كذلك فى عصرنا الحاضر أيضاً .

ومصادر العلم والتربية كثيرة ، فكل ما يمد الإنسان بخبرات جديدة هو مصدر من مصادر العلم ورافد من روافد التربية ، ولكن تظل دور العلم المتخصصة مثل الجامعات والمدارس ومراكز البحث والمؤسسات العلمية الأخرى

على رأس هذه المصادر . لذلك ، يتطلع الناس إليها لكي تقود المجتمعات إلى رحاب التقدم والرقى عن طريق تعليم العلم النافع ، والتثقيف الرشيد ، والتربية الهادفة .

والجامعات الإسلامية هي الأحق بالاضلاع بمهمات نشر العلم النافع ، وتربية أبناء المسلمين التربية الهادفة وتثقيفهم الثقافة الرشيدة ، وهي الأجدر بتحقيق سنن الإسلام فى تقدم المجتمعات الإسلامية بناء على الحاجة المعاصرة للأمة . بل يصبح هذا كله فرض عين على هذه الجامعات - كل فيما يختص فيه - حاجة الأمة لأن تتبوأ مكانها المناسب فى ركب الحضارة .

وبناء عليه ، يصبح من واجبات رابطة الجامعات الإسلامية التى تجمع فى عضويتها ثمانين عضواً من الجامعات الإسلامية ومؤسسات البحث العلمى والتعليم العالى ، أن تسهم فى إنجاز هذه المهمات عن طريق التعاون مع الجامعات الإسلامية الأعضاء لإحداث نهضة تعليمية وعلمية تواكب المستحدثات والمبتكرات ، وتنشر ثقافة إسلامية تتفاعل مع معطيات العصر ، وتحقيق تربية شاملة تنشى أجيالاً قادرة على المحافظة على وحدة الأمة وقيادتها فى خضم المتغيرات التى تترى على مسرح الحياة كل يوم ، قيادة تتحقق بها أهدافها .

كما أصبح من واجبات رابطة الجامعات الإسلامية - وغيرها من المؤسسات المماثلة - أن توفر مصادر مباشرة لتثقيف أبناء الأمة فى شئون دينهم وحضارتهم والمستجدات فى حياتهم . ولهذا طرق متعددة منها النهوض بالمناهج الدراسية وتنظيم المؤتمرات والندوات واللقاءات بين المتخصصين والمهتمين والعاملين فى مختلف مؤسسات المجتمع . وقد وفرت رابطة الجامعات الإسلامية من هذا الكثير ، ولا تزال تعمل على توافر المزيد منها .

إضافة إلى ما سبق ، فإن الرابطة تقدم إلى أبناء الأمة بعامة ومثقفها بخاصة مجلتها والجامعة الإسلامية التي تحتوى على باقة متنوعة من الدراسات والبحوث والتقارير والوثائق ، وصولاً إلى توفير مصادر بحثية رصينة لطلاب البحث العلمى ، وتوعية أبناء الأمة بالتحديات المعاصرة التي تواجه أمتهم ، وثقيفهم فى تراثهم وحضارتهم .

وفى هذا العدد « العدد التاسع والعشرون » حرصت الرابطة على تنوع موضوعاته وحدائتها والإسهام فى تجلية التراث الإسلامى ، إضافة إلى الاهتمام بالقضايا المعاصرة التي تواجه الأمة . فيجد القارئ الكريم - فى هذا العدد - فى مجال تجلية التراث بحثين : الأول عن الجوانب التربوية لفكر ابن خلدون ، والثانى عن آثار الزكاة على التنمية الاقتصادية ، والثالث عن المشاركة السياسية بين الديمقراطية والشورى . ويجد عن القضايا المعاصرة دراسات عدة إحداها عن السوق الإسلامية المشتركة ، والثانية عن التعليم فى الدول العربية فى ضوء المتغيرات العالمية والإقليمية ، والثالثة عن المعايير الطبية لتحديد الوقت الذى تتحقق به الوفاة ، والرابعة عن مهمات الأسرة فى تنمية التفكير الابتكارى للإناث .

كما تضمن هذا العدد من المجلة قسماً يلقى الضوء على نشاط الرابطة فى مجال الندوات والمؤتمرات ، ويستبين من هذا القسم أن الرابطة قد أولت اهتماماً خاصاً لدراسات المستقبل فنظمت مؤتمرات لدراسة التحديات التي يمكن أن تواجه العالم الإسلامى فى القرن المقبل . وما ينشر فى هذا العدد يخص المجالات الحضارية والتربوية والاجتماعية فقط ، وسوف توالى المجلة - بمشيئة الله - النشر عن بقية المجالات .

وإحساساً منا - نحن المسؤولين عن مسيرة الرابطة - بجسامة المهمات التي ينبغي أن تتحملها المؤسسات التعليمية ومنظماتها في مواجهة التحديد الكبرى التي أصبحت تهدد كيان عالمنا الإسلامي في الوقت الحاضر ، فإننا نهيب بجميع المؤسسات التعليمية بعامة والجامعات والمنظمات التي تجمعها بخاصة ، أن تشد العزم لدفع الأمة الإسلامية إلى مكانها اللائق في ركب التقدم .

فالطليعة هي المكان اللائق بأممتنا الإسلامية . هكذا كانت وهكذا ينبغي أن تكون ، بفضل الله ثم بجهد أبنائها الذين أعدوا الإعداد الذي يواكب متطلبات العصر ، والله المستعان .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رئيس رابطة الجامعات الإسلامية

عبد الله بن عبد المحسن التركي

القسم الأول
البحوث والدراسات الرئيسة

oboiKandl.com

السوق الإسلامية المشتركة

في إطار فكرة الوحدة الإسلامية

بقلم الدكتور / جعفر محمد السلام علي

تقديم

خطة البحث :

- ١ - عندما نعقد ندوة أو مؤتمرا بين المسلمين ، فلا شك أن هناك هدفا نسعى إلى تحقيقه من الندوة أو المؤتمر وعادة ما يكون هذا الهدف علميا يراد إلقاء الضوء عليه بتجميع عدد من العلماء والمتخصصين حوله يقومون بدراسته وتحليله من مختلف جوانبه ، ثم ينتهون إلى تسجيل النتائج التي يتوصلون إليها من دراستهم ، وعادة ما تكون هناك توصيات تحدد طرق إعمال النتائج في الممارسة العملية .
- ٢ - وكثيرة هي الاجتماعات والندوات والمؤتمرات وحلقات العمل التي تتم في مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، وكثيرة أيضا التوصيات والنتائج التي يتم التوصل إليها ، ولكن التطبيق - للأسف - هو ما يعوز أعمالنا المشتركة هذه .
- ٣ - ومنذ البداية أستطيع أن أوضح أن عديدا من الندوات التي نظمت وعقدت بين جنبات جامعة الأزهر قد وضعت كهدف ضروري واستراتيجي لها ، الوصول إلى السبل التي تعيد إلى المسلمين توحدهم ، هذه الأمة الواحدة التي تجمع بينها صلوات الدين ، والدم والتواجد في منطقة جغرافية مهما بدت متمسعة ومترامية ، إلا أنها مترابطة ، لقد تكونت ابتداء من القرن الثامن الميلادي الحضارة الإسلامية والدول الإسلامية وظلت تندفع بقوة لتحقيق غايات سامية لعدة قرون لعلنى لا أبالغ إذا قلت أنها استمرت حتى القرن الحالى مع الأخذ في الحسبان لمراحل عديدة من القوة والضعف مرت بها في هذه المسيرة الطويلة التي سارت بها حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن . وما هي عليه

الآن أمر يثير الأحزان ، ويدعو - فى نفس الوقت للسامل ، ويجعل العمل المشترك لتجاوزه ، من أزم الأمور التى يجب أن يسعى إليها كل مسلم غيور على دينه ، ويعرف ربه .

٤ - إننا نعيش فى إطار نظام عالمى جديد تشكل أو يتشكل منذ سنوات قليلة بعد أن انتهى فى التطبيق أحد النظامين الاقتصاديين والاجتماعيين ، الذى ساد لفترة طويلة وأوجد نظام الاستقطاب الدولى والحرب الباردة والانقسام الأيدلوجى ، أقصد النظام الشيوعى ، وبدأ العالم يصحو على تغييرات أظنها ستكون عميقة ، وكان من اللازم أن تكون لنا نظرة استراتيجية على ما حدث ويحدث لنساهم فى البنيان الجديد ، وفى التطوير الجديد بدلا من أن ننتظر ما عساه يحدث ، وما نواجه به كعرب وكمسلمين من القوى الأخرى الغالبة فى النظام الدولى الجديد .

٥ - هل أخالف الحقيقة إذا قلت أن التنظير لمستقبل أوطاننا الإسلامية ، ومستقبل أنظمتنا السياسية والاقتصادية هو أحد الأهداف الكبرى التى تبتغيها رابطة الجامعات الإسلامية من كل ندواتها ومؤتمراتها .

إننا نردد فى عديد من اجتماعاتنا ومؤتمراتنا أن السودان مثلا يمكن أن يتحول إلى منطقة لإنتاج الغذاء ، ليس للعالم العربى أو الإسلامى فحسب ، بل لكل العالم ، فتلك الملايين الكبيرة من أفدنة الأرض الصالحة للزراعة متروكة مهملة ، وهى تحتاج إلى استثمارات بعدد من المليارات المملوكة للمسلمين والمودعة فى بنوك أجنبية فى مختلف أنحاء العالم تتعرض للنهب المنظم وتقييد لحساب الدول أو الأشخاص فى حسابات يلتهمها التضخم وتثير لعاب الدول والأشخاص ، وتتعرض من ثم للنهب والسلب بشكل مباشر وبشكل غير مباشر .

إن الدروس التى نمر بها عديدة ، وهى كفيلا بأن تعلمنا أن هذه الأموال العربية مخطط لها أن تستهلك فى غير ما ينفع العرب والمسلمين . وأن أقرب هذه الدروس هو درس حرب الخليج ، فقد رأينا الكويت تدمر ، ورأينا العراق تدمر فى أيام قليلة ، وندفع نحن العرب والمسلمون ثمن هذا التدمير ، نستهلك الأسلحة التى مضى عليها الزمن ،

ونظف المخازن في أمريكا وأوربا ، ثم ندفع الأموال لتطوير الأبحاث لإنتاج أسلحة جديدة ، ففواتير الحرب من الأموال وصلت إلى أكثر من مائة مليار دولار أمريكي ، والهزيمة النفسية والاجتماعية والتباعد العربي والإسلامي أثمان فادحة أخرى تضاف إلى درس هذه النكسة ، والتحكم في المصير لعالمنا العربي والإسلامي من قبل القوى الأجنبية المتربصة بنا دائما ، أخطر النتائج وأكبر الدروس التي يجب أن نتعلمها من هذا الدرس القاسي الذي مر على حدوثه الآن عامٌ ونيف فحسب ، فهل آن الأوان أن نعتبر ؟

إنني أقدم هذه الورقة متناولا دراسة علمية لأحد السبل التي يجب أن نسلكها في طريق وحدتنا حتى لا يتحول الخطاب في مؤتمراتنا إلى خطاب سياسي يسجل الآمال ، ويستنفر الهمم ثم ما يلبث أن يخفت صوته ، ويزول أثره بعد وقت طال أم قصر ، إنني أريد أن أضع التنظير العلمي لإحدى المسائل التي لا شك أنها تشغلنا كمسلمين والتي لا يمكن أن يتم تجاهلها في مؤتمر هام كهذا المؤتمر ، ألا وهي مشكلة الوحدة والتكامل بين مختلف الأقطار الإسلامية ، ولو في أضعف صورها حيث أن الطموح ، ووضع آمال كبيرة دون أن تحقق شيئا منها يدفع إلى القنوط ، ويهزم الإرادة ، ويجعل الانطلاق إلى تجارب أخرى ، أمرا محفوفا بالمخاطر .

وسنقسم دراستنا إلى ثلاثة مباحث ، نعرض في المبحث الأول لفكرة السوق المشتركة ، وللمزايا التي تحققها ، ونتناول في المبحث الثاني عوامل التكامل بين الأقطار الإسلامية وكيف يمكن أن تؤدي إلى قيام السوق المشتركة ، ونتناول في المبحث الثالث سبل إقامة السوق المشتركة .

المبحث الأول

فكرة السوق المشتركة

تعرف « السوق » فى اللغة العربية بأنها موضع البياعات ، ويقال تسوق القوم إذا باعوا واشتروا .

وفى المعنى الاصطلاحي يعنى السوق المكان الذى يتم فيه التبايع بين الناس ، ويسوق العديد من علماء الاقتصاد تعريفات للسوق لا تخرج كثيرا عن هذا المعنى ، كالقول بأن السوق منطقة يتصل بها المشترى والبائعون إما بطريق مباشر أو عن طريق وسطاء لهم (١) .

أما السوق المشتركة فهى تعنى التكتل الاقتصادى الذى يقوم بين دولتين أو أكثر بهدف تحقيق المصالح الاقتصادية المشتركة بينهم وتتضمن تدابير لخفض أو إلغاء الرسوم الجمركية على التبادل التجارى بين الأعضاء واتباع سياسة جمركية موحدة تسرى على العلاقات التجارية بين الأعضاء والعالم الخارجى وبالجملة تتم إزالة العوائق التى تعترض انتقال رؤوس الأموال أو العمال بين الدول المتكتلة .

وفى تعريفات أخرى نجد من يقول بأن السوق مرحلة من مراحل التكامل الاقتصادى بين دولتين أو أكثر تلغى فيها القيود على التجارة وتنتقل عناصر الإنتاج من بلد إلى بلد آخر داخل بلاد السوق بكل حرية دون قيود أو حواجز ، وفى نفس الوقت ، تتبع دول السوق نظاما جمركيا واحدا فى التعامل مع العالم الخارجى كما لو كان هذا العالم يتعامل مع دولة واحدة .

كذلك القول بأن السوق المشتركة تعنى الوضع الذى يتحقق من خلاله انتقال السلع والخدمات والأموال والأفراد مع تقرير حق العمل لكل الأفراد من دول السوق .

ويمكن أن نستخلص من التعريفات السابقة بعض الخصائص الموحدة لفكرة السوق المشتركة وهى :

١ - أن السوق تمثل نوعاً من أنواع التكتلات الاقتصادية بين الدول المستقلة . لذلك فالسوق المشتركة تمثل علاقة دولية إذ تجرى فيها علاقات خارج الدولة الواحدة ، لذا يقوم بتنظيمها القانون الدولي .

٢ - إن هذا التكتل يعد على درجة ليست صغيرة من القوة ولكنه ليس دائماً نهاية المطاف بالنسبة للدول التي تريد التكتل ، لذا فقد تسبقه عمليات تكتل وقد تلحقه عمليات أخرى .

من ذلك أن الدول قد تقيم في البداية منطقة للتجارة الحرة ثم اتحاداً جمركياً ، ففي منطقة التجارة الحرة تلغى الرسوم والتعريفات الجمركية بين الدول الأعضاء ، لكن لا توضع تعريفات جمركية موحدة تطبق على معاملات كافة الدول مع العالم الخارجى . أما فى الاتحاد الجمركى فإن الدول تلغى الرسوم والتعريفات الجمركية بينها ، وتضع تعريفات جمركية مشتركة للدول الأعضاء تطبق فى معاملاتها مع العالم الخارجى ، لكن ذلك لا يمتد - كما هو الحال فى السوق المشتركة - إلى حرية انتقال عناصر الإنتاج والخدمات والمدفوعات وحرية التوطن والمنافسة ، وسياسة النقل والسياسة الاجتماعية (٢) .

ومن ناحية أخرى فإن السوق المشتركة لا تكون عادة نهاية المطاف بالنسبة لدول السوق ، وإنما هى تسعى فى النهاية من إقامة السوق إلى التكامل والاندماج الكاملين حتى تكون فى النهاية وحدة اقتصادية حيث تعمل الدول فيها من خلال أجهزة تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة فى المجال الاقتصادى ، وربما تتحول إلى وحدة سياسية .

٣ - تتضمن السوق بشكل رئيسى إلغاء القيود المفروضة على انتقال السلع والخدمات ومختلف عناصر الإنتاج وقيود تحويلات رؤوس الأموال والتكنولوجيا وكذلك الأفراد . لذلك تختفى تأشيرات الدخول ، وتسهل التجارة ويتعامل الأفراد فى داخل السوق كما لو كانت دولة واحدة .

٤ - وتتضمن كذلك التعامل مع العالم الخارجى من خلال تعريفات جمركية واحدة تفرضها على السلع المستوردة من دول العالم الخارجى وتحل هذه التعريفات محل التعريفات الجمركية الوطنية .

المزايا التي تحققها السوق المشتركة

تحقق السوق المشتركة ميزة التمتع بالسوق الواسع الذي تتداول فيه السلع والمنتجات لدول السوق في كل الأقاليم كما لو كانت إقليمًا واحدًا ، كما أنها تحقق مزايا تقسيم العمل بين كل دول السوق بما يؤدي إليه من الخفض في تكلفة المنتجات والتفوق في الإنتاج كذلك تحقق أفضل الأوضاع لمختلف عناصر الإنتاج في الدولة بتحريكها فيه بحرية واسعة ، وستتناول هذه العناصر بشيء من التفصيل :

(ولا : السوق الواسع :

إن الانطلاق إلى تكوين سوق على مستوى ٤٦ دولة إسلامية يوفر العديد من المزايا الاقتصادية لهذه الدول جميعها . هل نذكر هنا صيحة ألمانيا قبيل الحرب العالمية الأولى « التصدير أو الموت » . لقد عبرت هذه العبارة عن مشكلات الدول الصناعية والتي تزايدت بدون شك في العصر الحاضر ، فالإنتاج الصناعي يحتاج إلى الأسواق التي تستوعبه ويقدر ما يكون السوق مفتوحًا أمامها ، كلما ساعد ذلك المنتج على العمل والإنتاج (٣) .

وللأسف فإن أسواق الدول الإسلامية محدودة ، مما يؤدي إلى إحجام العديد من المنتجين عن الإقدام على إقامة مشروعات كبيرة خاصة في ظل تبعية العديد من هذه الدول ، إن لم يكن كلها ، للدول المتقدمة والتي تستأثر بأسواقها بشكل أو بآخر ، لذا عندما تنشأ السوق الواحدة ، فإن ذلك من شأنه تشجيع الإنتاج والنمو ، وتشجيع قيام سوق رأسمالية متطورة تساعد على استثمار رؤوس الأموال في المنطقة الإسلامية بدلا من الهرب بعيدا إلى حيث توجد فرص أفضل لشراء الأسهم والسندات والمشاركة في المشروعات الإنتاجية في الدول الغربية وأوروبا كما يحدث حاليا بالنسبة لأموال البترول العربي .

كذلك يؤدي اتساع السوق إلى تشغيل الطاقات الإنتاجية المتعطلة وزيادة الكفاءة الإنتاجية لها مما يؤدي إلى خفض التكاليف وخفض الأسعار بالتبعية الأمر الذي يتيح الفرصة واسعة أمام الدول الإسلامية لإنتاج سلع يمكن أن تنافس بها في الأسواق الدولية الأخرى .

ثانياً: التخصص وتقسيم العمل :

لا شك أن التخصص وتوزيع العمل هو أساس التفوق في الإنتاج في العصر الجديد، ومؤدى ذلك وجوب توزيع المشاريع الإنتاجية بين الدول الأعضاء على أساس ما تتمتع به كل منها من مزايا نسبية في الإنتاج بحيث تصبح هذه المشاريع أجزاء متكاملة في اقتصاد واحد، كما تستطيع المنافسة في الدول الأخرى، ويجب الحرص على أن يكون التخصص في إنتاج السلع أو المواد التي تتمتع في إنتاجها بالميزات الفعلية من حيث تكلفة الإنتاج ودرجة الجودة وتوفر الإمكانيات المادية والبشرية فيها.

ويؤدى هذا التقسيم إلى أن الدولة يمكنها أن تشتري السلع من السوق بسعر أقل من تكلفتها لديها، كما أنها ستتفوق في إنتاج نوعيات من السلع وتقل تكلفة هذا الإنتاج لديها عن باقى دول السوق، بما يؤدى إليه ذلك كله من فائدة للأفراد في كل أجزاء السوق.

كذلك فإن التخصص داخل مجموعة دول السوق مجتمعة لا يضيع الفائدة من قلة التكلفة إذ لن تكون هناك منافسة تؤدى إلى الخسارة.

وواقع أن الدول الإسلامية قد طبقت هذا المبدأ في عصر الازدهار، حيث ظهر التخصص بين مدنها الكبرى، حيث ظهر القماش الدمشقى والمشغولات المصرية والسجاد العجمى، وتفوقت عواصم أخرى لأقاليم الدول الإسلامية في صناعات الصابون والعمود وثالثة في الحرير ورابعة في الأسلحة والأواني والأثاث وهكذا.

وإذا كانت الأمور قد تغيرت الآن لأسباب كثيرة بحيث لا يمكن أن يعود التخصص وتقسيم العمل الذى ساد في الماضى، إلا أنه يمكن أن يعود بشكل جديد بحيث يتم توزيع التخصصات على ضوء توافر المواد الخام بشكل أكثر كثافة في إقليم معين.

ثالثاً: تحقيق تنمية الدول الإسلامية :

يؤدى قيام السوق المشتركة إلى الإسراع بخطى التنمية لدى رأس المال والخبرات الفنية المتنوعة، فضلاً عن المنظمين والمواد الخام .. إلخ، وإذا كان من الصعب أن تتواجد هذه العوامل في مكان واحد، فإن إقامة السوق المشتركة سينتج استفادة كل بما لدى الآخر

من عوامل . حقيقة ربما لا تكفى الموارد الموجودة لدى الدول الإسلامية لدفع عجلة التنمية فى كافة المجالات ، ولكن التعاون فى إطار السوق سيقفل إلى حد كبير حجم ما تحتاج إليه الدول فى مجموعها من تكملة ، كما سيطور الموجود ليغضى الاحتياجات ، فمض الجهود المشتركة للعمل والإنتاج يضيف إلى القائم ويغنى عن الكثير .

وقد اهتمت الجمعية العامة بقضية تنمية الدول النامية من خلال التعاون بينهما ، فقد ورد باستراتيجية التنمية التى تضمنها العقد الثالث ١٩٧٠ - ١٩٨٠ وجوب إنشاء وتشجيع جمعيات المنتجين الدولية وضرورة قيام تعاون كبير بين الدول النامية ، وتقوية الروابط الوجدية بينها سواء على النطاق الدولى أو الإقليمى .

كذلك توجد قضايا مشتركة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار فى المساعدات الدولية سواء عن التجارة ، أو عن طريق تقديم المساعدات المالية والفنية ، ولا يمكن أن تتحقق إذا وقفت الدولة النامية - وكل الدول الإسلامية تصنف فيها - هذا الموقف المنفرد الذى يجعلها كالأغنام الهائمة تفترسها الذئاب يوما من بعد يوم فإذا تحددت وتقوت ، استطاعت أن تواجه هذه الذئاب وتوقف زحفها عليها .

والواقع أن تخلف الدول النامية ينتج من تخصصها فى إنتاج مادة واحدة من المواد الأولية منها زراعية ، أو استخراجية تقوم بتصديرها كما هى ، كما أن هذه المادة تتركز تجارتها فى سوق خارجى واحد ، ومن ثم يتحكم السوق فى تحديد أثمان هذه المادة ويؤدى ذلك إلى نتائج وخيمة ، مثل ارتفاع نسبة عامل التجارة الخارجية إلى رأس المال القومى ، وتغشى مظاهر السيطرة النقدية على كل قطاعات الإنتاج . لذا لابد أن تتعاون معا لرسم السياسات الكفيلة بالاستفادة من مواردها الأولية تجاه العالم الخارجى ، ودعم التجارة البينية بين بعضها البعض فى نطاق هذه المواد وفى نطاق المواد المصنعة أيضا . وكذلك من السهل نقل التكنولوجيا بين الدول الإسلامية ، فلن تمر بالمتاعب التى تمر بها عند نقلها من الدول المتقدمة وكذلك فإنها ستستفيد من تجارتها المشتركة فى نقل التكنولوجيا بحيث لا تنقل إلا ما يناسبها منها .

المبحث الثاني

عوامل الوحدة والتكامل بين الاقطار الإسلامية

الواقع الحالي للدول الإسلامية :

١ - لم تكن الدول الإسلامية التي تتواجد الآن على الخرائط الدولية بشكل منفصل لكل حدوده ، ولكل حكومته وسيادته على هذا النحو منذ وقت طويل ، وإنما هذه الوحدات المنفصلة كانت جزءا من دول عالمية كبيرة سادت الأرض وحكمتها لمدة طويلة بدأت منذ القرن السابع الميلادي وظلت حتى السنوات العشرين الأول من هذا القرن ، على الأقل في الجزء الأكبر منها . ظلت دولة الخلافة الإسلامية قائمة تجمع بين المسلمين في هذه الرقعة الواسعة من قارة آسيا التي شهدت مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعثته ، ثم نشر دعوته في الجزيرة العربية ثم في مختلف أنحاء الأرض عندما قام خلفاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحمل الرسالة ، وجيوش المسلمين بنشر الدعوة بين أقطار وتجمعات عديدة ، أقبل أهلها على الإسلام بشغف ، وأثار الله قلوبهم وعقولهم لدينه ، وذلك في أقطار واسعة تمتد بين قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا ، العالم المعروف حينذاك حيث لم تكن أمريكا قد اكتشفت بعد .

٢ - ولكن حقائق العصر الذي نعيش فيه تقول بأن دولة الخلافة الإسلامية والتي انتقلت إلى العثمانيين في ظروف تاريخية معروفة منذ القرن الخامس عشر ، تفككت وصارت دولا عديدة منفصلة وربما مختلفة في أغلبها ، وتموج الساحة في كل دولة بأفكار عديدة تتصل بالسيادة وأصول الحكم ، ولكن الملاحظ أن اتجاهها قويا بكل دولة إسلامية لعلنى لا أغالى إن قلت أنه أمنية تحتية لمختلف الناس في كل هذه الدول بالعودة إلى الوحدة أو على الأقل بإيجاد قدر من التكامل والتنسيق بين مختلف هذه الوحدات التي انجرفت إلى التواجد في الشكل القومي الذي وجدت فيه الدول الأوروبية منذ بداية عصر النهضة وحتى الآن بدون إرادة واضحة في معظم الأحيان .

٣ - لقد آل إلى أوروبا - الحضارة والقوة الحديثة - حكم العالم فى العصر الحديث ، وتولت زمام قيادة مختلف الأمم والشعوب طوعا أو كرها وأصبحت مقدراتنا بشكل أو بآخر فى يديها ، وكان أن أضعفت الدولة الإسلامية وظلت تقبوض أركانها حتى الآن . وللأسف فإن السياسات الأوربية التى عملت على تقويض دولة الخلافة العثمانية لتحل الوثائق الذى كان يقى العالم الإسلامى شر الاندثار والتمزق ، لا زالت تؤدى دورها بين الدول المفككة لتمنع قيامها موحدة من جديد ولتحتاصر أى بادرة لتجمع يقودها إلى الوحدة والتكامل وتحقيق أسباب القوة .

٤ - وإذا كانت أوروبا خاضت تجربة مماثلة انتقلت بها من عصر الامبراطوريات إلى عصر القومية التى تقوم على السيادة والاستقلال لمختلف القوميات التى كانت تتشكل منها الامبراطوريات فإنها تعود الآن ويقوة إلى التوحد من جديد مع أن الخروج من القوميات إلى الشكل القومى كان لأسباب حتمية مرت بها هذه الدول ، كما أن التشكل فى الوضع القومى قد جعلها تحقق تقدمها المادى الحديث ، هذه الوحدة قلمليها ضرورات أكبر وتحديات أعظم وجدت فى السنوات الأخيرة من هذا القرن وجعلت العالم يتغير بسرعة كبيرة ، ربما يخطى أسرع من أى تغير آخر جرى فى العالم فى العصر الحديث تغيرا أبرز خصائصه أنه لا يعترف بغير الوحدات الكبرى ولا يعير التفاتا إلى الكيانات الصغرى ، إلا بمقدار ما يحقق مصالحه ، ويحقق أهدافه .

٥ - ونحن نناقش اليوم إحدى القضايا الهامة الخاصة بأمتنا ، وهى قضية الوحدة والتوحيد . كما قلت فالوحدة بين الشعوب الإسلامية هى أمنية لكل مسلم ، وهى كذلك ضرورة من ضرورات الحياة فى هذا العصر ، وهى كذلك السبيل الوحيد للتقدم والرقي وتحقيق الغايات التى وجد الإنسان المسلم من أجلها فى هذه الحياة .

فالدين الإسلامى الذى نؤمن به ، يقوم على ضرورة أن يكون المسلمون أمة واحدة ، تتراحم فيما بينها ، وتتعاون على البر والتقوى ، ويفرض أن يقود المسلمين خليفة واحد ، ولم يقبل فقهاء المسلمين تجزئة العالم الإسلامى ، واعتبروا الخروج على الخليفة بغيا ومروفا يجب أن يقاوم ، فهذه أمتنا أمة واحدة ، وأبونا واحد وإن زعم من زعم أننا لآباء ، ووطننا واحد وإن نجح الاستعمار بوسائله أن يجعله أوطانا .

٦ - وإذا نظرنا إلى خريطة العالم السياسية ، لا نجد دولا إسلامية يمكن أن يقال عنها أنها دولة كبرى بالمعنى الصحيح ، ولا نجد منها كذلك دولا متطورة بل هي جميعا من الدول النامية وإن اختلفت في مدى الغنى والفقير بينها ، كذلك لا نجد روابط وحدوية بينها سواء في المجال الاقتصادي أو في المجال السياسي ، وإن وجدنا روابط تنظيمية تقليدية بينها أهمها رابطة المؤتمر الإسلامي وما تفرع عنه من منظمات أخرى مثل البنك الإسلامي للتنمية ، ووكالة الأنباء الإسلامية ، وكلها للأسف منظمات ضعيفة تسير في إطار التنظيم المتوازي للعلاقات الدولية ، ولا تملك سلطات حقيقية تستطيع بها أن تلزم الدول على عمل شيء أو الامتناع عن عمل شيء .

الفكر الاتحادي الإسلامي

نستطيع أن نقول إن الوحدة هي أحد مقومات النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الإسلام ، بل لعلنا لا نغالي إذا قلنا إن هذا العامل يعد أهم العوامل في الفكر الإسلامي ، إذ تقوم عليه العقيدة والشريعة في آن واحد ، فالعقيدة الإسلامية تقوم على الوحدة ، فالله واحد ، وخلق كونا واحدا ، وخلق الإنسان من شخص واحد هو آدم ، وبنى الكون والطبيعة كلها على الوحدة والتناسق ، ولعل نظرية الوحدة في العقيدة والشريعة الإسلامية هي التي أوجدت الفكرة .

ولقد راعى مفكرو الإسلام ذلك جيدا ونادوا بفكرة الدولة الواحدة ، وأساس ذلك عندهم أن رسالة الإسلام قد وضعت لتبلغ إلى الناس كافة وأن الشعوب المختلفة عندما تدرك كنهها لا شك أنها ستؤمن بها ، إذ هي تتفق مع فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ويترتب على ذلك أن تتكون أمة إسلامية واحدة يحكمها قانون واحد وتخضع لخليفة واحد ، على الأرض الواحدة ولقد شرع الجهاد لتحقيق هذه الغاية ، ووضع المسلمون تقسيما للعالم المعروف وقتهم إلى دار إسلام ودار حرب والدار الأولى هي التي تخضع للسيادة الإسلامية والدار الأخرى هي ما عدا تلك من الديار ، وعلى المسلمين أن ينشروا دعوتهم في الديار الأخرى حتى تنعم بخيرات الإسلام أو أن يسمح حكامها بحرية العقيدة ، فيعم الإسلام الديار الأخرى . على تفصيلات واسعة يعرفها الفقه الإسلامي في دار الإسلام ودار العهد ، ودار الحرب^(٤) .

وحدة عنصر الشعب في الدولة الإسلامية

وإذا كانت الدولة الحديثة تقوم على وجود إقليم وشعب وحكومة ، فإن الدولة الإسلامية قد حرصت على وجود هذه العناصر فيها ، وإن كان لها نظرتها المختلفة إلى كل عنصر ، ويهمننا أن نبرز هنا موقفها من فكرة الشعب إذ يظهر منها بوضوح فقه أو فكر الوحدة .

تقوم الدول الحديثة على وجود الشعب ، وشعب الدولة هم الأفراد الذين يرتبطون بالدولة برابطة سياسية وقانونية ، ونظر إليهم - بوصفهم عنصرا في تكوين الدولة - على أنهم وحدة واحدة - فكما أن للدولة إقليما واحدا ، فإنه لها شعبا واحدا .

ووحدة شعب الدولة ، وحدة قانونية وليست لزاما أن تكون وحدة طبيعية ، لأنها تنشأ عن وحدة النظام القانوني المشروع بالنسبة للأفراد المكونين لهذا الشعب ، ومن ثم فإن الشعب يعتبر وحدة قانونية ولو ضم أفرادا من أصل مختلف يتكلمون لغات متباينة ويدينون بأديان مختلفة .

ويعتبر الفرد من شعب الدولة إذا أدرج ضمن النطاق الشخصي لمشروعية نظامها القانوني ، يحدد القانون الدولي مدى هذا النطاق الشخصي بطريقة غير مباشرة ، أي عن طريق تحديد إقليم الدولة .

ولا شك أنه كلما كان الشعب يمثل وحدة طبيعية كلما أدى ذلك إلى تفوقه وإلى جعل الدولة التي يكونها قوية ومتقدمة ، والعكس صحيح ، فالوحدة القانونية وحدها ليست كافية لجعل الشعب قويا متجانسا ، بل يجب أن يشمل إقليم الدولة شعبا متجانسا ، أي أمة ، وهو أمر يبدو صعبا خاصة في بداية تأسيس الدولة ، ويكشف لنا عن ذلك فوستيل دي كولانج صاحب المؤلف الهام « المدينة العتيقة » فهو يقول « لا ينبغي أن نجهل أن الشعوب الفطرية تحاول أمرا معضلا إذا أرادت إنشاء جماعات منظمة ، وأنه ليس من الهين إنشاء صلة اجتماعية بين مخلوقات شديدة التفرق ، كثيرة القلب ، مغالية في الحرية ، ولا بد لجمع كلمتها ، وتأسيس قواعد عامة فيها ، وتعويدها على السمع والطاعة لأمرها ، وإذلال هواها لعقلها ، وعقل فردا لعقل جمهورها ، من شيء أقوى من

القوة وأجل من المنفعة ، وأوثق من المذاهب الفلسفية ، وأثبت من العقود الملزمة ، شيء يصل إلى كل قلب ويأخذ بكل شغاف .

وهكذا كانت المشكلة صعبة أمام الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما أراد أن يكون دولة المدينة فليس الأمر يتصل بجماعات متنافرة لم تتعود على الخضوع لسلطة أو الالتفاف حول شخص فحسب ، بل أن الأمر يتصل بعناصر غير متجانسة ويقوم غير قومه ، ومنهم يهود ووثنيين ومنهم أيضا المسلمين من المهاجرين من مكة ، ومن الأنصار أهل المدينة .

فماذا حدث في المدينة ؟

لقد قام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعملية من أهم العمليات التي جرت في العالم ، وهى عملية المآخاة بين المهاجرين والأنصار ، وجعلهم أمة واحدة من دون الناس ، ثم كتابة هذه الوثيقة التي وضحت الحقوق والواجبات المتبادلة بينهم من ناحية ، وطبيعة العلاقة بينهم وبين العناصر الأخرى التي يتشكل منها شعب المدينة من ناحية أخرى والتي عرفت في التاريخ الإسلامى بالصحيفة .

بعبارة أخرى أقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - العلاقات بين المسلمين على أساس الإخاء والتكامل الاجتماعى ، ثم وادع اليهود وعمل على ترغيبهم على الدخول فى الدين الجديد ، باعتبار أنهم أصحاب كتاب ، وأنه خاتم المرسلين والأنبياء ، ويبدو أنهم كانوا يتطلعون إلى مبعث نبي جديد فى هذه الفترة كانت العلاقات بينهم وبينه فى هذه الفترة فى أزهر صورها ، وجلسوا إليه فى فناء منزل (دمنة بن الحارث) فى ظلال النخيل وهو يقرأ عليهم الصحيفة ، فماذا جاء بالصحيفة خاص بشعب الدولة الإسلامية ؟

قد يكون من المناسب أن نعرض لما جاء بهذه الصحيفة بخصوص العلاقة بين المسلمين بعضهم البعض ، ثم علاقاتهم باليهود باعتبار وجودهم مغه فى إقليم واحد ، هو يثرب .

كما أنه قد يكون من الأهمية بكان أن نفرق بين ما إذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أعطى اعتبارا لوجود عناصر وثنية مشتركة بين سكان المدينة ، وما هى

حقوقهم وواجباتهم قبل الرسول ومن معه لند على من يقولون بصعوبة قيام الوحدة بين الدول الإسلامية لوجود عناصر غير مسلمة فى هذه الدول .

ولا شك أن الصحيفة وهى من أقدم وثائق التاريخ الإسلامى تعد نقطة بدء فى عملية هامة ، تعد من أهم أحداث التاريخ ، لأنها عملية بناء للرجال ، وهى أشد أعمال البناء على الإطلاق ، لقد تعب الفلاسفة والحكماء وهم يتصورون مجتمعاً مثالياً يقوم على التألف والتآخى بين أفرادها فما نجحوا سوى فى الكتابة والتصور ، أما خلق أمة متجاسة قوية ، وتأسيس جماعة بهذه الروح التى عجب منها كافة من تصدى للكتابة فى التاريخ الإسلامى ، فهو أمر خص الله سبحانه وتعالى به نبيه - صلى الله عليه وسلم .

فماذا جاء بالوثيقة بهذا الخصوص ، وكيف كون الرسول - صلى الله عليه وسلم - شعب دولته ؟

جاء البند الأول من الوثيقة يقول :

« هذا كتاب محمد النبى ، رسول الله ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم .. أنهم أمة واحدة من دون الناس » .

وتعنى الأمة « الجماعة » ، وهى تعنى أيضاً الطريقة والدين . يقال فلان لا أمة له ، أى لا دين له ولا نحلة . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ كنتم خير أمة ﴾ أى كنتم خير أهل دين .

فهذا البند يبين بوضوح أساس الرابطة بين شعب الدولة الإسلامية فهو الإسلام والإيمان ثم الصلة العرفية بالنسبة لغير المسلمين والذى عبرت الوثيقة عنه بقولها « ومن تبعهم فلحق بهم » .

وتبدو أهمية هذه الرابطة إذا ما تذكرنا الرابطة التى كانت تربط بينهم من قبل . لقد كانت رابطة القبيلة بكل ما يترتب على ذلك من آثار وأهمها التفاخر والأنساب ، والنصرة فى الحق والباطل ، وعدم الخضوع لسلطة أو نظام ، لقد كانت الهمجية تسيطر عليهم ، وكان خلافاً هينا على أى أمر كفيل بإشعال حرب مستعرة وإقامة عداوة مستحكمة ، وثأراً يتوارثه الخلف عن السلف .

لذلك وصفت الحقبة التي عاش فيها العرب قبل الإسلام بالجاهلية ، وليس المقصود بالجهل هنا عدم العلم ، بل عدم الحلم ، ونذكر هنا بيتا شهيرا فى معلقة عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لذا غير الدين الإسلامى هذه الرابطة القبلية ، وأبدلها برابطة عينية ، قوامها المساواة بين كل الناس ، وعدم التمييز بينهم بسبب الجنس أو اللون ، أو الدين ، وإن كان الدين أساسا لتحديد أمور فى الدولة الجديدة .

بعبارة أخرى ، لم يعتبر الإسلام فى تكون الدولة الجديدة ، الجنسية ، أو العنصرية ولا حتى التوطن فى بلد معين ، وإنما وحد بين الجميع بالفكرة أو العقيدة التى يعتنقها الكل عن رضا وإيمان . وهكذا أسس الرسول - صلى الله عليه وسلم - الدولة على رابطة الأخوة الدينية ، قررت الأخوة الدينية بين المسلمين على أنها شأن طبيعى من شؤون المؤمنين يتحقق من تلقاء نفسه بمجرد الإيمان ويستتبع جميع آثاره من حقوق وواجبات . وقد غلبت أخوة الإيمان كل صلة سواها حتى صلة النسب فنسى الأخ أخاه . ويقول سبحانه وتعالى فى ذلك : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ . كما اصطلح بها المتخاصمون واجتمع عليها المتفرون ، فنسيت عدوات الجاهلية ، وأهدرت دماؤها وتراثها ، وأصبح المرء يجلس آمننا مطمئنا فى ملاء أو خلوة مع من قتل آباه أو أخاه وهو لا يخشى انتقامه ، ولا يتوقع أذاه .

كذلك كان شأن العقيدة الإسلامية فى العرب ، فقد ظهر الإسلام فى عنفوان تلك البعثة النفسية ، فأصاب بدعوته شاكلة القلوب ، ودانت له العرب ، فأصلح بينهم ، وجمع كلمتهم ، وحينئذ نفرؤا من البادية وانتشروا فى أقطار الأرض ، تنقاد لهم أعنة الأمم انقيادا يشبه المعجزات وأخرجوا للناس على حين غرة ، عددا كبيرا من الرجال الأكابر ومشاهير القادة ومؤسسى الملك .

الإخاء الإسلامى :

حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - على تحقيق ما جاء بهذه الصحيفة من أن المسلمين أمة واحدة ، وعمل فى سبيل ذلك بجهد كبير .

فقد حارب محمد - صلى الله عليه وسلم - العصبية الجاهلية وقال : « ليس منا من دعا إلى عصبية » ، واعتبرها نعمة جاهلية ، وقد بلغه أن بعض صاحبه غير آخر بأبيه ، فقال عليه السلام له « إنك امرؤ فيك جاهلية » ، وردا على سؤال لأحد أصحابه يقول فيه : أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - مفرقا بين المحبة والتعصب القبلي « ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ، إنما العصبية أن يعين قومه على الظلم » .

ونقرأ في ذلك كلمات لأستاذنا الشيخ أبوزهرة يقول فيها ،

« أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان وهو يعمل على إنشاء المدينة الفاضلة التي كانت الصورة المثالية التي كان يحلم بها الفلاسفة ولم يحددها ولم يستطيعوا تحقيقها ، رأى المسلمون قبائل شتى ، وأن العصبية لها بقايا في نفوس بعضهم ، فألف بينهم بعقد ، سمى في التاريخ الإسلامى بالإخاء ، فجعل كل رجل أخا لرجل يشاطره ماله وعيشه من غير أن تزول الملكية ، بل هو يفتضى الأخوة الإسلامية يعطى أخاه عن طيب نفس راضيا ، فأخى بين المهاجرين والأنصار ، وأخى بين الأنصار بعضهم البعض .

إن هذا الإخاء عملية فريدة في التاريخ الإنساني كله ، والغريب أنها تمت بشكل قانوني ، لقد دعا الرسول أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وأخذ يأخى بينهم كل باسمه ، ولم يستثن نفسه من القاعدة فأخى بينه وبين على ابن أبى طالب ، وتم هذا العمل بالشكل التعاقدى .

إن هذا العمل جعل من أهم معجزات الرسول - صلى الله عليه وسلم - إقامة تلك الأمة الواحدة المتجانسة ، ربما كظاهرة فريدة في العالم كله ، فقد تمكن - صلى الله عليه وسلم - فى خلال ثلاثة عشر عاما أن يهدى ثلاثمائة مؤمن ومؤمنة إلى الصراط المستقيم ، رغم الاضطهاد والقسوة التي لقيها من أعدائه ، لقد نفث فى صحابته من روحه القوية ، فأوجد ثلاثمائة روح قوية فتيية ، لم ينتزع ثقتها فيه لحظة واحدة ، ووقفت إلى جانبه على الرغم مما ذاقته من صنوف العذاب ، وفضلوا ترك الديار وركوب الصعاب ، وفراق الأهل على تركه والتخلى عنه .

يقول السير وليم موير المعروف بهجومه على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلى الإسلام ، واصفا هذه الظاهرة الفريدة في تكوين البشر : « فى وقت قصير كهذا ، انقسمت مكة حزينين متعادين بسبب ما جاء به محمد ، فانمحت الفوارق القديمة الأصل ، الموروثة ، فواصل العصبية والقبلية ، وأصبح هناك مؤمن وغير مؤمن ، وكان المؤمنون يتحملون صنوف الأذى والاضطهاد بصبر عجيب ، مفضلين الأذى على ترك دينهم العزيز ، لقد تركوا الديار والخلان والأموال وعبروا شطر الحبشة حتى تمر العاصفة ، ثم تركوا مع النبي بلدهم الذى يحبونه حتى الجنون تركوا كل هذا وهاجروا إلى المدينة ... » .

وفى المدينة حدثت نفس المعجزة بشكل أقوى ، لقد تصالحت قبيلتى الأوس والخزرج تحت لواء العقيدة الجديدة .

ولم تعد تلك الحروب المدمرة التى ظللتهم ردحا طويلا من الزمان تحدث بينهم ، وفتت كذلك عملية تاريخية ، عملية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

والواقع أن أغلبية المهاجرين مع الرسول ، كانوا يعيشون فى مكة فى بجموحة من العيش ، وها هم قد غادروا ديارهم ووفدا ضيوفا على المدينة ، فأخى النبي بينهم وبين الأنصار إخاء فريدا فى تاريخ العالم ، إخاء وفاء وإخلاص ، وأصبح لكل رجل من الأنصار أخ من المهاجرين يشاطره داره وماله وإبله وتجارته . وفى رأى كثير من المحللين ، كانت روابط الدم ، وقد كان الرجل إذا مات ، يرثه أخوه فى العقيدة لا فى الدم حتى حرم الله ذلك فى قوله تعالى :

﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ لقد استجاب المهاجرون والأنصار لدعوة الرسول للتآخى بينهم ، ومنذ ذلك اليوم أصبح كل مدنى له أخ مكى .

ومن الصعب أن نحاول التعبير بالألفاظ عن مقدار ما وصلت إليه من الإخلاص والسمو تلك الأخوة فى الله ، تلك الأخوة التى فاقت أخوة الدم لأنها ديانة سماوية ، فكل تلك القلوب التى تأخت فى حب الله لم تعد إلا قلبا واحدا قويا يخفق فى صدور عديدة ، كان كل أخ يحب لأخيه أكثر ما يحبه لنفسه .

لذا وصف المولى جل شأنه هذه الوحدة فى محكم آياته فقال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأذره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ .

ودعاهم إلى التمسك بهذه الوحدة بشدة وعدم التفريط فيها فى العديد من الآيات ، كقوله تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ .

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ ، ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ ، ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ .

كما أشار الله سبحانه وتعالى إلى تعدى هذه الظاهرة لحدود القدرة الإنسانية وإلى الطابع الإلهى فيها فى أكثر من آية : من ذلك قوله تعالى :

﴿ هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ .

وقد عنى القرآن الكريم فى آيات أخرى بالثناء على عناصر الأمة المسلمة بعد أن تم لها عملية التآخى من ذلك قوله تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا .. ﴾ .

والواقع أن هذا الإخاء هو أهم ما شد انتباه كل من كتب عن الإسلام وعن رسوله ، فهذا توماس أرنولد يصور هذه الظاهرة بقوله : « وقد جمعت فكرة الدين المشترك تحت زعامة واحدة شتى القبائل فى نظام سياسى واحد ، ذلك النظام الذى سرت مزاياه فى سرعة تبعث على الإعجاب ، وأن فكرة واحدة كبرى هى التى حققت هذه النتيجة تلك هى مبدأ الحياة القومية فى جزيرة العرب الوثنية » .

وهكذا كان النظام القبلى لأول مرة وإن لم يقض عليه نهائيا - شيئا ثانويا بالنسبة للشعور بالوحدة الدينية ، وكللت تلك المهمة الضخمة بالنجاح ، فلما انتقل محمد صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه ، كانت السكينة ترفرف على أكثر جزء من شبه الجزيرة العربية بصورة لم تكن القبائل العربية تعرفها من قبل ، مع شدة تعلقها بالتدمير وأخذها بالثأر ، وكان الدين الإسلامى هو الذى مهد السبيل لهذا الائتلاف .

كذلك أوضح الدكتور حسن إبراهيم - أهمية هذه العملية بقوله :

كان من أظهر آثار الإسلام أنه آخى بين المسلمين على اختلاف قبائلهم ومراتبهم ، وأحل الوحدة الوطنية محل الوحدة القومية ، فأصبحوا متساوين جميعا ، لا فرق بين السيد والعبد ، وغدوا كالبنيان المرصوص يشده بعضه بعضا ، وقد من الله على المسلمين بقوله :

﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم ﴾ « الأنفال من : ٦٢ ، ٦٣ » .

كذلك أوضح أن الوثيقة التى عرضناها قد وحدت بين جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم ، واستطاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل منهم أمة واحدة ألف الإسلام بين قلوبهم ، على أساس أن الأخوة الصالحة فى الدين مقدمة على غيرها من الصلات حتى صلة القرابة .

ولعل ذلك هو ما يفسر حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - على هذه الوحدة الوطنية وتحمله الكثير - هو شخصا - فى سبيل صيانتها ويقائها ، ونذكر هنا حادثتين فحسب للدلالة على هذا الحرص :

الحادثة الأولى: جرت بعد غزوة حنين ، فطبقا لقواعد الأنفال ، أعطى الرسول - صلى الله عليه وسلم - لسادات قريش من مال الغنيمة ، فأدى ذلك إلى تهامس الأنصار ، وجعلوا يتحدثون إلى بعضهم البعض ، وقال بعضهم « لقي والله رسول الله قومه » .

ولقد كان بإمكان الرسول أن يأخذ من قال ذلك بالشدة ، ولكنه استدعى الأنصار حتى يقضى على أى بادرة للفتنة أو للتأثير على البناء الضخم الذى أقامه ، ومن ثم دار بينه وبينهم حوارا يعد من أفضل وثائق الأدب السياسى والإنسانى .

قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : يا معشر الأنصار مقالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها فى أنفسكم .

قال الأنصار : منا من يقول ذلك ونحن نؤيده .

قال الرسول : ألم آتكم ضلالا ، فهداكم الله وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟

قال الأنصار : بلى والله ورسوله أمن وأفضل .

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : ألا تحببونى يا معشر الأنصار .

فقالوا : ويم تحببك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل .

وقال النبى : أما والله إن شئتم لقلتم ولصدقتم « أتيتنا مكذبا فصدقناك .. ومخذولا فنصرناك .. وطريدا فأوتيناك .. وعائلا فأسيناك » .

« أوجدتم يا معشر الأنصار فى العلالة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحابكم ، فوالذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت أمرا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار » .

وماذا نتوقع من تأثير لهذا القول على أفئدة وقلوب قوم مؤمنين ؟ لقد امتلأت قلوبهم بالفرحة وغاصت عيونهم بالدمع ، والرسول منهم ومعهم وسيرجعون إلى المدينة به ،

رغم أنه فتح مكة ، وكان يمكن أن يتخذها عاصمة له ، ولطالما تآقت نفسه وقلبه إلى بيته وقومه وأرضه ، ولكن الله حبيب إليه موطن الإيمان وعاد مع الأنصار إلى المدينة حيث لم يبرحها إلا في أوقات قليلة وتوفى في النهاية ودفن هناك .

أما الحادثة الثانية: فكانت إحدى حوادث الرد على مكائد اليهود الذين ظلوا

يمارسونها لهدم التضامن الاجتماعي الكبير الذي أقامه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المدينة وترويتها كتب السنة كالآتي : « مر أشاش ابن قيس بالأوس والخزرج وقد ألف الإسلام بين قلوبهم بعد تناحرهم سبع سنين في يوم بعث ، وأشاش هذا يهودى مدفوع من قومه لتفرقة المسلمين ، فقال : والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، فعمد أشاش إلى فتى من اليهود ، فقال له جالسهم وأرو لهم ما قاله كل فريق في آخر أيام العداوة ، ففعل ، وتنازعا وتواعدوا للقتال ونادوا « يا للأوس ، ويا للخزرج » ، وأخذوا السلاح ، ونزعوا للحرب فأتلج صدر أشاش وانسحب المهيع في نعومة وتركهم يتطاحنون ، فجاء النبي وقال : « يا معشر المسلمين : الله الله - أبدعوة الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هذاكم الله إلى الإسلام وألفكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ؟ فبكوا وتعانقوا واصطلحوا » . ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا ﴾ .

ونستخلص من ذلك أن العامل الأول للوحدة والتكامل بين الدول الإسلامية ، هو عامل ديني ومعنوي وتاريخي ، يتصل بوحدة الدين فيها ، ووحدة التواجد على إقليم واحد مترابط ، ووحدة الآمال والأهداف التي تجعل من المسلمين أمة واحدة من دون الناس ، وهو بلا شك أهم العوامل وأقدمها .

ويجب مع ذلك ألا نتجاهل القوى المعارضة في داخل المسلمين لقيام الحكم الإسلامي في الدولة الإسلامية ، وتفشى الحركات الإلحادية والعلمانية والأيدلوجيات الشيوعية في الشارع الإسلامي ، ولكن نصيب هذه الأفكار في تقديري ضئيل ، ولا يعبر عن القوى الشعبية الحقيقية التي تميز المجتمعات الإسلامية ، إنما لا ننسى أن من أول واجبات عودة الوحدة الإسلامية ، أن يتضح الخط الأيدلوجي الإسلامي الذي يقود المجتمعات الإسلامية في الطريق الصحيح ⁽⁵⁾ .

العوامل المادية

توجد كافة مصادر الثروة فى العالم الإسلامى إذا نظرنا إليه ككتلة اقتصادية واحدة ، ولكن إزاء الانقسام الذى يوجد بين مختلف وحداته يعتبر دولة ناقصة الإمكانيات ، متخلفة عن إشباع الحاجات الأساسية للسكان .

فهناك مجموعة كبيرة من الدول الإسلامية تنتج البترول ، وتستحوذ على القسم الأكبر منه على مستوى العالم ، كما أن لديها المخزون الرئيسى المتوقع أن يستمر طويلا بالمقارنة بالبترول الموجود لدى مختلف الدول ، ٧٠ ٪ من المخزون العالمى ، كذلك يستأثر العالم الإسلامى بقدر كبير من المواد الخام الموجودة فى العالم كالمطاط والفسفات والجوت والقطن والنحاس والذهب والماس فضلا عن الشاى والكافا والبن ، فإذا نرى فى العالم الإسلامى الطاقة والمواد الأولية بقدر كاف ، كذلك يوجد فى هذه الدول الأرض الزراعية الصالحة للزراعة فى السودان والصومال بكم كبير وتوجد أيضا بقدر لا بأس به فى الدول الإسلامية الأولى ، كما أن العديد من الأنهار الكبرى كالنيل والفرات ودجلة والأردن ، توجد فى العالم الإسلامى وتحيط به البحار والمحيطات الرئيسية فى العالم وهى مصادر للثروات الحية .

ويعتبر عنصر العمل من العناصر المتوافرة فى كثير من الدول الإسلامية .

إن التنوع المناخى فى داخل الأمة الإسلامية ووجود مصادر الطاقة والقوة العاملة والأموال والمواد الأولية يجعل العالم الإسلامى قادرا على تحدى العقبات التى تحول دون تكامله ، كما أن العالم الإسلامى مليء بالعقول المبدعة التى إذا أعطيت فرصتها فإنها تقدر على العمل والتنظيم والإنتاج بدليل أنها تبذل فى العالم الخارجى عندما تعطى الفرصة لذلك .

من هنا فإن العوامل المادية للتكامل والوحدة تتوافر فى أقاليم الدول الإسلامية ، وتكشف عن قدرات قوية لو استغلت فى إطار مجتمع واحد أو على الأقل سوق اقتصادى واحد لا يتأثر بالفواصل السياسية أو بالحدود الجغرافية المصطنعة التى وضعت بين مختلف أقاليمه لتحول دون اتصالها وتكاملها .

المبحث الثالث

سبل إقامة السوق المشتركة

أولاً : توحيد التشريعات :

لابد من إيجاد التقارب بين أنظمة الدول الإسلامية قبل كل شيء ، ويحتاج ذلك إلى تنفيذ توحيد التشريعات الأساسية بينها ، إن الدول الأوربية قد أوجدت قانوناً مشتركاً يحكم مختلف الأمور التي توجد في نطاق التكامل بينها كقوانين التجارة والاستثمار والشركات ، والضرائب وتعريفات الرسوم حتى أصبح هناك اصطلاح يطلق عليه القانون الأوربي European Law هذا القانون يتيح التعامل في السوق المشتركة بسهولة ويسر .

ولن تحتاج الدول الإسلامية إلى بذل جهد كبير في سبيل تنفيذ هذه الخطوة لسببين :

الأول : إن هذا التوحيد سيكون بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية والفقهاء الإسلامى ، وهى تراث فقهي وتشريعي لكل هذه الدول يحتوى على الأصول والقواعد التي تضبط تعاملاتها في مختلف المجالات .

الثاني : إن هناك العديد من الخطوات والمجهودات التي تمت من خلال الحكومات والمجالس التشريعية ، وكذلك من خلال هيئات علمية عديدة لتقنين أحكام الشريعة الإسلامية في هذه المجالات .

والأمر يحتاج إلى الإرادة الصادقة ، والعزيمة القوية لتطبيق ذلك ، وربما كانت منظمة المؤتمر الإسلامى ، هي أقدر الهيئات على تحقيق هذه الخطوة ، فيمكن لمجمع الفقهاء الإسلامى - وهو أحد الهيئات التابعة لها ، أن يطالب الدول الإسلامية بحصيلة كل الجهود التي بذلت فيها لتوحيد التشريعات ، خاصة الاقتصادية ، ويوحد بينها ثم يعرضها على الدول الأعضاء لترى رأيها فيها ، ثم يمكن للمنظمة أن تصدر قراراً بضمون ما تتفق الدول الإسلامية على تبنيه منها ، وتتبع ذلك بعمل اتفاقات دولية تصدق عليها الدول الأعضاء ، خلال آجال تحددها .

إن كل الدول - بما في ذلك الدول الإسلامية - تقبل هذا الأسلوب بالنسبة للعديد من التشريعات التي تسرى فيها . ففي حالة منظمة العمل الدولية مثلا ، تقوم الدول بإصدار التشريعات التي تنفذ ما تضعه هذه المنظمة بالنسبة لما يسرى على القوى العاملة من تشريعات ، بل إن بعض الدول التي تأخذ بنظرية وحدة القانون ، تطبق هذه الاتفاقات بمجرد التصديق عليها ونشرها في الجريدة الرسمية . وقد توحدت التشريعات الدولية في مجال تحديد ساعات العمل وتنظيمه وكفالة حقوق الطبقة العاملة في الأجازات وفي الضمان الاجتماعي ضد البطالة والعجز والشيخوخة ، وفي مجالات أخرى عديدة بهذا الأسلوب ، فهل يعجز أن توحد تشريعات الدول الإسلامية في مجال الملكية والتكافل الاجتماعي وتطبيق أنظمة الزكاة الإسلامية ومنع التعامل المحظور في الشريعة - كالربا - الخمر - الميسر ، على سبيل المثال .

لا أعتقد أن هناك صعوبات كبيرة في ذلك .

ثانياً : المشروعات المشتركة :

يمكن باتباع أسلوب المشروعات المشتركة تحقيق تقدم كبير في مجال التكامل والتوحد بين الدول الإسلامية ، ذلك أن هذا الأسلوب لا يحتاج إلى عناء كبير ، وهو موجود بشكل أو بآخر بين الدول الإسلامية ، أو بين كتل منها على الأقل ، والمطلوب تطويره وإزالة العقبات التي تقف في وجهه ، فربما الأموال موجودة في قطاع كبير من دول النفط ، والأراضي القابلة للزراعة موجودة بدورها في دول كثيرة ليست قليلة ، كالسودان والصومال ، والقوى العاملة موجودة في دول إسلامية ليست قليلة كمصر ، وبنجلاديش ، وباكستان ، وأندونيسيا ، والأمر يحتاج إلى خبرة المنظرين وتعاون السياسيين والاقتصاديين في مختلف هذه الدول ، وهنا تبدو أهمية وحدة التشريعات حيث من الضروري أن تتبع الدول الإسلامية نظاما يعتمد على اقتصاديات السوق وإطلاق التعاون بين الاقتصاديين لتكوين مثل هذه المشروعات والتشجيع عليها بالسماح لتجربة دخول الأموال وخروجها وتسهيل تأسيس الشركات ، وكذلك تسهيل دخول وخروج العمال بين الدول الإسلامية ، واتباع سياسة ضريبية وجمركية مواتية لإقامة المشروعات المشتركة.

وإننى لأنوق لقيام شركة زراعية كبيرة فى السودان تمولها السعودية وتعتمد على العمالة المصرية والسودانية وتكون سلة الغذاء لكل الدول الإسلامية ، فى إطار نظام المشروعات المشتركة .

التكامل الجزئى :

توجد مجموعات من الدول الإسلامية أكثر تشابهاً من غيرها فى كثير من الأمور ، كمجموعة دول الخليج ، ومجموعة دول المغرب العربى مثلاً ، وقد يكون من المناسب أن تبدأ هى بتحقيق تكامل اقتصادى بينها كمرحلة تمهيدية لاندماج فى سوق إسلامية مشتركة واحدة ، وهذه الخطوة قد تسهل تحقيق الهدف النهائى بإقامة السوق الموحدة كلياً .

اتفاقات التجارة :

قد يكون من المناسب تشجيع التعاون التجارى والاقتصادى بشكل عام . ورغم توضيحنا لأهمية الاتحاد والتكامل بين الدول الإسلامية فيجب ألا ننسى أن هناك العديد من المعوقات التى تقف فى وجه هذا التكامل ، فالأنظمة السياسية التى أقيمت فيها تحول دون إتمام الكثير من العمليات لأن الاتحاد والتكامل الاقتصادى من شأنه تفتيت الحواجز وإضعاف التثبيت بالسيادة وزيادة الإحساس بأن الحدود والحواجز الساسية مصطنعة ، مما يؤدى فى النهاية إلى تغيير فى موازين القوى الحاكمة وتحطيم مراكز النفوذ التى تستفيد بالتجزئة والتفتيت .

يقولون بتشابه المنتجات بين الدول الإسلامية ، وبعدم نمو السوق فى معظم دولها ، وبعدم حيازتها للتكنولوجيا الكفيلة بالتنمية والتطوير ، ورغم صحة بعض ما يقال ، إلا أن ذلك يسود فى ظل أوضاع الفرقة والتجزئة وعدم استفادة كل مما لذى الآخر ، والأمر لن يكون أبداً فى حالة التكامل ، والوحدة .

والواقع أن التحدى الحقيقى لقيام السوق والتكامل يتمثل فى القوى الدولية الاقتصادية المتربصة بنا ، لذا لا ينبغى تصوير الأمر كأنه معركة حربية ، وإنما لابد من بث الإحساس لدى هذه القوى بأننا نريد التعاون معها وبأننا لسنا خارج دائرة المجتمع الدولى والنظام الاقتصادى الدولى ، وإنما لابد من السماح لنا بالتوحد والتواجد كمجموعة لها وجودها وأهميتها ، كدول فاعلة Subjects يتم التعامل فيها بالبيع والشراء ، وسائر صور المعاملات .

والواقع أنه يلزم ، لتحقيق التكامل بين العالم الإسلامى ، أن يتوافر نظام لأسواق مالية كبيرة يسمح فيها بتداول الأسهم والصكوك لكل الأفراد ولكل المشروعات التى تقام فى أى جزء من العالم الإسلامى ، كما أنه يجب إقامة مصارف إسلامية تعمل فى داخل الدول الإسلامية بعد تنقية التجربة مما شابهها من عيوب ، وبالجملة فإن تحقيق الاستفادة برأس المال فى الأقطار الإسلامية من أهم السبل الكفيلة بتحقيق التكامل وقيام السوق المشتركة .

كذلك فإنه يجب اتخاذ خطوات مدروسة ومتدرجة نحو فتح سوق العمل لكل الأفراد فى الدول الإسلامية ومنع كافة القيود التى تضعها الدول فى وجه حرية الحركة والانتقال بين الدول الإسلامية ، مع الاهتمام بتنمية هذه القوى وتدريبها لكى تكون قوى مبدعة ومنتجة وعدم تركها للضياع والبحث عن أى عمل لا فائدة منه .

ويمكن أن يتم ذلك على مراحل فى إطار اتفاقات ثنائية أو جماعية مع إعطاء منظمة دولية - كمنظمة المؤتمر الإسلامى - حق توجيه الفكرة وإعداد الاتفاقات واتخاذ الخطوات المناسبة .

واعتقد أن تقوية منظمة المؤتمر الإسلامى وتنفيذ ما اتخذته من مقررات لإقامة السوق الإسلامية المشتركة ^(٦) ، ولتحرير التجارة بين الدول الإسلامية ، وزيادة التبادل التجارى بين هذه الدول وإعطاء المنظمة وهيئاتها الاقتصادية ، مثل البنك الإسلامى للتنمية والمركز الإسلامى للتدريب التقنى والمهنى والبحث العلمى والغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة ، والمركز الإسلامى لتنمية التجارة والصناعة ، الفرصة للعمل الجاد بين الدول الإسلامية ، يعتبر من أهم العوامل التى تكفل التدرج فى إقامة السوق وتحقيق الوحدة الاقتصادية ، ثم السياسية بعد ذلك بين الدول الإسلامية .

والواقع أن العديد من المؤتمرات الإسلامية التى عقدت فى إطار هذه المنظمة ، قد قدمت برنامجاً لإقامة السوق يبدأ بالمشروعات المشتركة وتشجيع التبادل التجارى فى مختلف المجالات ، وينتهى بوضع نظام جمركى موحد وحرية كاملة لانتقال الأشخاص والمنتجات ، والمهم هو التنفيذ ^(٧) .

الخلاصة

عرضنا لدراسة فكرة الوحدة والتكامل بين الأقطار الإسلامية فى المجال الاقتصادى على وجه الخصوص وفى إطار نظرية السوق المشتركة من خلال مباحث ثلاثة ، تناولنا فى المبحث الأول المقصود بفكرة السوق المشتركة ، ثم عرضنا للمزايا الرئيسية التى تحققها فكرة السوق المشتركة من زيادة الإنتاج واتساع فرص العمل والإسراع بخطى التنمية ، ثم عرضنا فى مبحث ثان للعوامل التى يقوم عليها التكامل وتتم وفقا لها الوحدة بين دول السوق حيث عرضنا للفكر الاتحادى الإسلامى وكيف يمثل العامل المعنوى للتكامل والوحدة ، وأشرنا بعد ذلك للعوامل المادية للتكامل والمتمثلة فى تنوع المنتجات وتوافر المواد الخام وقوى الطاقة والعوامل الطبيعية والبشرية وبيننا أن كل هذه العوامل لو استغلت بشكل موحد لأنت بالخير والفائدة لكل الدول الإسلامية وأخيرا تناولنا السبل المقترحة لإقامة السوق التى يجب أن تقوم على التنوع عن طريق تشجيع المشروعات المشتركة وتسهيل التبادل التجارى بين الدول الإسلامية وتشجيع المنظمات القائمة بين الدول الإسلامية على العمل بتنفيذ مقرراتها ، ثم تكوين سوق للأوراق المالية بين الدول الإسلامية إلى غير ذلك من الوسائل المقترحة إلى أن يتم وضع نظام جمركى موحد للدول الإسلامية والسماح بحرية انتقال الأشخاص والسلع بين مختلف أقطارها .

الهوامش

- ١ - راجع : راشد البراوى ، الموسوعة الاقتصادية - دار النهضة العربية - القاهرة ، ١٩٧١ م ، ص ٣٠٢ وما بعدها .
- راجع مقال صالح السدلان - بعنوان « الأسس والأهداف لإقامة سوق إسلامية مشتركة » ، ندوة « نحو سوق إسلامية مشتركة » ، مركز صالح كامل - للاقتصاد الإسلامى - بجامعة الأزهر ، ص ٢ .
- ٢ - د. عبد العظيم الجنزورى ، الأسواق الأوربية المشتركة .
- ٣ - قام الرئيس الأمريكى فى شهر « يناير ١٩٩٢م » بزيارة اليابان والمناطق الصناعية الجديدة فى جنوب شرق آسيا بهدف واحد هو فتح أسواق هذه الدول أمام المنتجات الأمريكية التى صارت تعاني ركودا أدى إلى تزايد البطالة فى أمريكا ، راجع بحثنا عن المتغيرات الدولية الجديدة ومكان الاقتصاد الإسلامى فيها ، والذي قدم لندوة عقدت بمركز صالح كامل - للاقتصاد الإسلامى فى بداية عام ١٩٩٢م .
- ٤ - راجع تفصيلات واسعة عن ذلك فى مؤلفنا : العلاقات الدولية فى القانون الدولى والشريعة الإسلامية ، طبعة ١٩٨١م ، ص ٦٠ وما بعدها .
- ٥ - راجع فى التحديات التى تواجه الوحدة الإسلامية ، دراسة الدكتور السيد عليوه التى نشرت أوراق السوق الإسلامية المشتركة ، الندوة السابق الإشارة إليها ص ١١ وما بعدها .
- ٦ - أصدر المؤتمر الثانى عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية فى نوفمبر عام ١٩٨٠م قراراً بإنشاء سوق إسلامية مشتركة ، وتضمن قراره تشجيع المشروعات المشتركة بين الدول الإسلامية والبدء فى تنفيذ برنامج لتحرير التجارة لتحقيق تعاون أوثق بين الدول الإسلامية .
- ٧ - راجع على سبيل المثال قرارات مؤتمرات القمة التى عقدت فى أنقرة عام ١٩٨٠م وفى مكة عام ١٩٨١م ، والمؤتمرات الوزارية التى عقدت فى غضون عامى ١٩٨١م ، ١٩٨٢م .
- راجع دراسة أ. د. عبد الرحمن يسرى عن مراحل التكامل الاقتصادى الإسلامى فى إطار الظروف المعاصرة ، ندوة مركز صالح كامل ، ص ٥ وما بعدها ، ودراسة د. صلاح الدين محمد زين الدين عن السوق الإسلامية المشتركة ، المنهج والمشكلات والاستراتيجية ، ودراسة أبو الحسن على صادق عن التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية وجميعها قدمت فى الندوة المشار إليها .

ملاحح إطار جديد للتعليم فى الدول العربية

فى ضوء المتغيرات العالمية والإقليمية

بقلم الدكتور / جمال على خليل الدهشان (*)

مقدمة :

يكاد يتفق الجميع أن التعليم فى حياة الأمم ، وفى صياغة مستقبلها له شأن عظيم الخطر بعيد الأثر ، فمن خلاله يتم إعداد أبناء الأمة . منذ مراحل حياتهم الأولى ، لما يرجى منهم فى مستقبل أيامهم ، كما أنه يطبعهم بطابعها الذى تتميز به شخصيتها القومية بين غيرها من الأمم الأخرى ، ولذلك يعد التعليم أئمن رأس مال لحياة الأمة ، وأمضى سلاح تواجه به الزمن وتحدياته .

ومن هنا فعندما يفكر المجتمع العربى المعاصر فى المستقبل ، وهو يقف على مشارف القرن الحادى والعشرين ، يبرز التعليم كأداة استراتيجية رئيسية لتحديد ملاحح هذا المستقبل وصورتها التى نريدها لا صورتها التى تفرض علينا ، فالتعليم بطبيعته عملية مستقبلية على المدى القريب أو البعيد ، فالتلميذ الذى يتعلم فى أولى مراحل التعليم الآن ، سوف يكون فى بداية القرن القادم قد أعد بطريقة سليمة أو خاطئة كمواطن عربى يعيش فى القرن الحادى والعشرين ^(١) ، أى أننا لن ندخل القرن القادم دخولاً حقيقياً واعياً ، إلا إذا توافر لنا نظام تعليمى يتناسب مع متطلبات هذا القرن ^(٢) .

من ناحية أخرى فإنه إذا كانت التنمية فى الوقت الراهن مطمح تسعى إلى تحقيقه الدول العربية والإسلامية ، وشعاراً يرفع فى كل مناسبة ، وأملاً تسعى إلى تحقيقه ، وقضية قومية تحشد من أجلها جهود جميع أفراد المجتمع ، وتتولاها كافة مؤسساته ووكالاته ، فإن التربية تحظى من بينها بدور مميز فى أحداث تلك التنمية واستمراريتها ، إضافة إلى أنها مؤشر من مؤشراتنا باعتبارها إحدى الحاجات الأساسية التى تحققها التنمية ^(٣) ، فتنمية رأس المال البشرى (من خلال التعليم) أصبحت جزءاً لا يتجزأ ودعامة رئيسية من دعومات التنمية الشاملة ^(٤) ، خاصة مع التحول فى مفهوم التنمية ،

(*) أستاذ أصول التربية المساعد بكلية التربية - جامعة المنوفية .

حيث لم يعد التركيز على العوامل المادية فقط ، ولكن برز مفهوم جديد للتنمية يتمحور حول الإنسان وحول قدراته الإبداعية ، وأصبحت العوامل الاجتماعية والثقافية معترفاً بها كعوامل فعالة وكناتج نهائية للتنمية فى آن واحد (٥)

إن تنمية الثروة البشرية تقع فى موقع القلب من أى عملية تنمية شاملة ، وبدون تنمية هذه الثروة البشرية ، لن يكون علاج مشكلات التنمية إلا سطحياً زائفاً ، وفوق هذا وذاك فإنه لا علاج لأزمة المجتمع العربى المعاصر بتمامها إلا عن طريق تجويد الإنسان العربى ، وتجويد إعداده ، والارتفاع بطاقاته الخلاقة المبدعة (٦) ، فلا تحديث بدون تربية تتفق وتحديات العصر ، فحديث التربية العربية وعصرنتها هو المدخل الرئيسى لتحديث الإنسان العربى الذى يضطلع بمهمة التعامل الرشيد مع تحديات الحاضر وأزماته ، وكشف اتجاهات المستقبل ليستطيع الحياة فى عالم الغد ، لا يتكيف معه فقط ، بل يؤثر فيه ويمارس فيه إرادته (٧) .

إن واقع التعليم فى الوطن العربى ، رغم إنجازاته الكثيرة ، فى حاجة دائمة إلى المراجعة ، بل لعله على حد تعبير البعض بحاجة إلى ثورة تعليمية (٨) . فى فلسفته ونظمه وأساليبه ، لاستشراف آفاق المستقبل والتوافق معها ، ضماناً لإقامة نظام تعليمى ينشئ المستقبل ويوجهه ، بدلاً من نظام ينتظر أحداث المستقبل لكى يلهث وراءها بعد حدوثها فى محاولة للتكيف معها (٩) .

والواقع أن التوجه المستقبلى للتعليم يواجه مجموعة كبيرة من التحديات أو المطالب تعكس نبض العصر وتطلعاته ، وإذا لم يتم وضعها فى الاعتبار ، فشل فشلاً ذريعاً فى مهمته (١٠) ، هذه التحديات والمتغيرات الآنية والمستقبلية تتنوع ما بين تحديات موجودة بالفعل . وتحديات من المتوقع حدوثها ، فهى مازالت تتجمع وفى سبيلها للتشكل والتبلور ، وتحديات أخذت طريقها إلى التشكل بالفعل (١١) .

وانطلاقاً من ذلك فإن محاولة فحص أو تأمل واقع التعليم فى الوطن العربى ، والبحث عن أفضل الطرق لتطويره استجابة لمتطلبات القرن القادم ، تفرض علينا ضرورة تأمل المستقبل ومحاولة استكشاف معالمه عالمياً وإقليمياً ومحلياً ، ومدى انعكاسها على النظام التعليمى فى كافة جوانبه ، ثم دراسة أهم معالم واقع التعليم فى الوطن العربى ،

وكيفية الارتقاء به لمواجهة هذه التحديات الآتية والمستقبلية ، ولذلك سوف تسير خطة هذه الدراسة وفق الخطوات التالية :

أولاً : المتغيرات العالمية والإقليمية والمحلية وانعكاساتها على النظام التعليمي .

ثانياً ، واقع التعليم فى الدول العربية ودواعى تطويره .

ثالثاً : ملاحح إطار جديد للتعليم فى الدول العربية فى ضوء المتغيرات والتحديات المستقبلية .

أولاً: المتغيرات العالمية والإقليمية والمحلية وانعكاساتها على النظام التعليمي :

إن تأمل الأدبيات المعنية بمطالعة المستقبل يكشف عن أن العالم ، وعالمنا العربى جزء منه ، يشهد تحولات أساسية وعميقة تنال كل مكوناته ، وتقوده إلى انبعاث عصر جديد ، أطلقت عليه مسميات عديدة من بينها عصر ما بعد الصناعة ، هذا العصر مهد بقدمه إلى تصاعد أو ظهور ثورات وتحولات كبرى فى المجتمعات بصفة عامة لعل من أبرزها .

١ - ثورة التكتلات الاقتصادية (أو الاتجاه نحو العولمة Global Zation) : والتى يتمثل جوهرها فى الطفرة الكيفية الحالية فى الاتصال بين البشر ، والاعتماد المتبادل بين الجميع والتأكيد على ما يسمى الشراكة الكونية ، فهى ثورة ترتبت على الإدراك العميق بأن العالم لن تتسنى إدارته بوصفه أجزاء متناثرة بل كوحدة واحدة متكاملة^(١٧) ، بل إنه لم يعد بإمكان أى دولة منفردة مهما تكن أن تستغنى عن غيرها من الدول الأخرى ، إما لحاجتها إلى استثمارات أو إلى أسواق لمنتجاتها ، فالتعاون الدولى وتشابك المصالح أصبح له دور هام فى توجيه الاقتصاد العالمى ، فالصناعة الحديثة أصبحت عالمية بطبيعتها سواء فى توجيهها نحو السوق العالمى أو فى نشاطها الإنتاجى واعتمادها المتزايد على مستخدمات الإنتاج من مختلف أجزاء العالم ، بل إن اتجاهات العالمية امتدت نحو توحيد وتنميط المواصفات العالمية أو المقاييس القنية Iso 9000 ، وجاء إنشاء منظمة التجارة العالمية لاتفاقيات الجات لتأكيد هذا الاتجاه لتنظيم المعاملات الدولية فى مجال تجارة السلع والخدمات

والاستثمار والملكية الفردية وإضافة إلى الدور الذي يلعبه كل من صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي في توجيه السياسات الاقتصادية والمالية لعدد من الدول الصغيرة والمتوسطة (١٣) .

ولقد ساعد على ذلك الاتجاه ما شهده العالم من تطور هائل في وسائل الاتصال حيث بات البعض يتحدث عن القرية العالمية Village Global في إشارة إلى التفاعل المباشر بين أرجاء العالم في كل لحظة وأن ، ولقد نتج عن ذلك سيطرة بعض عناصر الثقافة العالمية ، وسعى بعض الدول المتقدمة ، بصورة مباشرة وغير مباشرة ، إلى نشر ثقافتها وإلباسها ثوب الحضارة الإنسانية المعاصرة ، وكان من نتائج ذلك اندثار ثقافات محلية أو ضياع بعض عناصر ثقافات محلية أو صراع بين ثقافات وقوميات وعصبيات ، صاحب ذلك مشكلات منها ظاهرة الاغتراب بين الشباب والبحث عن الهوية الذاتية الثقافية (١٤) .

في ضوء كل ذلك فإن على النظام التعليمي أن يسعى إلى :

- المحافظة على الذاتية أو الهوية الثقافية للمجتمع دون انعزال عن الحضارة المعاصرة ، وذلك من خلال الاهتمام بتدريس اللغة القومية بجانب الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية وهو ما يسهم في جعل الخريج متصلاً بالثقافة العالمية ومنتصلاً لوطنه وثقافته .
- الاهتمام بعوامل الجودة في أنظمة التعليم المختلفة ، من خلال تحديد مجموعة من الإجراءات لضمان تحقيق التعليم لمستويات متميزة تقترب من المستويات العالمية .
- العمل على تحقيق مزيد من الاتصال والتعاون بين المؤسسات التعليمية على مختلف المستويات الإقليمية والعالمية من أجل تبادل الخبرات وتقليل الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية .
- تغيير طرق التعليم تغييراً جذرياً كى تقوم على الحوار والنقاش ، فيدرب الطلاب والمعلمون على ممارسة النقد والتحليل والربط والاستنتاج ، فهذا هو السبيل إلى أن يقفوا أمام ما يتلقونه من مصادر البث الإيدولوجي موقفاً ناعداً ، بحيث لا يتقبلون أى شيء على ما هو عليه ، وإنما لابد من المقارنة والموازنة (١٥) .

٢ - **ثورة المعلوماتية Informatics** (١٦) : وقد تمثلت هذه الثورة فى استخدام الحاسبات الإلكترونية فى حفظ المعلومات وانتقالها فى كافة القطاعات والمؤسسات المجتمعية وقد أحدثت هذه الثورة تغييرات جذرية ليس فقط فى مجال القطاعات التقليدية ، بل أنها أدخلت ثورة فى الإنتاج الصناعى ، امتدت أثارها إلى قطاعات النظام الاقتصادى العالمى فجعلته فى الوقت نفسه مرتبطاً ببعضه البعض من خلال شبكات عالمية متكاملة للتجارة وأسواق لرؤوس الأموال المصاحبة لها (١٧) ، فالأصول المالية لم تعد تتداول فقط بشكل مادي فى البورصات وإنما أصبحت تنتقل عبر شبكات الحاسبات الإلكترونية من دولة إلى أخرى فى لمح البصر ، ومن عملة إلى أخرى بمجرد ومضة كهربائية أو نبضه الإلكترونية فى شكل فاكس F. Mail أو غير ذلك عبر وسائل الاتصال الحديثة ، وذلك دون تدخل من السلطات النقدية ، أو حتى دون معرفتها ، فشبكة الإنترنت Internet تمثل الآن وسيلة جديدة لا مركزية للتخاطب والتحاوور بين الأفراد والمؤسسات خارج الحدود وعبر القارات ، وعن طريقها لا يتم فقط تداول المعلومات والمعرفة والمراسلات ، بل أصبحت سوقاً للتعاقد بين البائعين والمستثمرين من مختلف بقاع العالم (١٨) .

وأمام هذا التحدى أصبح من الضرورى إعادة النظر فى نظمنا التعليمية بما يتفق وعصر المعلومات سواء تعلق الأمر بالأهداف أو المناهج وطرق التدريس أو المعلم ودوره ، إضافة إلى الإدارة التعليمية والتخطيط التربوى ، بحيث يسهم النظام التعليمى بصورة أساسية - فى تدريب الطلاب على التعامل مع مصادر المعلومات المتعددة ، كالمراجع ودوائر المعارف ، وبنوك المعلومات العلمية والتكنولوجية ، مع الاهتمام بالدراسات التكنولوجية ، والتخصصات البيئية التى تجمع بين أكثر من تخصص (١٩) ، بما يتفق والتطورات السريعة فى طبيعة المهن فى مجال العمل .

٣ - **ثورة الانفجار المعرفى** : حيث شهد العصر الحالى ، وسيشهد القرن القادم تطوراً هائلاً فى المعارف كمًا وكيفًا ، مقارنة بحجم ونوع المعرفة فى العصور السابقة . يدل على ذلك الكم الهائل من المجلات والدوريات العلمية فى شتى ضروب المعرفة ، عدد الكتب والمطبوعات التى تصدر كل يوم ، والكم الهائل من النظريات العلمية فى كل تخصص ويقدر بعض المهتمين بالدراسات المستقبلية أن حجم المعرفة سيتضاعف كل

سبع سنوات ، أى أن حجم التراكم فى هذه المعرفة خلال السنوات القليلة المتبقية من هذا القرن مثلاً ، ستكون متساوية أو تزيد عما تراكم من معرفة إنسانية منذ بداية التاريخ البشرى (٢٠) ، كل هذا أدى إلى ظهور العديد من الاكتشافات والابتكارات ... وغيرها من تطبيقات العلم والتي أحدثت تغييراً واضحاً فى كيفية المعرفة الإنسانية ، بل وفى الحياة الإنسانية كلها ، وقد أدى ذلك إلى :

- إلغاء الفكرة القائلة بأن الإنسان يستطيع أن يمضى سنوات حياته بيزاد محدد من المعرفة، والبحث عن صيغ جديدة للتعليم المستمر والمفتوح تتيح للأفراد فرص الالتحاق به طوال حياتهم ، وبما يمكنهم من مواكبة وملاحقة هذا التزايد المعرفى الهائل .

- ظهور تخصصات وعلوم جديدة ، استدعت فى بعض الأحيان إنشاء مؤسسات ومعاهد تعليمية جديدة تتصدى لدراساتها وتخرج المتخصصين فيها ، وإعادة النظر فى الهياكل والنظم التعليمية بما يسمح بإزالة الحواجز بين الأقسام العلمية الجامعية (مثلاً) ، وبين العلوم الأساسية والعلوم الإنسانية ، ليحل محلها أنماط من العلاقات تتيح التكامل بين ضروب المعرفة فى مواجهة مشكلة معينة ، أو وضع تنظيم اقتصادى واجتماعى معين (٢١) .

- إن مهمة التعليم لم تعد هى تحصيل المعارف فى المقام الأول ، بل تنمية مهارات الحصول عليها وتوظيفها ، بل وتوليد المعارف الجديدة ، وربطها بما سبقها ، ولا نعى بذلك إهمال مادة التعليم بل نقصد به ضرورة التركيز على الأفكار الرئيسية والمفاهيم الأساسية للمادة التعليمية دون الحشو والتفاصيل (٢٢) ، فهذا الكم الهائل والمهول من المعرفة يحتاج إلى تنظيم سريع ومستمر لمن يريد أن يستخدمه .

٤ - ثورة الديمقراطية : والتي تمثلت فى اتساع دائرة الديمقراطية ، والتوجه نحو إلغاء احتكار الحزب الواحد للسلطة ، لتقوم على التعددية الحزبية ودعم الحريات الأساسية والمشاركات الشعبية (٢٣) ، فالمجتمعات البشرية فى أغلب دول العالم تسعى إلى مزيد من المشاركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى إدارة مقدرات حياتها ، وهى فى ذلك تحرص على الحصول على حقوقها فى الحرية والتعليم والعمل والصحة ... وغيرها .

هذا الأمر يفرض على النظم التعليمية أعباء جديدة تتمثل فى فتح أبواب مؤسساتها الرسمية وغير الرسمية لتعليم الجماهير العريضة ، ولواكبة زيادة الطلب الشعبى على التعليم ، وتحقيق شعار التعليم للجميع ، ليس فقط على مستوى التعليم الإلزامى والأساسى ، ولكن أيضاً على مستوى التعليم العالى والجامعى ، مع الاهتمام بتقديم هذه الخدمات من خلال أنماط وبدائل ليست حكراً على الإطار المؤسس التقليدى ، بما يتفق وأصحاب الظروف الخاصة ، مثل التعليم عن بعد ، التعليم المفتوح ، تعليم الكبار ، محو الأمية ... وغيرها من الصيغ التعليمية الجديدة ، ولعل هذا الطلب المتزايد على التعليم يتطلب زيادة الموارد المالية المخصصة للإنفاق على التعليم ، من خلال زيادة الموارد الحكومية المخصصة للتعليم ، والبحث الدؤوب عن مصادر بديلة أو إضافية لتمويل التعليم تعتمد على التمويل الشعبى ، مع الحرص على ترشيد بنود الإنفاق ، واستخدام الموارد المالية الاستخدام الأمثل من خلال العمل على استحداث صيغ جديدة للتعليم تعتمد على أساليب تكنولوجية رخيصة بالقياس إلى الأعداد الكبيرة المستفيدة منها (٢٤) .

٥ - **ثورة الطموحات الكبيرة** : فقد ارتبط بتلك الثورات التكنولوجية والمعلوماتية ... وغيرها ، ثورة أخرى نفسية قد لا تقل عمقاً وتأثيراً ، وهى ثورة التطلعات والطموحات الكبيرة ، خاصة مع توارى الحدود السياسية والجغرافية بين الدول ، واختفاء الفوارق الحادة بين الريف والحضر « وخروج المرأة فى مجالات العمل وسعيها نحو الحصول على حقوقها السياسية والتعليمية وفق الشرع الإسلامى » فالجميع يتطلع إلى مستويات المعيشة ، وظروف الحياة فى الدول الأكثر تقدماً ، ويأمل فى أن يصل - وبأسرع وقت - إلى المشاركة فى مثل هذه المستويات المعيشية ، ويقدر ما فتحت « ثورة التطلعات » الأمل نحو المستقبل بقدر ما أثار - وخاصة فى معظم الدول النامية - الشعور بالإحباط واليأس نتيجة العجز عن ملاحقة هذه المستويات العالية لظروف المعيشة (٢٥) .

وقد ترتب على هذه الثورة مزيداً من الطلب على التعليم وخاصة تعليم المرأة وبعض الفئات التى كانت محرومة من فرص التعليم ، بعد زيادة اقتناع الناس بالتعليم ورغبتهم فيه وإقبالهم عليه ، إضافة إلى الاهتمام بعوامل الجودة فيه مثل تقليل كثافة وإطالة العام الدراسى ، واليوم الدراسى ، والاهتمام بالمبائى المدرسية والوسائل التكنولوجية ، مع تزايد الاهتمام بالدراسات التطبيقية والتكنولوجية فى التعليم الثانوى

والعالي ، وغير ذلك من الأمور التي عادة ما تزيد تكلفة التعليم ، وتتطلب مزيداً من الاستثمارات المخصصة له (٢٦) .

ثانياً: واقع التعليم في الدول العربية ومشكلاته :

مهما تنوعت مؤسسات التعليم في البلاد العربية ، فإن الخيط الرئيسي الذي ينظمها هو تقسيم عملية التعليم إلى عدة مراحل رئيسية هي :

- ١ - التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة .
 - ٢ - مرحلة التعليم الابتدائي وهي من ٦ - ١١ سنة في معظم الأقطار العربية .
 - ٣ - مرحلة التعليم الإعدادي أو المتوسط وهي من ١٢ - ١٤ سنة ، وتضم أحياناً إلى مرحلة التعليم الابتدائي فيطلق عليها مرحلة التعليم الأساسي ، وتعتبر الحلقة الثانية إلزامية إلزاماً على أولياء الأمور بإرسال أبنائهم وبناتهم للتعليم ، وإلتزاماً من قبل الدولة بتوفير فرص التعليم لمن هم في سن هذه المرحلة .
 - ٤ - مرحلة التعليم الثانوي وهي من ١٥ - ١٧ سنة ، وتضم إليها أحياناً مرحلة التعليم الإعدادي ليشار إليها على أنها المرحلة الثانوية .
 - ٥ - مرحلة التعليم العالي أو الجامعي وهي تمتد من ١٨ - ٢٢ سنة .
- هذه المراحل والمستويات قد تزيد أو تنقص سنة أو أكثر حسب نظام التعليم في قطر معين . وفيما يلي بعض التفصيل عن واقع كل مرحلة من هذه المراحل :
- (أ) مرحلة ما قبل المدرسة ، والتي تعرف بمرحلة الحضانة ورياض الأطفال وهي تتعلق بالتعليم في مرحلة الطفولة المبكرة ، وتعتبر هذه المرحلة أكثر مراحل التعليم إهمالاً في البلاد العربية إما لقلّة الوعي بأهميتها ، بسبب التخلف الاجتماعي أو بسبب ضخامة المسؤوليات التعليمية وقلة الموارد المتاحة ، أو بسبب النظرة التقليدية إلى المرأة بما يحول بينها وبين العمل خارج المنزل (٢٧) ، ولعل اعتبار التعليم الإلزامي ابتداءً من سن السادسة هو بداية مسؤولية الدولة ، هو الذي صرف النظر عن إعطاء هذه المرحلة أولوياتها التي تستحقها في ضوء ما يؤكده علماء النفس والتربية من تأثير التعلم الصحيح والتنشئة السليمة في السنوات الأولى من حياة الطفل (٢٨) .

والواقع أنه مع إدراكنا للجهود المبذولة فى تحسين عملية التنشئة فى مؤسسات الطفولة المبكرة من حيث إعداد المشرفات المربيات ، ومن أساليب التنشئة وأدواتها ، إلا أن الغالبية العظمى منه ما تزال دون الحدود الدنيا المقبولة فى تربية الطفولة فى هذه المرحلة ، ويتمثل ذلك فى انخفاض الكفاية المهنية للمشرفات وفقر البيشة المؤسسية بل وعدم صلاحيتها على الإطلاق فى كثير من الحالات ، كما أن نسبة الأطفال الملتحقين بدور الحضانة ورياض الأطفال لا تتجاوز ٢,٥ ٪ من مجموع الأطفال فى الفئة العمرية من ٣ - ٥ سنوات فى الوطن العربى وفق إحصاءات عام ١٩٨٥ وهى نسبة ضئيلة جداً بكل المعايير ، وتتفاوت الأقطار العربية فى معدلات الالتحاق فى هذه المؤسسات بين ٢ ٪ و ١٥ ٪ (٢٩) ، إضافة إلى أن العناية بهذه المرحلة مكثفة فى العواصم والمدن (٢٠) .

وقد بدأت قضايا الطفولة بما فيها التعليم قبل المدرسى منذ سنوات قليلة تحتل اهتماماً خاصاً على أعلى مستويات المسئولية والقرار ، من هذا القبيل فى مصر إعلان العشر سنوات (١٩٨٩ - ١٩٩٩) عقداً لحماية الطفل المصرى ورعايته ، وإنشاء المجلس القومى للطفولة والأمومة ، وعلى المستوى القومى المجلس العربى للطفولة والتنمية ، إضافة إلى التوسع فى إنشاء كليات رياض الأطفال وشعبة للطفولة بكليات التربية ، لإعداد المعلمات للعمل فى مؤسسات الحضانة ورياض الأطفال .

(ب) مرحلة التعليم الابتدائى ، المستوى الأول : وتعرف أحياناً بالحلقة الأولى من التعليم الأساسى ، وهى تمتد إلى ست سنوات فى معظم الأقطار العربية ، وقد تمتد إلى نهاية المرحلة الإعدادية (الحلقة الثانية) وتعتبر هذه المرحلة الحد الأدنى من حق الإنسان فى التعليم ، ولذلك فهى مرحلة إلزامية وحقاً إنسانياً فى التعليم لكل من الجنسين ، حيث يفترض فيها أن يسيطر المتعلم خلالها على مهارات المعرفة الأساسية من قراءة وكتابة وحساب وأن يتعرف على القدر الضرورى من ثقافة المواطنة التى يدرك من خلالها حقوق وواجبات الإنتماء الوطنى والإنسانى ، وأساليب التوصل والتفاعل المثمر مع مجتمعه وبيئته ، ومن ثم فإن حرمانه من هذا الحق ، يعد استلاباً لحق من حقوقه الإنسانية ، وإنكاراً للوفاء بحاجة من حاجاته المجتمعية (٢١) . ويشير واقع تمتع الإنسان العربى بهذا الحق (وفق مؤشرات معدل الالتحاق الخام ، معدل الالتحاق الصافى ، معدل التسرب والرسوب) إلا أنه رغم النمو المتزايد فى استيعاب أطفال الفئة العمرية من (٦ - ١١) فى المدرسة

الابتدائية ، فإن حوالى ٢٠ ٪ من الأطفال فى هذه الفئة العمرية خارج المدرسة الابتدائية وفق إحصاءات عام ١٩٩٠ (٣٢) ، وأنه يتوقع أن تنخفض هذه النسبة إلى ١٥ ٪ فى عام ٢٠٠٠ (٣٢) ، كما يشير الواقع أيضاً وفق أحد البيانات الواردة فى بعض المراجع ، أن متوسط معدل التسرب خلال الفترة ٨٥ - ١٩٨٧ فى الوطن العربى قد بلغ حوالى ٢٧ ٪ وهذا المعدل يتفاوت بين صفوف الدراسة ، الريف والحضر ، وبين مختلف الشرائح الاجتماعية - وهى نسبة تمثل هدراً كبيراً ينبغى تداركه (٣٤) ، والتغلب عليه باعتباره مؤشراً على انخفاض الكفاية الداخلية لنظام التعليم فى الدول العربية .

وإذا كانت معدلات الالتحاق والتسرب مؤشرات للجانب الكمى من التمتع بحق التعليم فى المرحلة الإلزامية ، فإنه مما لا يقل أهمية عنه التعرف على الجانب الكيفى من التعليم فى هذه المرحلة من حيث قدرة التعليم فى هذه المرحلة على الوصول بالمتعلم إلى المستوى المطلوب من هذه المرحلة الذى يجعله قادراً على متابعة التعليم فى مستويات متقدمة ، وتحقيق أهداف التعليم فيها .

وتعتبر النسب السابقة لمعدلات الالتحاق والتسرب فى التعليم الابتدائى من أهم المصادر الدائمة والمستمرة لتخريج الأميين والأميات فى الوطن العربى ، ومالم تتخذ السياسات التربوية العربية أساليب جديدة لاستيعاب كافة الأطفال المزمين ، مع زيادة قدرة المدرسة على الاحتفاظ بالتلاميذ واستبقائهم إلى نهاية سنوات هذه المرحلة التعليمية ، فلن يتم القضاء على مشكلة الأمية مهما كان حجم الجهود المبذولة لمكافحتها .

والواقع أن انتشار الأمية يجسد إنكاراً أو سلباً لحاجات الإنسانية فى عالم الغد ، ورمزاً واضحاً من رموز التفاوت الطبقي ، ومبرراً لقيام النظم غير الديمقراطية وتزيف وعى الجماهير الأمية وتضليلها عما يتم على أرض الواقع العربى (٣٥) ، وعائقاً لتطبيق فلسفة التعليم المستمر .

وإذا كانت الدول العربية قد قطعت على نفسها التزاماً بالعمل على تعميم التعليم الابتدائى ، وتخفيض معدلات الأمية بين الراشدين (مع تحديد فئة العمر المناسبة لكل بلد) إلى النصف من مستواها ، خلال الفترة من ١٩٩١ وإلى حلول عام ٢٠٠٠ ، خلال المؤتمر العالمى حول التربية للجميع (جوتيين - تايلاند - ٥-٩ مارس ١٩٩٠) (٣٦) ، فإن

الواقع والدراسات المتعلقة بهذه المشكلة تؤكد استحالة تحقيق هذا الهدف ، وأن الدول العربية تبحث الآن فى موضوع إبعاد سنة الهدف إلى عام ٢٠٢٥ (٣٧) ، كما تشير دراسة أخرى إلى أن إنقاص نسبة الأمية فى عام ٢٠٠٠ إلى نصف ما كانت عليه فى عام ١٩٩٠ ، لن يتحقق فى بعض الدول العربية إلا فى العقد العاشر من القرن الحادى والعشرين (٢٨) .

والسؤال : هل يمكن للدول العربية أن تتفاعل مع ما سبق عرضه من ثورات علمية واجتماعية ، وأكثر من نصف سكانها لا يجيدون التعامل أو السيطرة على أهم مفاتيح المعرفة والدراية ، ألا وهى مهارات القراءة والكتابة والحساب ؟ أليس ذلك تحدياً يستوجب ضرورة البحث عن أطر جديدة لتطوير التعليم فى الدول العربية ؟

(ح) **مرحلة التعليم الثانوى** : المستوى الثانى ، جرت الإحصاءات الدولية على اعتبار أن المرحلة الإعدادية / الوسطى (الحلقة الثانية من التعليم الأساسى) والثانوية تمثلان المستوى الثانى فى التعليم ، ويضم التعليم الثانوى العام والتعليم الفنى والتقنى ومعاهد المعلمين ، وتشير الإحصاءات إلى أن القيد الصافى فى هذا المستوى أوشك أن يتضاعف فى عام ١٩٩٠ (١٥,٥ مليوناً) بعد أن كان (٨,٥ مليون) عام ١٩٨٠ ، وأن ٤٧ ٪ من الفئة العمرية المناظرة لهذا المستوى (١٢ - ١٨ سنة) فى الوطن العربى كانوا فى عام ١٩٩٠ خارج مدارس هذا المستوى ، وتشير بعض التقديرات إلى الاستيعاب فى هذا المستوى سوف يرتفع فى عام ٢٠٠٠ إلى ٦٤ ٪ من الفئة العمرية المناظرة له فى الدول العربية (٢٩) .

والواقع أن التعليم فى هذا المستوى يمثل استمراراً لاكتساب مزيد من رصيد الثقافة المشتركة بما يمكن الفرد من الإلمام بحقوقه وواجباته ، كما أنه يهين الفرد أما لاكتساب مهنة أو حرفة معينة تمكنه من الدخول إلى سوق العمل ، أو على الأقل تهيئته لاكتساب تلك المهنة أو الحرفة من خلال نوع من التدريب ، هذا فضلاً على إعداده لمتابعة الدراسة فى التعليم العالى (٤٠) ، إضافة إلى ما تؤكد به بعض الأدبيات من أن هذا التعليم يسهم بدرجة أكبر مما يسهم به التعليم الابتدائى والتعليم العالى فى تقرب التباينات فى توزيع الدخول (٤١) .

وإذا كان التعليم الفني والمهني يمثل أحد فروع المرحلة الثانوية أو فرعاً موازياً لها في معظم الأقطار العربية ، وله أقسام رئيسية زراعية وصناعية وتجارية بهدف تخريج العامل الماهر ، فإن نسبة الملتحقين به مقارنة بنسبة الملتحقين بالثانوي العام لاتزال متدنية، وأن التحسن في معدلات الالتحاق به ما تزال متدنية بالنسبة للاحتياج من هذه الفئة اللازمة للكفاية الإنتاجية العالية في مجال السلع والخدمات ، إضافة إلى أن تعليم الفنيين أو التقنيين في معاهد تكنولوجية أو بولتكنيكية يكاد يكون محدوداً جداً ، رغم أن هذه الفئة هي عماد التقدم التكنولوجي . ومقتصراً على ميادين ومهارات تقليدية في المدارس والمعاهد الزراعية والصناعية والتجارية ، رغم الجهود المبذولة فإن تخصصاته وآفاقه لا تتماشى مع الاحتياجات المتطورة والمتزايدة لمختلف قطاعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتطور التكنولوجي في الوطن العربي (٤٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه إذا كانت مشكلة التعليم الابتدائي في الدول العربية تمثل مشكلة كمية في المقام الأول ، ونوعية في المقام الثاني ، فإن مشكلة التعليم التقني والمهني هي مشكلة كيفية بالدرجة الأولى وكمية بالدرجة الثانية ، ومن ثم فإن الحاجة ماسة إلى مراجعة أساسية لموقعه وأهدافه وأساليبه ومجالاته ، ومع هذا التطور النوعي للتعليم التقني وتركيباتها الوظيفية، والتي يمكن أن تفرضها تحديات القرن القادم ومتطلباته (٤٣) .

(د) التعليم العالي والجامعي: المستوى الثالث ، يلتحق بالتعليم العالي والجامعي غالباً الشباب من الفئة العمرية ١٨ - ٢٣ وأحياناً من ١٨ - ٢٤ سنة حسب طول سنوات الدراسة المقررة لاستكمال التخصص المطلوب وعلى العموم فإن فئة العمر التي تنسب إليها كفاءة وسطية هي ما بين ٢٠ - ٢٤ سنة .

وتشير الإحصاءات إلى أنه قد حدث تطور واضح في معدل الالتحاق بالتعليم العالي والجامعي في الوطن العربي ، حيث زادت معدلات الالتحاق من ٥,٥ ٪ عام ١٩٨٥ إلى ١٢,٣ ٪ عام ١٩٩٠ ، ومن المتوقع أن تصل إلى ١٥,٧ ٪ عام ٢٠٠٠ وذلك بالنسبة للفئة العمرية المناظرة . كما أشارت هذه الإحصاءات (٤٢) - أيضاً إلى مدى التفاوت بين الأقطار العربية في معدلات الالتحاق بالتعليم العالي والجامعي ، فبينما وصل معدل الالتحاق إلى حوالي ٣٨ ٪ في الأردن ٢٧ ٪ في لبنان ٢١ ٪ في مصر ١٩ ٪

فى قطر ١٧٪ فى سوريا ، بلغ هذا المعدل ٤ ، ٪ فى موريتانيا ٢٪ فى السودان ، فى حين بلغت هذه النسبة فى الفترة من ٨٦ إلى ١٩٨٨ فى الولايات المتحدة الأمريكية ٦ ، ٥٩٪ ، ولم تتجاوز فى السعودية الغنية ٥ ، ١٣٪ ، وفى إسرائيل ٦ ، ٣٢٪ .

وهو ما يشير إلى أن معدلات الالتحاق بالتعليم العالى والجامعى لازالت أقل بكثير من هذه المعدلات فى الدول المتقدمة ، بما يمكن ان يحول دون تحقيق شعار التعليم العالى للجميع ، أو هدف ديمقراطية التعليم الجامعى .

والواقع أن التعليم العالى والجامعى فى الدول العربية يعانى من مشكلات عديدة أشارت إليها دراسات عديدة ، ولعل من أبرز هذه المشكلات .

١ - إنعدام التوازن بين فروع وتخصصات التعليم الجامعى العربى . فعدد الطلاب فى كليات العلوم الإنسانية - الأداب ، الحقوق ، التجارة - يفوق بكثير عدد طلاب الكليات العلمية كالتب والعلوم والهندسة ، وهو ما يحول دون الاستجابة لاحتياجات البلدان العربية ، التى تعاني نقصاً من الاختصاصيين فى الطاقة والالكترونيات وغيرها من التخصصات التكنولوجية والطبية ، مما يحول دون تأمين التوازن الضرورى لتلبية احتياجات العمل والإنتاج وإعداد الاختصاصيين الذين تحتاجهم السوق المحلية (٤٥) .

٢ - الاختلال فى التوزيع الجغرافى لمؤسسات التعليم العالى ، فغالبية مؤسسات التعليم العالى فى الوطن العربى مؤسسات حضرية ، يتم إنشاؤها وتطويرها فى المدن والمواقع التى تتميز بكثافة سكانية عالية ، وأن حركة إنشاء هذه المؤسسات فى المناطق الريفية والنائية لازالت هامشية ، بل تكاد تكون معدومة فى بعض الأحيان ، هذا الاختلال فى التوزيع الجغرافى يؤدى إلى حرمان هذه المناطق من الخدمات التى تقدمها هذه المؤسسات ويزيد من حدة التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية بين سكان الريف والحضر ... غيرها (٤٦) .

٣ - غلبة الطابع النظرى على التعليم : فالتعليم العالى فى الوطن العربى يغلب عليه الطابع النظرى الذى يهتم بالحفظ والتلقين ، دون الاهتمام بالتطبيقات العملية ، فالطلاب يكتفون فى مجال التعليم الجامعى بالدروس والمحاضرات الإلقائية ، التى

تملى عليهم أحياناً أو توزع مطبوعة أحياناً أخرى ، وفى ظل الأعداد الكبيرة فى بعض الجامعات العربية ، وفى غياب المختبرات وخلو المكتبات من المؤلفات المرجعية ، والوثائق الضرورية للبحث أو المعدة لاستكمال الأعمال التطبيقية والدروس النظرية ، يتخرج الطالب وفى إعداده وثقافته ثغرات عديدة ويكون غير قادر على القيام بعمل جدى فى المجالات التطبيقية لتخصصه ، هذا بالإضافة إلى أن مناهج التعليم لا تعكس مشكلات المجتمع ، بل إنها غريبة عن الاحتياجات المحلية ، وقد نسخت عن المناهج المدرسية منذ سنوات فى الجامعات الأجنبية ، وعندما أدخلت عليها أحياناً بعض التعديلات التى لم تمس جوهرها ، أدى ذلك إلى تشويهها ، ومضاعفة عيوبها وثغراتها وابتعادها عن المستوى المنشود (٤٧) .

٤ - سوء اختيار أعضاء هيئة التدريس وقصور تدريبهم : فانتقاء الأساتذة فى معظم مؤسسات التعليم العالى العربية ، لا يأخذ فى الاعتبار سوى الشهادات والألقاب دون الالتفات إلى سائر الصفات التى يتميز بها المدرس الجيد ، فحيازة شهادة عليا ، وإن كانت شرطاً ضرورياً ، لا تكفى لتجعل من حاملها أستاذاً جامعياً صالحاً . إضافة إلى أن غياب الدورات التدريبية ، وفقدان الاتصالات المنهجية المنظمة ، وتبادل الخبرات بين الجامعات العربية ، وعدم توفر المعلومات حول الوضع الدولى الراهن ، وعدم تبنى مبدأ الثواب والعقاب ، كل ذلك يجعل من الأستاذ شخصاً مستقلاً فى نشاطه عن الجامعة التى يدرس فيها ، منفرداً فى طرائقه وآرائه بالنسبة إلى التوجه العام للجامعة ، هذا من شأنه أن ينتج طلاباً لا يعرفون كيف ينظمون المعلومات المقدمة لهم وصولاً إلى تفكير منهجى متناسق (٤٨) .

٥ - ضعف قدرة الدراسات العليا العربية على تلبية الاحتياجات والمتطلبات الآتية لمجتمعاتها :

فالدراسات العليا والبحث العلمى بالجامعات العربية تمر بأزمة (٤٩) أو تعاني من قصور فى مبنائها وفحواها ، فسياساتها وبرامجها ومخرجاتها لا تحقق الأهداف المرجوة منها ، كما لا تتكافأ مع الطموحات التنموية المتزايدة لمجتمعاتها ، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للحاضر فإن الكارثة تنتظر تلك الدراسات فى المستقبل القريب ، ما لم تعاد النظر

فى كل سياساتها وبرامجها وتنظيماتها (٥٠) ، فكثيراً من الجامعات تقوم ببحوث ودراسات عليا فى مختلف المجالات ولكن أغلبها يمثل بحوثاً لا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمشكلات الإنتاج أو التطبيقات فى مجالات الخدمات ، مما يجعلها تقع فى تصنيف الأبحاث غير المندمج ، أى التى لا تملئها احتياجات التنمية ولا تفيد منها (٥١) .

ثالثاً: ملاحم إطار جديد للتعليم فى الدول العربية فى ضوء التحديات المستقبلية :

إن ما سبق عرضه من تحليل موجز لواقع التعليم فى الدول العربية ومشكلاته ، تشير إلى أن النظام التعليمى العربى غير قادر بوضعه الحالى على تلبية الاحتياجات والمتطلبات الحالية للمجتمعات العربية ، وبالتالي فهو غير مستعد بوجه عام لمواجهة متغيرات وتحديات المستقبل ، وهو ما يتطلب ضرورة التحرك نحو تقديم إطار عام مستقبلى لمواجهة تحديات القرن القادم ، وما سيشهده من ثورات ، يصعب أن يقف النظام التعليمى منعزلاً عنها .

والواقع أن الأمر يتطلب دراسات تخطيطية مفصلة ، وهو ما يخرج عن نطاق هذه الورقة والتى سوف تقتصر على تقديم إطار عام ، ولن نتعرض لجوانب تفصيلية خاصة مع رحابة الوطن العربى وتنوع مناخاته وأوصاعه الاقتصادية ، وتباين نظمه السياسية ، واختلاف المشكلات التعليمية من دولة عربية إلى أخرى ، بل وبين بعض المؤسسات التعليمية داخل المجتمع الواحد .

ولذلك فما نقدمه ليس دراسة فنية تخطيطية ، بقدر ما هى أكاديمية متفتحة على السياقات المجتمعية والحضارية الآتية والمستقبلية ، والأمر يحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث لتعميق رؤاها واختبار فرضياتها ونتائجها ، سعياً نحو إقامة نظام تعليمى مستقبلى قادر على تحديث المجتمع العربى ، وهو ما يتطلب توافر بيانات ومعلومات دقيقة ومفصلة عن طبيعة ما يحدث فى نظم التعليم العربية .

ومما يجدر الإشارة إليه أنه ينبغى أن نؤكد على ملاحظتين نعتقد فى أهمية الالتفات إليهما قبل التحدث عن ملاحم الإطار المقترح .

أولهما ، أنه مع تسليمنا بأن إصلاح نظام التعليم فى البلاد العربى جزءاً لا يتجزأ من إصلاح البنى الاجتماعية فى جملتها ، وما لم تحدث نهضة اجتماعية وسياسية شاملة

فى الوطن العربى فإن كل محاولة لإصلاح النظام التعليمى تبقى معرضة فى كل لحظة لخطر الانكفاء والتراجع والتقلب ، فإن ذلك لا يعنى أن تقف المؤسسات التعليمية مكتوفة اليدين تنتظر حصول مثل هذا الإصلاح الشامل فى مختلف البلاد العربية ، لأن التفاعل بين الخريجين والمجتمع يشكل أحد العوامل التى تسرع عملية التنمية والنهضة الشاملة .

ثانيهما : إن أحد أهم أسباب ومصادر القصور فى القطاع التربوى هو السياسة ، السياسة العالمية أولاً ، ثم المصالح الحزبية والخاصة التى تلقى بثقلها على القرارات المتعلقة بالتربية ، فكثيراً من تلك القرارات هى من صنع بضعة رجال تربط بينهم صلات القربى أو الانتماء للحزب الحاكم ، فتتم الموافقة على المشروعات التربوية عندما تخدم مصالح تلك الجماعة ، وإلا بقيت حبراً على ورق ، وعندما تنتقل السلطة من يد إلى يد تضعف جامعات وتوقف مشروعات ، وسرح موظفون وباحثون ومدرسون أو يهملون^(٥٢) ، ولعل ذلك يمثل تحدياً عند الحديث عن التخطيط طويل الأجل .

وفى ضوء ما سبق يمكن تحديد أهم ملامح هذا الإطار فى النواحي التالية :

١ - بلورة أسس وتوجهات جديدة للتربية العربية تتفق والتحديات التربوية التى يطرح مجتمع الغد تتمثل هذه الأسس والتوجهات فى أن يتعدى هدف التربية تحصيل المعرفة بل يمتد إلى تنمية القدرة على الوصول إلى مصادرها الأصلية وتوظيفها فى حل المشاكل ، وإكساب الفرد أقصى درجات المرونة وسرعة التفكير وتنمية عادة التفكير الإيجابى ، وإعداد الفرد القادر على التمسك بهويته الحضارية وقيمه ، وفى الوقت نفسه القادر على التواصل مع الغير .

٢ - الإيمان بأن التعليم حقاً يجب أن يكون مكفولاً للجميع ، باعتباره من أقوى المداخل لتحقيق الأمن القومى العربى ، ولعل ذلك يتطلب ضرورة اتخاذ خطوات جادة وعملية على المستوى العربى فى النواحي التالية :

(أ) تعميم التعليم الإلزامى أو الأساسى بحيث يستوعب كل من يقفون فى فئة العمر الناظر له ، وذلك من خلال توفير الأماكن الدراسية فى المرحلة الابتدائية ، بما يسهم فى زيادة معدلات الالتحاق لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، خاصة فى الأقطار العربية

الكثيفة السكان ، والأقطار الأقل نمواً ، وفى المناطق النائية والريفية وفى قطاع المرأة بوجه خاص .

(ب) التطوير الكيفى للتعليم بالمرحلة الابتدائية من خلال تحسين المرافق المدرسية والاهتمام بالأنشطة المدرسية ، وتحسين الأوضاع المالية والمهنية للعاملين بهذه المرحلة ... وغيرها من الأساليب التى يمكن أن تزيد من قدرة المدرسة الابتدائية على الاحتفاظ بتلاميذها أو استبقائهم بها إلى نهاية هذه المرحلة التعليمية ، بما يسهم فى خفض معدلات التسرب بهذه المرحلة ، ولا ينبغى فى هذا المجال تجاهل دور العوامل الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع العربى فى هذا المجال .

(ج) اتخاذ خطوات جادة وواقعية للقضاء على الأمية بين الكبار (١٥ سنة وما فوق) ، والذين يقع معظمهم فى المناطق الريفية والنائية والأحياء الفقيرة فى المدن ، ويمكن فى هذا المجال الاستعانة بمؤسسات التعليم غير النظامى والمؤسسات التربوية غير المقصودة كالراديو والتلفزيون ، والمؤسسات الدينية فى القيام بدور أساسى فى هذا المجال ، إضافة إلى ضرورة توجيه عناية خاصة لمحو أمية النساء وتعليم الفتيات ، وفى مقدور التنظيمات أو الجمعيات غير الحكومية أن تلعب دوراً مفيداً فى هذا المجال ، ويمكن فى هذا المجال القيام بالأنشطة التالية (٥٢) :

- تشجيع الفتيات على البقاء فى المدرسة حتى نهاية المرحلة الدراسية ، وعلى الاهتمام الجدى فى انخراطهن فى الحياة العامة .

- تعبئة المعلمات والنساء المثقفات لكى تساعدن رفيقاتهن على التحرر من الأمية .

- تعزيز الوعي بالدور الذى تلعبه النساء فى نقل المعارف والقيم ، وفى تطوير الأسر والمجتمعات .

- الاهتمام ببرامج تنمية المرأة الريفية من خلال توفير بعض المجالات لأداء بعض الأعمال والصناعات اليدوية البيئية .

- وضع برنامج يهدف إلى تعزيز مشاركة النساء فى محو الأمية .

(د) زيادة المخصصات المالية للتعليم من حيث نسبتها إلى الناتج الإجمالى القومى ، ونسبتها إلى الميزانية العامة لكل دولة ، وما يخص للفرد من التكلفة على تعليمه

سنواتاً ، مع العمل على زيادة كفاءة الأنفاق عليه وفاعليته ، ولعل ذلك يتطلب ضرورة إعادة النظر في تركيبة الهرم التعليمي من خلال الاهتمام بتوفير التعليم بنسب عالية في المستوى الأول .

٣ - التطوير المستمر للمناهج والمقررات الدراسية بحيث تلاحق تفجر المعرفة وثورة المعلوماتية ويمكن أن يتم ذلك من خلال :

(أ) التفريق بين ما هو علم محض ، وما هو تاريخ ، وما هو فلسفة للعلم ، بمعنى أن يتم التركيز على الأفكار الرئيسية والمفاهيم الأساسية للمادة التعليمية دون الحشو والتفاصيل .

(ب) الاهتمام بالدراسات البيئية والتخصصات الجديدة التي يتطلبها سوق العمل الحالي ، ونوعية المهن المطلوبة في القرن القادم .

(ج) تطوير طرق واستراتيجيات التدريس بحيث لا تقتصر فقط على الطرق التقليدية ، إنما تمتد لتشمل استخدام استراتيجيات فاعلة كالتعلم الذاتي ، والتعلم بالتمكن ، والتعلم بحل المشكلات والتعلم البرنامجي وطريقة الموديولات والحزم التعليمية وغيرها من الطرق التي تهتم بالفهم وترتبط بين النظرية والتطبيق ، وتهتم بالإبداع واستقلالية التفكير وإتاحة فرص التعلم الذاتي .

(د) أن يقترن التعليم النظري بالممارسة العملية ، والتأكيد على المهارات التي تمكن من مزاوله الأعمال بنجاح بعد التخرج ، مع الاهتمام بالأنشطة الطلابية .

(هـ) الاهتمام بالتقويم المستمر لكل جوانب العملية التعليمية ، وألا يقتصر الأمر في تقويم الطالب على قياس قدرات الحفظ فقط ، وإنما يمتد الفهم والتحليل والنقد ، وإلى قياس القدرة على أداء المهارات المطلوبة ، والكشف عن مدى إيمانه بالاتجاهات الجديدة .

٤ - توجيه مزيد من الاهتمام إلى التعليم الفني والتقني المهني بما يساهم في توفير وإعداد العمال المهرة والفنيين اللازمين لخطط التنمية المجتمعية في الوطن العربي . وذلك من خلال التوسع في هذا النوع من التعليم ، مع التركيز على النواحي التطبيقية والعملية ، ويمكن في هذا الاطار أن تتم التوأمة بين مؤسسات التعليم ومواقع الإنتاج

فى المصانع والمؤسسات الإنتاجية على نحو ما هو متبع فى ألمانيا ، مع العمل على تحقيق الموازنة فى التعليم الثانوى والتعليم العالى بين الطلب الفردى والطلب الاجتماعى على مخرجات هذا التعليم ، أو بين تطلعات الأسرة واحتياجات المجتمع للمتخرجين فى هذه المدارس والمؤسسات ، من خلال توعية أفراد المجتمع العربى بأهمية التعليم الثانوى خاصة الفنى والتقنى فى عملية التنمية المجتمعية والتوسع فى إنشاء المعاهد الفنية البوليتيكنيكية ، والمعاهد الجامعية التكنولوجية .. وغيرها من المؤسسات التى تتلائم مع متطلبات سوق العمل ، وترتبط ارتباطاً فعالاً بالمجتمع العربى ، كما يتعين على الجامعات العربية أن تشجع بكل الوسائل التخصصات العلمية ، التطبيقية والتقنية مع الإبقاء بالطبع على كليات العلوم الإنسانية ، وذلك بأن نطلع خريجى التعليم الثانوى على الإمكانيات المتاحة على الفروع العلمية ، وعلى فائدتها للمجتمع وما تتيحه من فرص العمل والتوظيف .

٥ - الاهتمام بإعداد هيئات التعليم وبرامج تدريبهم : فزيادة الطلب الاجتماعى على التعليم فى الوطن العربى تستلزم زيادة عدد المعلمين وترقية مستوى أدائهم ، وزيادة كفاءتهم المهنية وإعادة تأهيل غير المؤهلين منهم ويعملون فعلاً فى التعليم وهم عدد كبير ، وهذا يقتضى مراجعة جذرية ودائمة لمناهج إعداد المعلم فى الكليات والمعاهد لتلائم التطور الحادث فى مجالات المعرفة التربوية والممارسات التعليمية .

وبالنسبة لعضو هيئة التدريس بالجامعات العربية فمن الضرورى الاهتمام بالنمو المهنى والعلمى وهو ما يتطلب ضرورة اتباع الآتى :

(أ) تيسير فرص اشتراك عضو هيئة التدريس فى المؤتمرات والندوات العالمية والمحلية ذات الصلة بتخصصه الأكاديمى .

(ب) العمل على توفير الدوريات العلمية والمراجع الأساسية والكتب الحديثة بالمكتبات الجامعية ، بما يمكن من الاطلاع على المعارف الجديدة فى مجال تخصصه .

(ج) التوسع فى نظام تبادل الخبرات العلمية مع الجامعات العربية والأجنبية .

(د) تنظيم دورات تدريبية أو ورش عمل لشباب أعضاء هيئة التدريس لتدريبهم على الجديد فى مجال البحث العلمى ومهاراته ، والتدريس الجامعى ، ولاتقان اللغات الأجنبية ... وغيرها من المعارف الجديدة

(هـ) البحث عن صيغ جديدة لتقويم أداء عضو هيئة التدريس ، تسهم في تقويم أداء مهامه العلمية والتربوية ، وتسهم في تحقيق مزيد من النمو العلمى والمهنى لعضو هيئة التدريس .

٦ - العمل فى التوسع فى تقديم خدمات التعليم الجامعى والتعليم المستمر ، من خلال أفاط وبدائل ليست حكراً على الإطار المؤسسى التقليدى للجامعة أو الكلية ، والننى تجعل التعليم العالى مفتوحاً لفئات جديدة من الطلبة ، وتتبع أساليب مرنة فى القبول، وتعتمد على التقدم فى وسائل الاتصال لتقديم هذه الخدمات للطلاب أصحاب الظروف الخاصة ، والذين يزاولون مهنة ما ، وليس لديهم الوقت أو المكان لمواصلة تعليمهم فى المؤسسات الجامعية التقليدية ، والمساهمة فى إعادة تأهيل وتدريب خريجي النظام التعليمى أو الكوادر العاملة فى سوق العمل ورفع كفايتهم المهنية والعلمية ، ويشكل التعليم المفتوح والتعليم عن بعد أهم وأبرز هذه الصيغ وتلك الأنماط .

٧ - العمل على تطوير الدراسات العليا العربية بشكل يساعد على تلبية احتياجات المجتمع العربى الآتية والمستقبلية وذلك خلال الإجراءات التالية (٥٤) :

(أ) مراجعة أهداف الدراسات العليا مراجعة جذرية على النحو الذى يجعلها قادرة على مواجهة تحديات القرن القادم وضغوطه .

(ب) تطوير برامج الدراسات العليا بما يتناسب مع طبيعة هذه الدراسات فى القرن القادم ، كأن يتم استحداث برامج جديدة لدرجات علمية عليا يشترك فى منحها أكثر من قسم داخل الجامعة الواحدة أو بين عدة جامعات .

(ج) تجديد البرامج الحالية للدراسات العلمية العليا بحيث تؤسس على استحداث تخصصات حديثة ومداخل أكثر فاعلية لتطوير حلقات البحث العلمى وزيادة كفاءته.

(د) تدعيم الإمكانيات والتسهيلات البحثية (معملية ومعلوماتية وأبنية) بالتعاون مع الأقطار العربية ، ومع المؤسسات والهيئات الدولية على أن يتم إعادة توزيع الإمكانيات والتجهيزات المتاحة بشكل يسمح بأقصى استفادة ممكنة لها .

- (هـ) ضرورة التدقيق فى اختيار طلاب الدراسات العليا ، واستخدام اختبارات ومقاييس يمكن بها التعرف على مقدرة الطالب على البحث العلمى والدراسة المستقلة .
- (و) إنشاء مركز قومى لاقتصاديات التعليم العالى والدراسات العليا ، مع فتح الباب أمام المؤسسات الخدمية والإنتاجية للإسهام فى الدراسات العليا ، وبما يضمن موارد ثابتة لتمويله ، مع تحريك حماسة الجهود والمبادرات الشعبية للمشاركة فى هذا التمويل .
- (ز) دراسة فكرة إنشاء كليات مستقلة للدراسات العليا على مستوى كل جامعة كبيرة ، أو على مستوى القطر ، مع التفكير العاجل فى إنشاء عدد من مراكز ومؤسسات التميز الرفيع كتلك الموجودة فى الدول المتقدمة .

المراجع والهوامش

- ١ - السيد سلامة الخميسي : التربية وتحديث الإنسان العربى - سلسلة قضايا تربوية رقم (٢) علام الكتب - القاهرة - ١٩٨٨ ص ١٢ .
- ٢ - محمد فتحى : تعليم اليوم هو قضية القرن ٢١ ، هل المشكلة نقص موارد تطويره ؟ - مجلة الهلال - مؤسسة دار الهلال بالقاهرة - مارس ١٩٩٦ ص ١٦٦ .
- ٣ - عبد الله عبد العزيز الجلال : تربية اليسر وتخلف التنمية ، مدخل إلى دراسة النظام التربوى فى أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط - عالم المعرفة ... العدد (٩١) - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت ١٩٨٥ ص ١٥ .
- ٤ - حامد عمار : فى اقتصاديات التعليم - المركز العربى للبحث والنشر - القاهرة ١٩٨٤ ص ١٨ .
- ٥ - سمير نعيم أحمد : التحديات الاجتماعية للتنمية والمشكلات الاجتماعية فى كتاب : الدراسة العلمية للسلوك الإجرامى ، مقالات فى المشكلات الاجتماعية والانحراف الاجتماعى - مكتبة سعيد رأفت - القاهرة ١٩٦٩ ص ٢-٣ .
- ٦ - السيد سلامة الخميسي : مرجع سابق ص ١٧ .
- ٧ - محمد نبيل نوفل ، ناتر سارة : من الثورة التعليمية إلى الثورة على التعليم ، الأسس النظرية والمنهجية لمشروع مستقبل التعليم فى الوطن العربى - المنابر - السنة الثانية - العدد الحادى عشر - نوفمبر ١٩٨٧ ص ٣١ .
- ٨ - المرجع السابق ص ٣١ .
- ٩ - أحمد فتحى سرور : استراتيجية تطوير التعليم فى مصر - وزارة التربية والتعليم - القاهرة ١٩٨٧ ص ٧ .
- ١٠ - سعيد إسماعيل على : التعليم وتحديات المستقبل - مجلة الهلال - مؤسسة دار الهلال بالقاهرة - يناير ١٩٨٥ ص ٤٥ .
- ١١ - جمال على الدهشان : الجديد فى تطوير التعليم الجامعى - بحوث مؤتمر التعليم العالى فى مصر وتحديات القرن ٢١ - جامعة المنوفية ١٩٩٦ ص ١٨٧ .
- ١٢ - ضياء الدين زاهر : الدراسات العليا العربية ، الواقع وسيناريوهات المستقبل - مستقبل التربية العربية - المجلد الأول - العدد الأول - مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية بالقاهرة - ينا ١٩٩٥ ص ١٤ .

- ١٣ - حازم الببلاوى : على أبواب عصر جديد - دار الشروق (مشروع مكتبة الأسرة) - القاهرة ١٩٩٧ ص ١١ .
- ١٤ - عبد الفتاح أحمد جلال : تجديد العملية التعليمية فى جامعة المستقبل - مجلة العلوم التربوية المجلد الأول - العدد الأول - معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة - يوليو ١٩٩٣ ص ٢٦ .
- ١٥ - محمد فوزى عبد المقصود : جامعة المستقبل فى مصر « تصور مقترح » - دراسات تربوية المجلد الثامن - الجزء ٤٩ - سلسلة أبحاث تصدرها رابطة التربية الحديثة - القاهرة ١٩٩٣ ص ٤٩ .
- ١٦ - المزيد من التفاصيل عن هذه الثورة وعلاقتها بالتعليم انظر :
- UNESCO : Education and Informatics: The state of the Art and Beyond, Paris, 1994.
- ١٧ - ضياء الدين زاهر : مرجع سابق ص ١٤ .
- ١٨ - حازم الببلاوى : مرجع سابق ص ١٥ .
- ١٩ - لمزيد من التفصيل حول هذا الاتجاه ، يمكن الرجوع إلى :
- Joseph J. Noellekman (ed): Interdisciplinary and Higher Education, The Pennsylvania State University Press, 1979.
- ٢٠ - ضياء الدين زاهر : التخطيط الشبكي للبرامج والمشروعات التعليمية - دار سعاد الصباح ومركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية - القاهرة ١٩٩٢ ص ٨ .
- ٢١ - عبد الفتاح أحمد جلال : مرجع سابق ص ٢١ .
- ٢٢ - نبيل على : العرب وعصر المعلومات - عالم المعرفة - العدد (١٨٤) المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت ١٩٩٤ ص ٣٩٢ .
- ٢٣ - ضياء الدين زاهر: الدراسات العليا العربية ، الواقع وسيناريوهات المستقبل : مرجع سابق ص ١٥ .
- ٢٤ - جمال على الدهشان : مرجع سابق ت ١٨٩-١٩٠ .
- ٢٥ - حازم الببلاوى : مرجع سابق ص ١٦ .
- ٢٦ - محمود عباس عابدين : مسيرة علم اقتصاديات التعليم ، علامات على الطريق ، وإطلاله على المستقبل ، فى الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس - المجلد السادس عشر (تحرير سعيد إسماعيل على) دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٩٠ ص ١٦ .
- ٢٧ - عبد الفتاح عبود : الأيدولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة - الطبعة الثالثة - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٨٠ ص ٤٢٢ .

- ٢٨ - حامد عمار : تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي - في كتاب في بناء الإنسان العربي - مركز ابن خلدون للدراسات الإثنائية ودار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٢ ص ٨٥ .
- ٢٩ - حامد عمار : التنمية البشرية في الوطن العربي ، المفاهيم ، المؤشرات ، الأوضاع - سينا للنشر - القاهرة ١٩٩٢ ص ١٥٠-١٥١ .
- ٣٠ - أحمد المهدي عبد الحليم : التحديات التربوية للأمة العربية ، مستقبل التربية العربية - المجلد الأول - العدد الثالث - مركز ابن خلدون للدراسات الإثنائية - القاهرة - يوليو ١٩٩٥ ص ١٣ .
- ٣١ - حامد عمار : التنمية البشرية في الوطن العربي ، مرجع سابق ص ١٥٢ .
- معدل الالتحاق الإجمالي : هو عدد المتحقين من التلاميذ في المدرسة الابتدائية سواء كانوا أقل أو أكثر من أعمارهم في الفئة العمرية المناظرة لهذه المرحلة التعليمية ، كنسبة مئوية من السكان الذين هم في فئة العمر المناظر من ٦-١١ سنة ، ويلاحظ أن هذا المعدل قد يصل إلى ١٠٠٪ أو يتجاوزها ، ولا يستنتج من ذلك أن جميع أطفال الفئة العمرية قد تم استيعابهم كاملاً في المدارس ، وإنما يعني أن هذا المعدل يدخل في حسابه أطفالاً أصغر أو أكبر من الفئة العمرية ، إما بسبب تقدم سنهم أو تأخرها بسبب الرسوب والإعادة .
- معدل الالتحاق الصافي : هو عدد المتحقين من التلاميذ في المدرسة الابتدائية ممن هم في فئة السن من ٦-١١ فقط كنسبة مئوية من السكان الذين هم في فئة العمر المناظرة من ٦-١١ فقط وهو في الغالب معدل أقل من معدل الالتحاق الإجمالي .
- معدل التسرب من الدراسة : وهو عدد التلاميذ الذين يتركون المدرسة ولا يعودون إليها كنسبة مئوية من مجموع المتحقين .
- ٣٢ - المرجع السابق ص ١٥٥ .
- ٣٣ - مكتب اليونسكو الإقليمي في البلاد العربية : التطور الكمي للتعليم الابتدائي ومحو الأمية في المنطقة العربية (تحليل إحصائي) - مجلة التربية الجديدة - العدد (٤٥) - عدد خاص - السنة (١٥) - بيروت - سبتمبر/ديسمبر ١٩٨٨ ، جدول رقم ٥ ، ٦ .
- ٣٤ - حامد عمار : التنمية البشرية في الوطن العربي - مرجع سابق ص ١٥٥ .
- ٣٥ - المرجع السابق : ص ١٤٩ .
- ٣٦ - تأمين حاجات التعلم الأساسية : رؤية للتسعينات ، وثيقة عن الخلفيات ، المؤتمر العالمي حول التربية للجميع ، باريس ، نوفمبر ١٩٩٠ ص ٩٠ نقلاً عن مجلة مستقبلات ، المجلد العشرون - العدد ٤ - مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة ١٩٩٠ ص ٤٨٠ .

٣٧ - بهانى الناصر : الأمية فى الدول العربية حاضرها وأفاقها المستقبلية - مستقبلات - المجلد العشرون - العدد ٤ - مرجع سابق ص ٥٦٨ .

● لمزيد من التفاصيل عن حجم الأمية فى الدول العربية ، والجهود المبذولة فى مجال محو الأمية يمكن الرجوع إلى بحث نهانى الناصر فى المرجع السابق .

- تزايد العدد المطلق للأمية من ٤٩ مليوناً فى عام ١٩٧٥ إلى ٦٣.٧ مليوناً فى عام ١٩٩٠ وان كانت النسبة العامة للأمية قد انخفضت من ٧٦٪ إلى حوالى ٥١٪ .

٣٨ - أحمد المهدي عبد الحليم : مرجع سابق ص ١٣ .

٣٩ - المرجع السابق : ص ١٣ .

٤٠ - حامد عمار : التنمية البشرية فى الوطن العربى - مرجع سابق ص ١٥٨ .

٤١ - أحمد المهدي عبد الحليم : مرجع سابق ص ١٣ .

٤٢ - حامد عمار : تنمية الموارد البشرية فى الوطن العربى ، مرجع سابق ص ٨٧ .

٤٣ - حامد عمار : الإنسان العربى محوراً للتنمية الاجتماعية : فى كتاب : فى بناء الإنسان العربى : مرجع سابق ص ٦٠ .

٤٤ - تقرير البنك الدولى ١٩٩٠ - جدول رقم ٢٩ - نقلاً عن حامد عمار - مرجع سابق ص ١٥٩ .

● تم التوصل إلى هذه النسب اعتماداً على المصادر التالية :

Human development report,1990 table. 9.

- حامد عمار : مرجع سابق ص ١٦١ .

- عبد الفتاح أحمد جلال : جودة مؤسسات التعليم العالى وفعاليتها ، استراتيجيات تحقيق الكفاية والقويم المستمر - مجلة العلوم التربوية - المجلد الأول - العدد الأول - معهد الدراسات التربوية - جامعة القاهرة - يوليو ١٩٩٣ ص ١٧٤ .

- إسماعيل صبرى عبد الله : تمويل التعليم العالى ، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التعليم العالى فى مصر وتحديات القرن ٢١ - جامعة المنوفية - مايو ١٩٩٦ ص ١٦ .

- حسان محمد حسان : تمويل التعليم العالى فى مصر - ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التعليم العالى فى مصر وتحديات القرن ٢١ - جامعة المنوفية - مايو ١٩٩٦ ص ٤ .

٤٥ - راجى أبو شقرا : مشكلات التعليم العالى فى الدول العربية - مستقبلات - المجلد ٢١ - العدد

٣ - مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة ١٩٩١ ص ٤٥٠ .

٤٦ - عبد الله بطانة : جدوى تطوير نظم التعليم العالى عن بعد فى المنطقة العربية . المبررات

والمقترحات - وقائع ندوة التعليم العالى عن بعد - مكتب التربية العربى لدول الخليج - البحرين

٢-١٩٨٦/١١/٦-١١٠ ص .

٤٧ - راجى أبو شقرا : مرجع سابق - ص ٤٤٧-٤٤٩ .

٤٨ - المرجع السابق ، ص ٤٥٠-٤٥١ .

٤٩ - لمزيد من التفاصيل عن أهم جوانب هذه الأزمة يمكن الرجوع إلى :

- ضياء الدين زاهر : الدراسات العليا العربية ، الواقع وسيناريوهات للمستقبل - مرجع سابق .

٥٠ - المرجع السابق : ص ١٦ .

٥١ - حامد عمار : تنمية الموارد البشرية فى الوطن العربى - مرجع سابق - ص ٨٨ .

٥٢ - راجى أبو شقرا : مرجع سابق - ص ٤٥٣-٤٥٧ .

٥٣ - بهانى الناصر : مرجع سابق - ص ٥٦٣ .

٥٤ - ضياء الدين زاهر : الدراسات العليا العربية ، الواقع وسيناريوهات للمستقبل - مرجع سابق .

الوقت الذى تتحقق فيه الوفاة

المعايير الطبية لتحديده والنتائج الشرعية المترتبة عليه

لواء دكتور / سعيد سيف النصر (*)

تقديم :

كثير النقاش والجدل فى الآونة الأخيرة من جانب الأطباء والعلماء حول تحديد لحظة موت الإنسان ، أى تحديد اللحظة التى تفارق فيها الروح الجسد لصعودها إلى بارئها ، فالإنسان كما يقولون ليس إلا روح فى جسد ، وجسد متبخر فى روح .

ومما يجدر ذكره أن أحداً من البشر لا يمكنه بأى حال من الأحوال التكهن مسبقاً بلحظة مفارقة الروح للجسد لقول المولى سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم ^(١) ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

لكن الأطباء وأهل الفقه والعلم يحاولون دائماً تحديد كيفية حدوث الوفاة لجسم الإنسان وذلك بانقطاع الحياة الطبيعية عن هذا الجسم وتحويله إلى كيان مادى ، مستعينين فى ذلك بدلائل وإشارات معينة ، فضلاً عن استخدام وسائل فنية وأجهزة علمية تتطور يوماً بعد يوم عسى أن تصل يوماً إلى قول فصل فى هذه المسألة ، وهذا ما أوضحه البعض بقوله ^(٢) « لا حرج هنا من الاعتماد على النظريات العلمية التى تحاول فى حدود قدرة البشر وعلمهم ، بيان كيفية حدوث الموت داخل الإنسان لأن النصوص القرآنية وإن أفادت بأن الموت يحدث بتجرد الروح من الجسد ، إلا أنها لم تضع تفصيلات تتعلق بكيفية حدوث الموت ومراحله وهو الأمر الذى يرجع فيه ، حسب قواعد الشرع إلى أهل الذكر أى أهل الاختصاص وهم الأطباء .

وتبدو أهمية تحديد لحظة الوفاة تلك وتحويل جسد الإنسان إلى كيان مادى ، فيما يترتب عليها من نتائج فى منتهى الخطورة .

(*) أستاذ القانون التجارى بكلية الشرطة - مصر .

من هنا ستقوم بعون الله ببحث هذا الموضوع من خلال تقسيمه إلى مبحثين كالآتي :

المبحث الأول : المعايير الطبية لتحديد لحظة وفاة الإنسان .

المبحث الثاني : النتائج المترتبة على تحديد لحظة الوفاة .

المبحث الأول

المعايير الطبية لتحديد لحظة وفاة الإنسان

تعددت المعايير الطبية التي تحدد لحظة وفاة الإنسان أى تلك اللحظة التي يتحول فيها جسد الإنسان من كائن حى إلى كيان مادى لا حركة له ولا حياة فيه ، وتختلف هذه المعايير من حيث الإشارات والدلالات التي تدل على بقاء أو مفارقة الروح للجسد وبالتالي موت الإنسان . ويمكن تركيز هذه المعايير فى ثلاثة : المعيار التقليدى ، المعيار الحديث ، المعيار الشرعى .

فالمعيار التقليدى يعتمد أساساً على توقف القلب والرئتين مع وجود بعض الدلالات العضوية التي يستنتج منها حدوث لحظة الوفاة للإنسان .

أما المعيار الحديث فيعتمد بصفة أساسية على موت خلايا جذع المخ وتوقف المراكز العصبية الرئيسية التي تتحكم فى وظائف الجسم ومن ثم توقف الدلائل الإكلينيكية المختلفة فى جسم الإنسان ومن ثم لحظة وفاته .

ويعتمد المعيار الشرعى على قاعدة مفادها أن ملازمة الروح للجسد مرهونة بصلاحية هذا الجسد لخدمة هذه الروح وتنفيذ أوامرها وقبول آثارها . ويجمع هذا المعيارين ما أخذ به المعيار التقليدى من توقف الدورة الدموية (القلب) والدورة التنفسية (الرئة) وبين ما أخذ به المعيار الطب الحديث من توقف خلايا المخ توقفا تاما .

وفيما يلى نعرض هذه المعايير على النحو التالى :

أولاً : لحظة الوفاة وفقاً للمعيار التقليدى للموت .

ثانياً : لحظة الوفاة وفقاً للمعيار الحديث للموت .

ثالثاً : لحظة الوفاة وفقاً للمعيار الشرعى للموت .

أولاً: لحظة وفاة الإنسان وفقاً للمعيار التقليدي للموت:

يعتمد هذا المعيار أساساً على التوقف النهائي للدورة الدموية (القلب) والجهاز التنفسي (الرئتين) حيث يؤدي توقف القلب والرئتان إلى حرمان المخ من سريان الدم والأكسجين إليه ، الأمر الذي ينتهي إلى حدوث تليف فى المراكز المختلفة من المخ تتفاوت بحسب درجة نقص كمية الدم والأكسجين وكذا قصر أو طول مدة الانقطاع .

لكن انقطاع الدم والأكسجين عن المخ قد لا يؤدي بالضرورة إلى حدوث لحظة الوفاة فى ذات لحظة الانقطاع ، فقد يفوق الشخص بعد ذلك مع ترتيب بعض الآثار التى تختلف درجاتها بحسب حده ومدة هذا الانقطاع .

ففى الحالات الشديدة قد يصاب الشخص بغيبوبة نتيجة تلف أجزاء كبيرة من المخ ، فإذا كانت الغيبوبة نهائية بمعنى توقف المخ نهائياً بما فى ذلك المراكز العصبية الهامة التى تتحكم فى الوعى والكلام والحركة والذاكرة والتنفس والسمع والبصر والدورة الدموية والسيطرة على الغدد ، وعلى درجة الحرارة وتنظيم الأعضاء الهامة ، وقد أثبت الطب الحديث عدم الفائدة من استمرار العلاج فى هذه الحالة بكافة الوسائل الصناعية .

ومع ذلك يقرر أحد الأطباء إشارة إلى حالة غلام فى الخامسة عشر من عمره أصيب فى حادثة وظل فى غيبوبة مدة أسبوعين وكان يمكن اعتباره ميتاً ، لكن بمتابعة إعطائه بعض العقاقير والإبقاء على التنفس الصناعى له استطاع أن يسترد صحته ولهذا اقترح ضرورة الاعتداد بمعيار هام وهو درجة ما يستهلكه المخ من أكسجين .

وقد يصاب الشخص بالذهول بالدرجة التى تفقده معرفة المحيطين به ، وقد يصاب الشخص بشلل نتيجة خلل فى خلايا المخ تؤثر فى قدرته على الإدراك والانتباه والتفكير .

وعلى أى حال فإن قلب الإنسان قد يتوقف عن العمل بينما تظل خلايا مخه حية ، وموت الإنسان هنا ليس إلا موتاً من الناحية الظاهرية فقط ، حيث أنه من الممكن عن طريق أجهزة التنفس الصناعية كوسائل الإنعاش أو الصدمات الكهربائية إعادة القلب إلى عمله الطبيعى .

ويقرر البعض^(٤) أن (الموت الحقيقى ، الذى لا رجعة فيه إلى الحياة من بعده ، لا يتحقق بتوقف أجهزة الجسم عن عملها ولكن بموتها وتحللها إلى عناصرها الأولية) .

لكن هذا الرأي منتقد باعتبار أنه قول يخالف الواقع لأنه أمكن حفظ الجثث من التحلل على مدى ألوف السنين أيضاً إلى قوله تعالى (٥) ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ والواو هنا تفيد المغايرة أو تحلل الجسم إلى تراب نتيجة الموت .

ويتنوع الموت إلى ثلاثة أنواع (٦) كل نوع منها يمثل مرحلة الموت ، ففي الأحوال العادية يحدث الموت الإكلينيكي ، في مرحلة أولى حيث تتوقف الرئتان عن العمل ، وفي مرحلة ثانية تموت خلايا المخ بعد بضع دقائق من توقف وصول الدم المحمل بالأكسجين للمخ، وبعد حدوث هاتين المرحلتين تظل خلايا الجسم حية لمدة تختلف من عضو إلى آخر وفي نهايتها تموت هذه الخلايا فيحدث ما يسمى بالموت الخلوي ، وهو يمثل المرحلة الثالثة للموت .

ويلاحظ أن تحديد لحظة الوفاة يتوقف القلب والرئتان عن العمل أي توقف الدورة الدموية والجهاز التنفسي لا يعد في حد ذاته مبرراً لتدخل الطبيب الجراح باستئصال الأعضاء ، إلا بعد التأكد التام من موت الإنسان ، وبالتالي فإن الاعتماد على توقف القلب والتنفس ، لا يمكن معه إجراء عمليات نقل للأعضاء المفردة كالقلب والكبد (٧) ، إذ إن مثل هذه الأعضاء تتطلب سرعة استئصالها للمحافظة على قيمتها البيولوجية ، فالقلب إذا ماتت خلاياه ، فقد صلاحيته للزرع بديلاً عن قلب آخر ، كما لا توجد بالنسبة للكبد أجهزة تستطيع أن ، تؤدي وظيفته مؤقتاً ، بحيث يظل العضو محتفظاً بأنسجته حتى تتم عملية النقل .

وقد أخذ بهذا المعيار القانون الإنجليزى الذى يحظر عمليات الاستقطاع من جثث الموتى قبل توقف جهاز الدورة الدموية عن العمل التلقائى وعلى نفس النهج سارت التشريعات اليابانية والدينامركية لأسباب دينية أو خلقية .

ثانياً: لحظة الوفاة وفقاً للمعيار الحديث للموت :

لقد كان لاكتشاف الوسائل التكنولوجية فى مجال العلوم الطبية الأثر الأكبر فى هجر المفهوم التقليدى للوفاة والبحث عن مفهوم دقيق وحاسم فى تحديد لحظة الوفاة الحقيقية للإنسان .

ومن هنا فقد استقر رأى الطب حديثاً على أنه ليست العبرة بتوقف القلب والجهاز التنفسى عن العمل ، باعتبارهما دليلاً على الوفاة ، وإنما العبرة بموت خلايا مخ الإنسان حتى ولو ظلت خلايا قلبه حية ، فإذا ماتت خلايا المخ بصورة نهائية فإنه يستحيل عودتها إلى الحياة ، ومن ثم يستحيل عودة الإنسان إلى الحياة الطبيعية ، فهذه اللحظة هى الحد الفاصل بين الموت والحياة ، ومن ثم فإن مناطق هذا المفهوم بموت خلايا المخ وذلك عندما يتوقف عمل المراكز العصبية العليا التى تتحكم فى وظائف الجسم ككل ، أى عندما يدخل الشخص فى حالة الغيبوبة الكبرى أو النهائية Coma Depasse بمعنى أن العبرة بموت خلايا جذع المخ وليست بموت خلايا قشرة المخ . فقد تتوقف خلايا قشرة المخ Cereprol Cortex تماماً عن العمل وينعدم النشاط الكهربائى فيها ، وبالرغم من ذلك فإنه من الممكن أن يعود النشاط إلى خلايا قشرة المخ وبذلك لا يفارق الإنسان الحياة ، وقد أثبتت بعض الوقائع هذه الحقيقة مثلما حدث لطفلة من إنجلترا حيث وضعت بعد حادث وقع لها تحت أجهزة التنفس الصناعى ، وظلت فى غيبوبة تحت العناية المركزة وقد رفض والدها أن يؤخذ منها أى أعضاء رغم توقف قشرة المخ تماماً وانعدام النشاط الكهربائى بها إلا أن النشاط الكهربائى عاد إلى قشرة المخ ، وعاشت الطفلة بعد ذلك حياة عادية وقد أدى ذلك إلى إثارة الرأى العام هناك ، وتوقف حالات نقل الأعضاء من الموتى حديثى الوفاة لمدة تزيد عن خمس سنوات ، مما حدا بالتخصصيين فى المراكز العلمية إلى إجراء مزيد من البحوث والدراسات الجديدة فى هذا الشأن .

وبناء على ما تقدم فإن العبرة فى تحديد لحظة الوفاة ليست بتوقف نشاط قشرة المخ ، وإنما يتوقف نشاط المراكز الرئيسية الموجودة بجذع المخ وحتى يمكن القول بموت الإنسان حقيقياً .

ومما يجدر ذكره أن اختفاء التنفس التلقائى يعنى توقف مركز التنفس الموجود بجذع المخ ، أما توقف القلب فيمر بعدة مراحل ، إذ أنه فى حالة توقفه على المستوى العادى حيث يعمل المنظم الأدنى وهو المنظم الأول ، أما فى حالة توقف مركز تنظيم القلب الموجود فى قاع المخ فهناك المنظم الثانى الموجود فى البطين وهو منظم بديل ولذلك فنشاطه أقل ، وفى حالة توقف هذا المنظم أيضاً فإن المنظم الثالث الموجود فى عضلة القلب يبدأ فى العمل ، حيث تعمل هذه العضلة تلقائياً .

ويلاحظ أن المنظمين الثانى والثالث يؤديان وظيفتهما بمعزل عن المخ والجهاز التنفسى ، ولذلك يستمر القلب يؤدى وظيفته لدقائق فقط قبيل لحظة تحقيق الوفاة بمعناها الحقيقى . وإذا ما تم تركيب جهاز تنفس صناعى بعد توقف وظائف قاع المخ والجهاز التنفسى ، فإن القلب يستمر فى الخفقان وتستمر باقى أعضاء الجسم فى أداء وظائفها ، عدا المخ الذى يتوقف بتوقف عمل جذع المخ .

ونظراً للأهمية الشديدة لتحديد لحظة الوفاة فقد شارك كثير من الهيئات العلمية المتخصصة فى وضع معايير للاسترشاد بها وفى هذا الشأن ومن ذلك اللجنة الدولية للمنظمة العالمية للصحة وأيضاً لجنة أمريكية مكونة من اثنى عشر باحثاً تابعين لجامعة هارفرد ومن هذه المعايير :

- ١ - فقدان التام للشعور بأى إحساس .
- ٢ - إنعدام الحركة العضلية اللا شعورية .
- ٣ - توقف التنفس الذاتى .
- ٤ - انخفاض الضغط الشريانى من لحظة فصل أجهزة التنفس الصناعية .
- ٥ - عدم إعطاء جهاز رسم المخ الكهربائى لأى إشارة خلال فترة زمنية كافية .
- ٦ - انعدام المنعكسات الحركية عند تعرضها للضوء الشديد .

وذهبت الجمعية الطبية البريطانية لوضع ثلاثة شروط للوفاة الحقيقية :

- ١ - توقف القلب لمدة أكثر من ١٥ دقيقة .
- ٢ - توقف التنفس التلقائى لمدة ٥ دقائق .
- ٣ - عدم إعطاء جهاز رسم المخ الكهربائى لأى إشارة أكثر من ٥ دقائق .

وأخيراً وفى مجال تبادى إعلان الموت المبكر للشخص المعطى لأعضائه البشرية يتجه القانون المقارن إلى اشتراط أن يكون الفريق الطبى الذى يعلن الوفاة غير ذلك الذى يباشر عملياً نقل الأعضاء والغرض من ذلك تبادى أن يعلن بعض الأطباء الموت المبكر للشخص حتى يتسنى لهم إجراء مثل هذه العمليات بدافع تحقيق نصر علمى .

وهكذا فإن المفهوم الحديث لتحديد لحظة الموت وإن كان قد استقر عليه الطب الحديث وأخذت به معظم التشريعات الحديثة ، إلا أنه ليس بكاف لتحديد لحظة الموت بدليل أن كل من أخذ بهذا المفهوم تدارك الأمر بعدم الاعتداد بجهاز رسم المخ الكهربائى وحده بل استند على تقرير الأطباء بملاحظة التغيرات التى تحدث بالجسم حتى وفاته ، مع مضى وقت كاف بعد الوفاة والبدء فى استقطاع الأعضاء من الجثة .

وما يجدر ذكره أنه بحسب الخبرة الطبية الحديثة لم يتفق على تعريف محدد للوفاة بموت المخ ، وما يتم تشخيصه فى أمريكا على أنه موت المخ يتم علاجه فى فرنسا بل تختلف المراكز والمستشفيات من منطقة لمنطقة أو من ولاية لأخرى حول علامات ودلائل موت المخ ، كذلك الطرق المستخدمة فى تشخيص تلك الحالة .

وبناء عليه لا يجوز قانوناً استقطاع أى عضو من شخص وهو فى غيبوبة ، ذلك لأنه وإن كان الشخص قد مات طبيياً بموت خلايا مخه ، إلا أنه مع ذلك يعتبر حياً من الناحية القانونية (أ) ، فالإنسان قانوناً إما ميت وإما حي ، ولكن العلم الحديث بما أوتى من إمكانيات طبية وبيولوجية كشف لنا عن طائفة جديدة قوامها الأشخاص الذين فى حالة ما بين الحياة والموت أى الذين هم فى غيبوبة نهائية ، فالشخص هنا يعتبر ميتاً فى ظن الأطباء حتى قبل إعلان وفاته ، إلا أنه ما يزال حياً فى نظر رجال الفقه والقانون طالما لم تعلن هذه الوفاة ومن ثم فإن الشخص يتمتع بحقوقه كاملة كالحق فى الحياة ، والحق فى سلامة جسمه حتى تعلن وفاته ، الأمر الذى دعا رجال الفقه والقانون إلى عدم الاعتراف للإنسان بالموت إلا بعد اتخاذ الإجراءات الرسمية لإعلان وفاته .

والخلاصة أنه بموت خلايا جذع المخ وتوقفها عن العمل بانقطاع نشاطها للأبد ، يعتبر الشخص ميتاً ، حتى ولو احتفظ القلب والرئتان بنشاطهما ، والإنسان هنا يعد مصدراً طبيياً لقطع الغيار البشرية ، حيث أن أعضائه فى هذه الحالة لا تزال حية من الناحية البيولوجية ، بينما يعد الإنسان فى نفس الوقت ميتاً من الناحية القانونية .

لذلك فإن استئصال قطع الغيار أو الأعضاء من جثة الميت وهو على هذا الحال بغرض زرعها فى جسم الإنسان لإنقاذه من الهلاك يعد مبرراً كافياً لاستمرار الأجهزة الصناعية ليس بهدف حفظ الحياة ، فالحياة قد انتهت بالفعل ، وإنما بهدف بقاء وحفظ الأعضاء الحية ، وهو أمر ضرورى لصلاحية زرعها فى جسم إنسان آخر .

وقد أخذت بعض القوانين بالمفهوم الحديث لمفهوم الموت أو لحظة الوفاة ، حيث استقر الطب فى الوقت الحاضر على أن حياة الإنسان تنتهى عندما يموت خلايا مخه حتى ، ولو ظلت خلايا قلبه حية ، إذ أن موت خلايا جذع المخ نهائياً تنتهى الحياة ويستحيل عودتها ، ومن هذه القوانين التى أخذت بهذا المفهوم القانون السويسرى والقانون الفنزويلى والقانون الأسبانى وقريب منها القانون الفرنسى .

ففى سويسرا أشارت التعليمات الصادرة عن الأكاديمية السويسرية للعلوم الطبية فى ٢٥ يناير عام ١٩٩٦ إلى أن موت المخ يؤدى بالضرورة إلى موت بقية أعضاء الجسم ويتم التحقيق من هذا الموت عن طريق أجهزة رسم المخ الكهربائى ويعتبر الشخص ميتاً إذا توافرت الحالتان الآتيتان أو إحداهما :

- التوقف النهائى للقلب أو الدورة الدموية .

- التوقف النهائى لوظائف المخ .

ويجب أن يتحقق من الوفاة المعالج أو الطبيب يستدعى لذلك بعد الوفاة .

وعند توقف القلب والرئتين عن العمل أو موت المخ يحق للطبيب أن يوقف نهائياً أجهزة الإنعاش الصناعى^(٩) وتبين هنا صراحة المشرع إذ اعتبر الشخص ميتاً بتوافر الحالتين أو إحداهما ، أو بمعنى آخر فالشخص يعتبر ميتاً إذا توقف قلبه أو دورته الدموية ، وفى تطور لاحق أصدر مجلس الدولة لمقاطعة زيورخ فى ٢٥ مارس ١٩٧١ قرار يتضمن بعض القواعد الخاصة للتحقق من الوفاة لاستئصال الأعضاء من جثث الموتى ، وقد طعن مواطنوا زيورخ فى هذا القرار أمام المحكمة الفيدرالية على أساس انتهاكه للقوانين الشخصية التى نقلها القانون الخاص والدستور ، وفيما يتعلق بالتحقيق من الوفاة أشار القرار المذكور إلى أنه يجب أن يتم ذلك وفقاً لتعليمات الأكاديمية السويسرية للعلوم الطبية ، غير أن الطاعنين بنوا طعنهم على اعتبار أن هذا القرار يتعارض وألحق الدستورى للحياة كما أن الإحالة إلى تعليمات الأكاديمية من شأنها منح الأطباء سلطة التحكم والتعسف فى إعلان الوفاة خاصة وأنه يوجد فى الوقت الحاضر وسائل فنية حديثة كالإنعاش من شأنها إطالة بعض مظاهر الحياة لشخص قد مات بالفعل .

وقد رفضت المحكمة الفيدرالية هذا الطعن مستندة إلى أنه ليس هناك من شك في أن الدستور قد كفل حماية الحياة الإنسانية ، فالحق في الحياة لا يجوز أن يقيد أى قيد وأن الحياة التى يحميها الدستور تشمل عدة وظائف بيولوجية و نفسية لازمة للوجود الإنسانى ، ثم استدركت المحكمة مقررّة أنه ما دام لا يوجد نص خاص يحدد المعايير التى ينبغى الاستعانة بها لتشخيص الوفاة فإنه يتعين وفقاً للحق الدستورى اعتبار الشخص ميتا منذ التوقف النهائى لوظائف الحياة الأساسية ، فالمعايير التى تسمح بتأكيد ذلك وهى بالضرورة تلك التى تمثل مرحلة متقدمة من العلم ، ومن ثم فإن إحالة القرار المطعون فيه إلى تعليمات الأكاديمية السويسرية للعلوم الطبية لا يشكل انتهاكاً لحق الفيدرالى .

والمحكمة الفيدرالية السويسرية لم تقحم نفسها فى محاولات علمية واعتبرت أن وفاة المخ لا يكون مؤكداً إلا من اللحظة التى يثبت فيها أن توقف وظائف المخ وعند هذه اللحظة أى لحظة الموت تنقضى الحماية الدستورية للحياة .

كما ذهب القانون الفنزولى الصادر فى ١٩ يوليو عام ١٩٧٢ إلى أن التوقف النهائى لنشاط المخ هو معيار الموت الحقيقى للإنسان ، ويتم تحديد لحظة الوفاة عن طريق الفحص الإكلينيكى مع مراعاة الوسائل الأخرى ، ويجب تحرير محضر بإثبات الوفاة يوقعه ثلاثة أطباء ويحرر من ثلاث نسخ ويتعين أن يكون الفريق الطبى الذى يقوم بإجراء عمليات الزرع مختلف تماماً عن الأطباء الذين تحققوا من الوفاة حسبما قررت المادة رقم ١٢ من هذا القانون .

ولم يضع المشرع فى فنزويلا ضوابط لتحديد لحظة الوفاة بل ترك الأمر لاستخدام الوسائل المتاحة للتأكد من حدوث الوفاة بموت خلايا المخ .

وفى أسبانيا صدر المرسوم الملكى رقم ٤٢٦ فى فبراير ١٩٨٠ والخاص بتطبيق القانون رقم ٣٠ الصادر فى ٢٧ أكتوبر ١٩٧٩ بشأن استئصال الأعضاء البشرية من جثث الموتى لإجراء عمليات النقل ، وقد أخذ بالمفهوم الحديث للوفاة وهو موت خلايا المخ مع ضرورة توافر العلامات الآتية :

- الانعدام التام لأى رد فعل تلقائى والاسترخاء التام للعضلات .
- انعدام التنفس التلقائى .
- التوقف النهائى لأى أثر لنشاط المخ لعدم تلقى جهاز رسم المخ الكهربائى أى إشارة .

وفى فرنسا صدر المرسوم الفرنسى بتاريخ ٢٤ إبريل ١٩٦٨ متضمنا مجموعة من الاحتياطات التى يجب على الأطباء مراعاتها للتأكد من حالة الوفاة التى تعتبر أن التحقق من وفاة شخص تحت الإنعاش لمدة طويلة يجب أن يحدد فى أخذ رأى طبيبين إحداهما على الأقل رئيس قسم بالمستشفى ويفضل أن يكون الآخر أخصائى فى جهاز رسم المخ الكهربائى .

وتثبت الوفاة عند وجود أدلة متوافقة على أن الأضرار التى أصابت الشخص غير قابلة للإصلاح ونهائية تماما ، وإنها تتعارض بصور قاطعة مع كونه على قيد الحياة .
ووضع القرار عدة ضوابط يستند إليها قرار التأكد من حدوث الوفاة هى :

- التحليل المنطقى للظروف التى وقعت فيها الحادثة .
- الطابع الصناعى الكامل للتنفس وذلك عن طريق استخدام وسائل الإنعاش .
- الانعدام التام لأى رد فعل تلقائى أو استرخاء العضلات تماما وانعدام الانعكاسات الحركية .
- عدم إعطاء جهاز رسم المخ الكهربائى لأى إشارة سواء من تلقاء نفسه أو عن طريق وسائل الإنعاش الصناعى وذلك خلال مدة تقدر بأنها كافية .

وعلى هذا فلا يمكن أن يتقرر التوقف النهائى لوظائف الجسم إلا بتوقف للدلائل الإكلينيكية المختلفة أو عدم إعطاء جهاز رسم المخ الكهربائى لأية إشارات . ولا يمكن القول بموت المريض لمجرد توافر علامة واحدة من العلامات السابقة ، وشهادة الوفاة التى تصدر لشخص خضع للإنعاش مدة طويلة يمكن إصدارها بعد أخذ رأى الطبيب ومحضر إثبات الوفاة من طبيب ويحرر من ثلاث نسخ يحتفظ كل من الطبيبين بنسخة وتحفظ النسخة الثالثة بإدارة المستشفى وإذا تم التحقق من موت الشخص الرابض جسده تحت أجهزة الإنعاش الصناعى فيمكن حينئذ إيقاف محاولات الإنعاش التنفسية والكلية .

ولا يمكن استئصال أى عضو من الجثة قبل التحقق تماما من الوفاة ، وإذا تم التحقق من الوفاة وأريد استئصال عضو من الجثة لأغراض علاجية ، فإنه يسمح باستمرار وسائل الإنعاش حتى يمكن المحافظة على العضو المراد استقطاعه فى حالة صلاحة لزراعته فى جسد شخص آخر (١٠)

وقد صدر المرسوم رقم ٧٨/٥٠١ الصادر فى ٣١ مارس ١٩٧٨ بتطبيق قانون ٢٢ ديسمبر ١٩٧١ والمخاص بنقل وزرع الأعضاء البشرية وتعرض الفصل الرابع منه لطرق وإجراءات التحقق من الوفاة .

فقد نصت المادة رقم ٢٥ من هذا المرسوم على أنه لا يمكن إجراء أى استئصال من الجثة لأغراض علاجية أو علمية دون التحقق من الوفاة طبقاً للشروط المنصوص عليها فى المادة الثانية من طبيبين من المستشفى إحداهما يجب أن يكون رئيس قسم ونائبه ، وفى حالة الاستئصال لأغراض علاجية يجب أن يكون الفريق الطبى الذى يقوم بإجراء الاستئصال أو الزرع مختلفاً تماماً عن الأطباء الذين تحققتوا من الوفاة .

ونصت المادة رقم ٢١ من المرسوم على أن التثبيت من الوفاة يستند بصورة أساسية على تطابق الأدلة الإكلينيكية بحيث تسمح للأطباء القول بموت الشخص ويجب تحديد الوسائل المستخدمة لهذا الغرض بقرار من وزير الصحة بعد أخذ رأى الأكاديمية الوطنية للطب ونقابة الأطباء الفرنسية ، وعلى الأطباء أن يحرروا محضراً يحددون فيه الوسائل المستخدمة والنتائج التى تم الحصول عليها وتاريخ وساعة تحقيقها .

وهكذا فإن المشرع الفرنسى وإن كان فى البداية لم يصدر تشريعاً بتعريف الموت ، وترك ذلك للطب ، إلا أنه أى المشرع اضطر للاعتراف بعدم كتابة وسائل التثبيت من الموت القائمة على توقف القلب والدورة الدموية ووجد أنه لا مناص من الأخذ بالمفهوم الحديث للوفاة مع وضع معايير أخرى له .

قالنا: لحظة الوفاة وفقاً للمعيار الشرعى للموت :

الموت عند علماء المسلمين معناه : أن تفيض روح الإنسان ، أى تذهب إلى بارئتها وذلك بمفارقتها للجسد ، وهذه المفارقة هى السبب الحقيقى لانتهاى حياة الإنسان ، إلا أنه لا يوجد دليل قاطع على تحديد اللحظة التى تتم فيها تلك المفارقة . على عكس معرفة الزمن الذى تبدأ فيه الحياة ، حيث يمكن للأطباء باستعمال الفحوص والوسائل العلمية الحديثة تحديد هذا الزمن .

وعلماء الإسلام لم يبحثوا فى اللحظة التى تفارق فيها الروح بدن الإنسان ، لكن الذين بحثوا فى هذه القضية أشاروا بصورة واضحة إلى قاعدة مفادها أن ملازمة الروح للجسد مرهونة بصلاحيه هذا الجسد لخدمة هذه الروح ، وتنفيذ أوامرها وقبول آثارها وأن الله عز وجل قد كتب عليها أن تفارق مسكنها المؤقت وهو جسد الإنسان عندما يغدو عاجزاً عن القيام بتلك الوظائف .

أما دليلهم على سبب انتهاء الحياة ، فهو قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ ١١ ﴾ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴿ أى أن الأرواح تفيض حين حضور آجالها والمقصود بالنفس فى هذه الآية مجموع الروح والبدن .

وكذلك قوله تعالى ﴿ ١٢ ﴾ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ﴿ فى هذه الآية إشارة واضحة إلى أن النفس ، وهى الروح كما قال المفسرون إنما يقترب خروجها بالموت ، وأن الملائكة يبسطون أيديهم لتناولها عندما يحين أجل الإنسان ، فالحياة تنتهى فى اللحظة التى تخرج فيها الأرواح .

ويمكن أن نستخلص من ذلك أن حياة الإنسان فى هذه الدنيا تنتهى عندما يغدو الجسد الإنسانى عاجزاً عن خدمة الروح والانفعال لها ومعنى هذه النتيجة أن العلم إذا استطاع أن يعرف اللحظة التى يصبح فيها الجسد عاجزاً عن القيام بكافة وظائفه الإرادية بصورة نهائية ، فقد وصل إلى الجواب عن السؤال متى تنتهى الحياة الإنسانية ﴿ ١٣ ﴾ .

يقول بدر الدين الزركشى أن الحياة المستقرة هى أن تكون الروح فى الجسد ومعها الحركة الاختيارية دون الاضطرارية كما لو كان إنسان وإخراج الجانى أو حيوان مفترس حشوته وأبائها فلا يجب القصاص فى هذه الحالة . ولو طعن إنسان وقطع بموته بعد ساعة أو يوم ، وقتله إنسان فى هذه الحالة وحب القصاص لأن حياته مستقرة وحركته الاختيارية موجودة ، ولهذا أخذوا بوصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بخلاف ما إذا بانث الحشوة لأن مجارى النفس قد ذهبت ، وصارت الحركة اضطرارية ... وأما حياة عيش المذبوح فهى التى لا يبقى معها إبصار أو نطق ولا حركة اختيارية .

وقد ذهب الفقهاء إلى اعتبار فقدان الإحساس والحركة الاختيارية علامات تورث غالبية الظن بوصول المجنى عليه إلى مرحلة الموت وأن حركة الاضطرارية الصادرة عن المجنى عليه لا تعطى غلبة الظن ببقاء الروح في الجسد إذا كانت وحدها ولم تقترن بأى نوع من الإحساس أو الحركة الاختيارية ولا يجعلون القصاص من نصيب الجاني الثانى إذ يكون فعلة القاتل واردة على جسم فيه الروح ، وقد تأثر الفقهاء فى ذلك بعلماء الطائفة الأولى ابن القيم والغزالي من أن الروح ترحل عن جسد صاحبها فى اللحظة التى يصبح فيها الجسد عاجزاً عن الانفعال للروح بأى نوع من الإحساس أو الاختيار .

وخلاصة ما ذهب إليه الفقهاء فى ذلك أن الموت معناه (مفارقة الروح للجسد) وأنه يحصل فى اللحظة التى يصير فيها الجسد عاجزاً عن الانفعال مع الروح .

وأن وجود أى نوع من الحس والإدراك والحركة الاختيارية يدل على بقاء الروح فى الجسد ، وغياب هذه المظاهر غياباً كاملاً يدل على مفارقة الروح للجسد ، وأن مجرد وجود حركة اضطرارية لا معنى له سوى وجود بقايا الحياة المجردة من معية الروح .

وقد ذهب من سائر هذا الاتجاه (١٥) إلى أن هذه النتيجة لا تختلف مع ما ذهب إليه علماء الطب الحديث من القول بحدوث الوفاة حين موت خلايا المخ باعتبار أنه ما من عملية إرادية يقوم بها أى عضو من أعضاء الجسم إلا وكان مصدرها نشاطاً معيناً يقوم به الدماغ وأن أى تلف جزئى فيه يقابله عجز أو تلف فى أعضاء وأجهزة معينة وأن عجزه الكامل سبب حتمى كعجز بقية الجسد عن القيام بجميع وظائفه الإرادية .

أى أنه لا تناقض بين رأى الشرع من حدوث الموت عند صيرورة الجسد عاجزاً عن الانفعال لأمر الروح ، باعتبار أن موت المخ يجعل الجسد عاجزاً عن القيام بأى نشاط أو إدراك وإن كان أصحاب هذا الاتجاه يختلفون فقط مع العلماء الماديين - الذين لا يعترفون إلا بالوقائع المادية - فى أن هناك مخلوقاً غير مادى فى جسم الإنسان فى خلق الله عاقلاً يستفيد من الحركات المادية التى يقوم بها أعضاء الجسد بتأثره هو تتجمع محصلتها فى المخ فيصدر عن ذلك المخلوق التصرف الإنسانى تعبيراته النهائية بخلاف ما يراه العلماء الماديون من أن المخ ينسب إليه كل تصرف إنسانى مادى أو غير مادى . فالخ إذا كان وراء كل حركة إرادية فى أعضاء الجسد فهل عمله إرادى أو غير إرادى ؟

لا سبيل إلى القول إنها أنشطة اضطرارية غير إرادية ، فإنها دعوى مخالفة للمحسوس ، وتؤدي إلى القول بأن كل عمل يقوم به الإنسان عمل اضطرارى بأى نشاط يصدر عن خلايا النبتة الحية أو خلايا الكلية الحية المفصولة عن جسد صاحبها ، وإذا كانت تلك الأنشطة إرادية فإنه لا سبيل إلى نسبتها إلى خلايا المخ المادية المحسوسة لما تقدم من استحالة صدور المعانى عن المواد دون تدخل مادي وغير محسوس يقف وراء كل نشاط إرادي من أنشطة الدماغ المختلفة والمخ وليس هو المخلوق الحى الذى هو الروح .

وانتهى أصحاب هذا الاتجاه إلى عدم الجزم بتلك النتيجة فى تحديد نهاية الحياة الإنسانية بحيث لا يقبل إثبات خلافها ، وذلك باعتبار أن التقدم العلمى فى المستقبل قد يتطور ويكشف أن العلامات التى قررها أطباء اليوم لموت المخ ليست نهائية وأن معالجة المخ بالرغم من ظهور تلك العلامات عليه مختلفة أو قد يتمكنون من نقل مخ حى إلى إنسان تلف مخه بصورة كاملة .

بينما ذهب آخرون ^(١٦) إلى أن لحظة الموت تأتى بتحقق علامات معينة حيث يتعين أن يتأكد المحاضرون من موت الميت وعلامة ذلك انقطاع نفسه وانفراج شفتيه وأضاف بعضهم أوصافاً أخرى مثل انخساف صدغيه وميل أنفه واسترخاء أعصابه ورجليه وامتداد جلدة وجهه وتقلص خصيته إلى فوق ما تدلى الجلدة وكذلك أوصاف وشروط أخرى ، فإن شك فى موته بأن يكون به علة واحتمل أن يكون له سكتة أو ظهرت عليه إمارات فزع أو غيره كأن يكون هناك احتمال إغماء أو خلافة آخر من اليقين بتغير لرائحة أو غيره أى كأن الفقهاء حرصوا على عدم الحكم بحدوث لحظة الموت ، إلا بعد فقد الجسم للحياة أى حياة فقدان كاملاً ، واشترطوا اليقين فى ذلك الذى لا يخالجه شك ، فإذا كانت هناك أدنى ريبه ترك الجسد حتى تتغير رائحته وينتفى معه أى شك فى حدوث الموت .

وانتقد هؤلاء ما ذهب إليه من قالوا بحلول لحظة الوفاة بوفاة المخ بأن الجسد يكون حياً والصدر يعلو ويهبط والنفس يبرد والقلب يبطن والغدد تتبدد ، وكل شيء حى ما عدا المخ ويقال إن الإنسان قد مات وهو ما زال راقداً وفيه ما فيه من الحياة فهو أمر غريب ويجب عدم الإفصاح به احتراماً للحياة وللإنسان وتكريماً له ، وأرجعوا ذلك إلى أن الأحكام الإسلامية دائماً تبنى على اليقين فقط ، وخصوصاً فى مثل هذه الحالات وذهب

البعض فى نطاق هذا الاتجاه إلى أنه من المتعين الانتظار حتى يهدأ المذبوح ويتبين موته ومن ثم تطبق الأحكام الشرعية المترتبة على الموت باعتبار أن تلف المخ قد توجد معه الحياة زمنا عندما تحدث للمريض غيبوبة طويلة مع بقاء الأجهزة الأخرى سليمة ، كما حدث للمريضة فى فنلندا فإنها كانت فى غيبوبة طويلة ثم ماتت ووضعت طفلا كامل النمو فلو كانت بعض أجهزة المخ كافية فى نهاية الحياة لما ماتت هذه المرأة .

ونحن نرى أن كلا الاتجاهين صحيح ، سواء ذلك الذى يحدد لحظة الوفاة بموت خلايا المخ ، أو ذلك الذى انتهى إلى ملاحظة الظواهر التى تدل على حدوث الوفاة والتيقن منها ، باعتبار أن معيار الوفاة يكون بموت خلايا المخ الذى ثبت بالوسائل العلمية المتاحة ، ولا يكتفى بذلك بل تتم ملاحظة ظهور العلامات الأخرى الدالة على الوفاة وذلك تيقناً لحدوث الوفاة واحتراما للمشاعر الإنسانية ولكون الأحكام تبنى على الجزم واليقين ، غير أننا نرى أنه إذ كان هناك من مات مخه وأمكن تركيب جهاز إنعاش يشغل قلبه ، وتنفسه فإن لذلك حكمين :

الأول ، إذا كان هناك من أولى منه بتركيب هذا الجهاز لمصلحة أكيدة فى شفائه فيمنزع من الميت ويركب فى المريض .

الثانى ، إذا ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن حياة من ماتت خلايا مخه ولا يمكن أن تستمر أجهزته بدون أجهزة الإنعاش ولا أمل فى حياته لو نزعته عنه فيجب نزع هذه الأجهزة إنهاء لتلك الحياة الصناعية ، حيث أنه فقد بموت خلايا المخ كل إدراك وحس واتصال بالعالم الخارجى ، هذا وإذا سلمنا بأن المعيار الحديث هو الأسلم الآن إلا أن ذلك مشروط بشرطين :

(أ) اعتماد على تقرير الأطباء فى حدوث الوفاة بملاحظة التغيرات التى تحدث على جسم الإنسان حين وفاته .

(ب) ترك وقت كاف قبل البدء فى عمليات استقطاع أعضاء من جثة المتوفى يحدد بالخبرة الطبية .

وقد ذهبت الاتجاهات الشرعية الحديثة^(١٧) إلى أنه (يعتبر شرعاً أن الشخص قد مات وترتب جميع الأحكام المقررة شرعاً للوفاة عند ذلك ، إذا بانث فيه إحدى العلامتين التاليتين :

١ - إذا توقف قلبه توقفاً تاماً وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه .
٢ - إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً ، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه . وأخذ الدماغ فى التحلل وفى هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وأن بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آلياً بفعل الأجهزة المركبة ، وقد أشارت إلى ذلك قرارات الدورة الرابعة لمجلس مجمع الفقه الإسلامى المتعقد فى جدة بالمملكة العربية السعودية للفترة من ١٨ - ٢٣ جمادى الآخر ١٤٠٨ هـ الموافق ٦ - ١١ شباط ١٩٨٨ حيث انتهت إلى أن الموت يشمل حالتين :

١ - موت الدماغ بتعطيل جميع وظائفه تعطلاً نهائياً لا رجعية فيه طبياً .
٢ - توقف القلب ، والتنفس توقفاً تاماً لا رجعة فيه .
وعلى هذا فالمفهوم الشرعى يمكن أن يعد مفهوماً مشتركاً بين المفهوم التقليدى والمفهوم الحديث لتحديد لحظة الوفاة .

المبحث الثانى

النتائج المترتبة على تحديد لحظة وفاة الإنسان

يترتب على لحظة وفاة الإنسان عدة نتائج هامة بحيث يصبح جسد الإنسان مجرد كيان مادى لا حول له ولا قوة ، فالإرادة قد قضيت ، والتصرفات قد أوقفت ، وانتهى ما كان من وجود إرادى وقانونى للإنسان من حيث كونه إنساناً قادراً على التعبير عن إرادته ، مسئولاً عن تصرفاته ، محاسباً على أخطائه ، وبالتالي أصبح كيانه المادى - أى أصبح بعد مفارقة الروح لجسد الإنسان لحظة وفاته - عرضة لوقوع بعض التصرفات والأفعال عليه ، ما كان يجوز أبداً حدوثها قبل وفاته ، ولو حدثت لوقع فاعلها ومن شارك فيها تحت طائلة المسئولية والعقاب . فضلاً عما يترتب على تلك اللحظة من آثار قانونية ترتبط بحياة المتوفى الوظيفية وروابطه القانونية ، قد تتعدى هذه الآثار حالة المتوفى نفسه وتمتد إلى وراثته .

بناء عليه نعرض هذه النتائج المترتبة على تحديد لحظة وفاة الإنسان على النحو التالي :

- أولاً ، النتائج المترتبة على لحظة الوفاة من الناحيتين الطبية والجناحية .
- ثانياً ، النتائج المترتبة على الوفاة من الناحية القانونية .
- أولاً : النتائج المترتبة على لحظة الوفاة من الناحيتين الطبية والجناحية .

تعتبر لحظة وفاة الإنسان هي الفاصلة بين كون الإنسان روح وجسد وبين كونه كيان مادي فقط أي جسد بلا روح ، ومن ثم فلا حرمة عند من أجاز مشروعية نزع الأعضاء من جثث الموتى في استئصال بعض الأجزاء من هذا الكيان المادي « الجثة » لإعادة غرسها في أجساد المرضى الأحياء شفاءً لأسقامهم ، وإنقاذاً لحياتهم ، أو للاستفادة من تلك الأجزاء في الأغراض العلمية .

وتأسيساً على ذلك فالمساس بجثة المتوفى مع توافر الشروط كحالة الضرورة والاحتياج لعضو ما إنقاذاً لحياة مريض ، إضافة إلى موافقة ذوى الشأن أو وصية المتوفى نفسه بالتبرع بعضو من جسده وعدم مخالفة ذلك للنظام العام والآداب العامة . نقول إن المساس بجثة المتوفى في ضوء ذلك يعفى الفاعل وهو في العادة طبيب من المسؤولية والعقاب . أما قبل لحظة الوفاة فإن المحافظة على جسم الإنسان تقتضى عدم المساس به إلا في حالات معينة بشروط خاصة وأى عمل من هذا القبيل في غير تلك الحالات والشروط يعد جريمة جنائية ، قد تصل عقوبة جريمة القتل عمداً .

وتحدد لحظة الوفاة من الناحية الجنائية مدى توافر أو عدم توافر أركان بعض الجرائم، فمثلاً في جريمة القتل لا بد من توافر محل الجريمة في كونه إنساناً حياً ، لأن جريمة القتل من الاستحالة أن يكون محلها إنسان ميت أو جثة إنسان سبق قتله .

ومن هنا يقرر فقهاء الشريعة الإسلامية^(١٨) أن الأصل عدم تصور أن يكون الإنسان بعد الموت محلاً للجريمة إلا في حالتين :

الأولى : في حالة الاعتداء على رفات الأموات ، حيث لا يعتبر الاعتداء على جثة الميت أو رفاتة جريمة واقعة على الميت باعتباره إنساناً ، ولا يعتبر الميت هو المجنى عليه إنما يحرم الاعتداء على رفات الأموات باعتبارها شيئاً محرماً لدى الجماعة وله حرمة في نفوسهم ، فالمجنى عليه في الجريمة هو الجماعة ، والشريعة تعاقب مرتكبها باعتباره معتدياً على حرمة الأموات أو حرمة المقابر .

يتفق القانون المصرى فى هذا الشأن مع الفقه الإسلامى فى هذا الصدد ، حيث تنص المادة ١٦٠ (١٩) من قانون العقوبات على معاقبة : كل من انتهك حرمة القبور أو الجبانات أو نبشها بالحبس وغرامة لا تقل عن مائة جنيه ، وتكون العقوبة السجن الذى لا تزيد مدته على خمس سنوات إذا ارتكبت هذه الجريمة تنفيذاً لغرض إرهابى (٢٠) .

الثانية: فى حالة قذف الأموات ، إذ أنه من المقرر شرعاً أن الدعوى لا تقام على القاذف إلا إذا تقدم المقذوف بالشكوى ، لأن الجريمة تمس المجنى عليه مساساً شديداً وتتصل بعرضه وسمعته ، ولأن للجاني الحق فى أن يثبت وقائع القذف ، فإذا أثبتتها أصبح المقذوف مسئولاً عن الجريمة التى قذف بها ووجبت عليه عقوبتها ، ولهذا علق رفع الدعوى على شكوى المقذوف فإذا شكى أخذت الدعوى سيرها إذا كان المقذوف حياً وقت القذف فله وحده حق الخصومة ، أما إذا مات بعد القذف وقبل الشكوى فليس لغيره من ورثته أو عصابته أن يخاصم القاذف ويشكوه إلا إذا كان المقذوف قد مات قبل العلم بالقذف ، أما إذا مات بعد الشكوى فتحل ورثته محله عند مالك والشافعى وأحمد ، وتسقط الدعوى بموته عند أبى حنيفة ، لأنه يرى أن حق المخاصمة فى دعوى القذف ليس حقاً مالياً يورث .

لكن إذا كان المقذوف ميتاً فيبيح جمهور الفقهاء رفع الدعوى على القاذف بناء على شكوى الورثة أو الأصول أو الفروع ، وحجتهم فى ذلك أن القذف يتعدى الميت إلى الأحياء ، وأنه قدح فى نسبهم ، فكان القاذف قذفهم معنى ، ولهذا كان لهم حق تحريك الدعوى دفعا للعار على أنفسهم . ويرى بعض الفقهاء (٢١) أن العار يلحق الأصول والفروع دون غيرهم ، ومن ثم فقد قصر حق المخاصمة عليهم ، بينما يرى البعض الآخر أن العار يلحق كل الورثة ، وأصحاب هذا رأى يبيحون للورثة جميعاً حق المخاصمة .

وعلى أى حال فإن معنى القذف فى الشريعة الإسلامية كما يذكر البعض نفى النسب عن المقذوف أو نسبة الزنا إليه ، فالمقذوف سواء كان رجلاً أو امرأة إذا نفى عنه نسبه تعداه نفى النسب إلى أصوله وفروعه وورثته ، إذا كان امرأة فنسب إليها الزنا تعداه القذف إلى أصولها وفروعها وورثتها .

وتتجه القوانين الوضعية فى القذف إلى حماية الأحياء دون الأموات ، ومن ثم فلا عقاب على قذف الميت إلا إذا تعدى أثر القذف إلى الأحياء من ورثة المقذوف أو ذوى قرياه .

وبخصوص رفع الدعوى على القاذف نجد أن بعض القوانين ، كالقانون المصرى لا يعلقها على شكوى المذوف أو ورثته ، إلا أن بعض القوانين الأخرى كالقانون الفرنسى مثلاً يعلق رفع الدعوى على شكوى المذوف ، فإذا مات المجنى عليه سقط بموته حق الشكوى ، إلا إذا كان القصد من القذف المساس بكرامة أسرة المذوف والأحياء من أهله ، فإذا تحقق هذا الشرط ، كان لهم الحق فى رفع الشكوى باسمهم . وهذا المنحى الذى سلكه المشرع الفرنسى يتفق مع حكم الشريعة الإسلامية فى هذا الشأن .

من ناحية أخرى فإن لحظة الوفاة تؤثر تأثيراً مباشراً على سقوط العقوبة البدنية المقررة على الميت إذا كان جانبياً ، إذا لا يتصور تنفيذ العقوبة البدنية أو المتعلقة بشخص الجانى لأنه هو محل تنفيذ العقوبة ويتحقق لحظة الوفاة استحالة التنفيذ عليه .

أما فى حالة ما إذا كانت العقوبة غير بدنية وغير متعلقة بشخص الجانى ، كأن كانت مالية كالغرامة والمصادرة فى القوانين الوضعية والدية فى الشريعة الإسلامية فإن لحظة الوفاة وموت الجانى لا تأثير لها على سقوط هذه العقوبات ، لأن محل العقوبة مال الجانى لا شخصيته ، الأمر الذى يمكن معه تنفيذ العقوبة على مال الجانى حتى بعد موته .

ومن باب أولى فإن الدعوى الجنائية تنقضى بوفاة المتهم سواء حدثت قبل رفع الدعوى أو أثناء نظرها أمام القضاء إذ يتعين على المحكمة أن توقف السير فى الدعوى وتحكم بانقضائها دون التعرض للموضوع . وإذا حدثت الوفاة بعد صدور حكم ابتدائى فى الدعوى وقبل الطعن فيه فلا تستطيع النيابة أو الورثة سلوك سبيل الطعن .

إلا أن الوفاة لا تأثير لها على سير الدعوى المدنية^(٢٢) المرفوعة مع الدعوى الجنائية، إذ أن للمدعى بالحقوق المدنية أن يدخل الورثة ليحصل على حكم فى مواجهتهم بالتعويض إذا كان له مقتضى ، وذلك من المحكمة الجنائية التى تستمر فى الدعوى المدنية فى هذه الحالة بالرغم من سقوط الدعوى الجنائية .

ثانياً: النتائج المترتبة على لحظة الوفاة من الناحية القانونية :

لا شك فى أن لحظة الوفاة يترتب عليها آثار قانونية فى منتهى الأهمية تتعلق بشخص المتوفى وورثته وبعض الأنشطة التى كان يمارسها قبل وفاته .

فنجد أن علاقة العمل أياً كانت الرابطة التعاقدية التى تربط المتوفى بعمله تنتهى بمجرد وفاته ، حيث يترتب على وفاة العامل استحالة تنفيذ التزامه المتمثل فى أداء عمله باعتبار أن هذا الالتزام هو جوهر علاقة العمل تلك ، وفى المقابل ينقطع المقابل المتمثل فى استحقاق الأجر أو المرتب وتبدأ مرحلة جديدة فى استحقاق الورثة والمستحقين مع الجهات المختصة بالمعاشات والتأمينات الاجتماعية .

بالإضافة إلى أن لحظة الوفاة يترتب عليها انتهاء الوكالة سواء كان الميت موكلأ أو وكيلاً حيث أن الوكالة تقوم على الاعتبار الشخصي ، بمعنى أن لشخص كل متعاقد منهما اعتبار في نظر الآخر ، فالوكيل إنما يعبر عن إرادة الموكل لا عن إرادته هو وعليه فإن إرادة الوكيل تكون قد زالت أيضاً بموته . ومن ثم لا يستطيع هذا الأخير أن يعبر عن إرادة قد زالت ، بوفاء الموكل التي يترتب عليها في ذات الوقت انقضاء الوكالة بالنسبة للوكيل (٢٣) ويمكن تبرير ذلك أيضاً بأن وريثة الموكل قد لا يشقون بالوكيل ثقة موكلهم به على أنه يشترط علم الوكيل بموت الموكل فإذا لم يعلم الوكيل بموت الموكل وكان حسن النية وتصرف على هذا الأساس انصرف أثر التصرف (العقد) حقاً كان أو التزاماً إلى وريثة الموكل لا بموجب وكالة ظاهرة ، وإنما بموجب وكالة حقيقية . بل أن الوكالة في بعض الحالات تمتد حتى بعد العلم بموت الموكل حتى يصل الوكيل بالأعمال التي بدأها إلى حالة لا تتعرض معها للسقوط أو التلف ، وتبقى الوكالة قائمة فيما يتعلق بما يقوم به من أعمال لهذا الغرض . بالإضافة إلى أن هناك من الشركات ما ينقضى بوفاء شخص المدير كشركة التوصية بالأسهم تنقضى في حالة وفاة المدير حيث أنه من الشركاء المتضامنين بنا ، على نص المادة (١١) من قانون الشركات رقم ١٥٩ لسنة ١٩٨١ ، ما لم يتضمن عقد الشركة ما يستفاد منه استمرارها وأكدت المادة (١١٥) من القانون ذات الحكم بنصها على أن تنتهى الشركة بموت الشريك الذي يعهد إليه بالإدارة إلا إذا نص على غير ذلك .

أما الشركات القائمة على الاعتبار الشخصي كشركة التضامن وشركة التوصية البسيطة فإن وفاة أحد شركائها يترتب عليه انقضاء الشركة ، إذ لا يجوز إجبار الشركاء على الاستمرار في الشركة مع وريثة الشريك المتوفى لأن الشركاء أبرموا عقد الشركة بالنظر إلى صفات الشريك الشخصية دون غيرها من صفات الورثة (٢٤) على أنه يجوز الاتفاق على غير ذلك .

فضلاً عما يترتب على لحظة وفاة الشخص من انتهاء حياته وحقوقه السياسية ، إذ أن هذه الحقوق لا تنتقل إلى وريثته ومن أهمها أيضاً ثبات حق التوارث ، وحساب عدة المتوفى عنها زوجها .

تلك هي أهم النتائج التي تترتب على لحظة وفاة الإنسان باعتبارها فاصلة بين متناقضين حياة وحركة قبلها ، وموت وسكون بعدها .

الهوامش

- ١ - سورة الإسراء ، الآية : ٨٥ .
- ٢ - د. أحمد شرف الدين ، الأحكام الشرعية للأعمال الطبية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٨ م ، ص ١٥٨ .
- ٣ - د. حسام الأهواني ، المشكلات القانونية التي تثيرها عمليات زرع الأعضاء البشرية مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، العدد الأول ، يناير ١٩٧٥ ، ص ٧٧ .
- ٤ - د. عبد العزيز إسماعيل ، الإسلام والطب الحديث ، مجلة الأزهر ، المجلد السابع ، ص ٦٩١ .
- ٥ - سورة المؤمنون ، الآية : ٣٥ .
- ٦ - طبيب محمد سليمان ، الطب الشرعى ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٨١ وما بعدها .
- 7 - Ceccaldi (P. F.) et Durigon (M) : Médecine Légale à usage Judiciaire, éd, Cujas, Paris 1979, PP. 25 Et Ss.
- ٨ - رياض الخانى ، المظاهر القانونية لعمليات نقل وزرع القلب والتصرف بأعضاء الجسم البشرى ، المجلة الجنائية القومية ، مارس ٧١ ص ١٧ ، ١٨ .
- 9 - Guinand (j) le corps Humain, Personnalité juridique mille en droit suisse, rapport présenté aux travaux del association capitan p. 168.
- ١٠ - د. أحمد شوقى أبو خطوة ، القانون الجنائى والطب الحديث ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٩٢ .
- ١١ - سورة الزمر ، الآية : ٤٢ .
- ١٢ - سورة الأنعام ، الآية : ٩٣ .
- ١٣ - د. محمد نعيم ياسين ، بداية الحياة الإنسانية ونهايتها فى ضوء النصوص الشرعية واجتهادات علماء المسلمين ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، السنة الثانية ، العدد الرابع ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ، جامعة الكويت ، ص ١٥٧ وما بعدها .
- ١٤ - المنشور فى القواعد ، الطبعة الأولى ، وزارة الأوقاف ، الكويت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- ١٥ - هذا ما انتهت إليه التوصية الثانية فى نهاية الحياة فى ندوة (الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها فى المفهوم الإسلامى) ، الكويت ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ١٤ ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ الموافق ١٥ يناير ١٩٨٥ م .
- ١٦ - النووى ، روضة الطالبين ، ص ٩٨ .
- ١٧ - د. توفيق الواعى ، بحث حقيقة الموت والحياة فى القرآن والأحكام الشرعية المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية الكويت ، ١٩٨٦ ، ص ٤٦١ وما بعدها .
- ١٨ - عبد القادر عوده ، التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ، الجزء الأول الطبعة الثالثة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .
- ١٩ - المادة (١٦٠) عقوبات مستبدلة بموجب القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٨٢ .
- ٢٠ - عملاً بالفقرة الأولى من المادة الثالثة من القانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢ بتعديل بعض نصوص قانون العقوبات وقوانين أخرى .
- ٢١ - عبد القادر عوده ، المرجع السابق ، ص ٤٠ .
- ٢٢ - د. رؤوف عبید ، مبادئ الإجراءات الجنائية فى القانون المصرى ، الطبعة العاشرة ، مكتبة سيد وهيب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٣٢ .
- ٢٣ - قضت محكمة استئناف مصر بأن الأعمال التى يجريها الوكيل بعد وفاة الموكل ، بدون أن يعلم بوفاته ، تكون صحيحة وقانونية ، وبأن أعمال المرافعات التى يجريها الوكيل (المحامى) بعد وفاة موكله وبدون علمه بحصول الوفاة تكون صحيحة (استئناف مصر ١٥ نوفمبر ١٩٣٢) المحاماة ١٣ رقم ٣٥٣ ص ٧١٥ أما إذا علم الوكيل (المحامى) بموت الموكل ، فإنه لا يجوز له أن يستمر فى إجراءات الدعوى ولا أن يرفع استئنافاً دون أن يدخل الورثة محل الموكل (استئناف مختلط ٢٥ فبراير ١٩٤١ م ٥٣ ، ص ١١٠) .
- ٢٤ - د. سميحة القليوبى ، د. حسام الصغير ، دروس فى عمليات البنوك والشركات التجارية طبعة ١٩٩٤ ، ص ١٩٨ .

آثار الزكاة على التنمية الاقتصادية

عرض الدكتور / علي بوعلا (*)

مقدمة :

يجب بادئ ذي بدء ، أن نحتاط من المنزلق الذى يقتضى بإثقال « كاهل » الزكاة بوضع إشكالية التنمية على « عاتقها » بمفردها ، وهذا على الرغم من أن أسس الزكاة وقواعدها التطبيقية وطبيعة نظامها تحدث ، منفردة ومجتمعة ، آثارا هامة على المتغيرات الأساسية أو الثانوية لهذه الإشكالية ، ولكن هذه التأثيرات تأتى على شكل مخلفات تابعة وليست غاية فى حد ذاتها أو غاية لاستراتيجية خاصة بالزكاة .

وأما استراتيجية التنمية فتنبى على النظام الإسلامى بأكمله ، ومن الوجهة الاقتصادية تقوم أساسا على وظائف القطاعين الخاص والعام ، ولكن بما أن مجال تدخل الزكاة لا يخرج عن هذين القطاعين فإنها تؤثر لا محالة على مكوناتها ، ومن هذه الوجهة فقط يحق لنا أن نربط الإسهامات الزكائية بمجهود التنمية فى مجتمع إسلامى يتبنى تطبيق الاقتصاد الإسلامى ، ومن شأن هذه النظرة أن تبرر تقسيم موضوعنا إلى العناصر الرئيسية التالية :

- ١ - مفهوم التنمية .
- ٢ - تأثير جباية الزكاة على التنمية .
- ٣ - تأثير توزيع الزكاة على التنمية .
- ٤ - تأثير الزكاة على السلم الاجتماعى .

١ - مفهوم التنمية :

ليس من السهل الإحاطة بمفهوم التنمية فى هذا المقام لأنه من المواضيع التى يصعب الاتفاق حولها ، إذ تعددت مناهجه وتشعبت مفاهيمه وكثرت تصوراتها إلى درجة بلغ فيها عدد النظريات عدد العناصر التى يفترض أنها تفسر هذه الظاهرة ، وما استراتيجيات

* أستاذ بجامعة فاس - المغرب

التنمية المقترحة إلا نتائج الاختيارات بين هذه البدائل ، غير أن هذا الأمر لا يهمننا هنا لنصرف ، والحالة هذه ، اهتمامنا إلى إحصاء هذه العناصر علنا نتقن منها العناصر التي تؤثر فيها الزكاة وعلنا نتمكن من حصر الاختلافات التي تميز بين التصور الإسلامي للتنمية وغيره من التصورات الأخرى .

١ - ١ - نظرة عامة على التنمية في عناصرها النظرية :

تتميز هذه العناصر بكونها متنوعة ومتعددة بشكل كبير ، فهي كثيرة التنوع ليس من مدرسة فكرية إلى مدرسة فكرية أخرى وإنما في إطار المدرسة الفكرية الواحدة ، ومضمونها يحتوي في حقيقة الأمر على العناصر المفسرة للتخلف أو على مؤشرات وبدل أن نقدم هذه العناصر بحسب ورودها داخل كل مدرسة فكرية. نفضل أن نصنفها على هذا النحو :

- المؤشرات المعبرة على أعراض التخلف .
- العناصر المفسرة للتخلف .
- النظريات الشمولية لظاهرة التخلف .

١ - ١ - ١ - المؤشرات المعبرة على أعراض التخلف :

تهتم هذه المؤشرات أولاً وقبل كل شيء بالتعبير على المظاهر الخارجية للتخلف وتساعد لهذا السبب على ضبط وتصنيف بلدان العالم إلى البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة ، وتخول أحياناً تفسير هذه الظاهرة . غير أن وصفها للواقع يختلط عند البعض بالعناصر التفسيرية ليتمخض عنها استدلالات من هذا القبيل : « البلدان المتخلفة متخلفة لأنها فقيرة ، وهي فقيرة لأنها متخلفة » وتستدعي هذه الحلقة المعيبة مجموعة من المؤشرات من قبيل :

- التخصص في إنتاج المواد الأولية .
- ضعف الناتج الداخلي الخام للفرد الواحد .
- ضعف الإنتاجية .
- هشاشة ظروف المعيشة لغالبية السكان (التغذية ، الصحة ، السكن ، التمدريس ...) .
- ضعف الادخار الوطني .

- غياب عقلية المبادرة .
 - ثقل المديونية .
 - ضعف البنية التحتية فى مجالى العلم والتكنولوجيا .
 - النمو الديمغرافى المتسارع .
 - عدم الاستقرار السياسى .
 - الخ .
- وإلى جانب هذه المميزات للتخلف هناك نظريات أخرى تركز تحاليلها على العناصر التفسيرية لهذه الظاهرة .

١-٢-١-٢- العناصر المضرة :

- تستهدف هذه العناصر الإجابة على السؤال ، لماذا لا تستطيع الدول المتخلفة أن تتقدم ، ولهذا الغاية يتم التركيز على العلاقات التى تربط بين العالم الغنى والعالم الفقير لأجل عزل العناصر المعوقة للتنمية ، وتدور هذه العناصر حول المواضيع التالية :
- تدهور معدلات التبادل الخارجى .
 - التبعية الغذائية والمالية والتكنولوجية .
 - الاقتصاد المزدوج .
 - كسر بنى المجتمعات القديمة .
 - نهب واستغلال الجنوب من قبل الشمال ... الخ .
- ومهما يكن منهج تحليل التخلف واصفاً أو مفسراً فإنه ينتهى لا محالة إلى نظريات شمولية .

١-٣-١-٣- النظريات الشمولية :

- تعتمد هذه النظريات إما وصفاً عاماً لحالة التخلف عموماً أو حالته فى بلد أو عدد كبير من البلدان وإما تقديم فرضيات حول مستقبل هذه الظاهرة ، وتنصرف إلى :
- فقر الأوطان .
 - الحلقة المعيبة للتخلف .

- التنمية الموجهة نحو الخارج .

- سوء التنمية .

- عدم التنمية .

- النماء بدون تنمية .

- تنمية التخلف .

- الخ .

وإن كانت الحلول التي تقترحها هذه الأطروحات مختلفة ضمن استراتيجيات تنموية خاصة بها إلا أنها تندرج ضمن أحد النهجين : النهج الثوري والنهج الإصلاحى ، أما النهج الثورى فينصرف نظريا ، إلى حركة واسعة من الانقلابات العنيفة فى البنيات القائمة .

مما يقضى بتعبئة كافة الطاقات وتحريرها من كافة القيود من أجل تحقيق ما يفترض أنها الغاية الأسمى لمثل هذه الحركة ألا وهى ضمان الوفرة والقضاء على الندرة ، وهو ما يفترض أنه يمكن الجميع من الوصول إلى تلبية كافة الحاجات التى ينظر إليها ، من حيث المبدأ ، على أنها مادية صرفه .

إلا أن شهادة التاريخ الحديث على التجارب التى اتبعت هذا النهج تؤكد على أن النتائج التى حققها لم تكن فى مستوى التكاليف التى تكبدها الشعوب فى سبيلها . وأما النهج الإصلاحى فيعتمد مبدأ التطور الهادئ حيث يحدث تغييرات متدرجة فى البنيات القائمة ، غير أن لهذا النهج صورا متعددة قد تكون صورته الأدنى للتغيير فى حجم الإجراءات التى ترمى إلى إبقاء ما كان على ما كان ، وقد تكون صورته الأعلى للتغيير فى حجم الإجراءات التى تحدث انقلابات مفاجئة بحيث تكون قريبة من النهج الثورى ، وبين هذين الحدين تقع كل الخيارات الأخرى .

ولكل اختيار منها منطلق يتصور على مقتضاه طرق ووسائل الخروج من التخلف وتحقيق التنمية .

وإذا سلما فرضاً أن النهج الإصلاحى هو الذى ينسجم مع التصور الإسلامى للتنمية .
فما هى العناصر التى يجب التركيز عليها أكثر من غيرها ؟

١ - ٢ - التصور الإسلامي للتنمية :

إن اللافت للنظر في هذه النظريات هو تغييبها للإنسان ككائن يتمتع بوجود مستقل عن الأشياء والآليات ، بل إن تحليلها تركز أولاً وأساساً على هذين الأمرين ولا ينال الإنسان من اهتمامها إلا ما يكون من حضوره الغير المباشر أو المسكوت عنه أو المضر ، وبالمجملته يتبوأ الإنسان مقامه منها وراء الستار ليتم التعبير عنه بنية « مشينة » ولا إنسانية ولذلك لا يكون له وجود حقيقي إلا في ضوء الدور الذي يقوم به أو الذي في إمكانه أن يقوم به في إطار الدوايب الاقتصادية ، وهكذا نجد المعجزة الليبرالية تعين الإنسان من خلال المصطلحات من قبيل : المستهلك ، المنتج ، العامل ، المنظم ، المدخر ، وهكذا ، كما أن اللغة المفضلة في المعجزة الماركسية في حديثها عن الإنسان هي المالك ، وغير المالك ، والمستغل والمستغل ، والطبقة الاجتماعية ، وعلاقات الإنتاج ، وقوى الإنتاج .

غير أن الإنجازات التي حققتها هذه التصورات لم تكن في المستوى المنشود مما فتح الباب لظهور خطاب جديد ، الخطاب الانتقادي الذي أسسه كل من فرانسو بيرو Francois Perroux و راد Red وميردال Myrdal وغيرهم على إيقاع من مطالبة إعادة الاعتبار للإنسان في مجال التنمية ، فنظم القيم ، والثقافات ، وحالة الصحة والتغذية والتربية والسكن ، والمساواة والديمقراطية ، التركيبية الاجتماعية والبنية العائلية الخ ... لم يعد الحديث عنها بالوساطة بل غدت هذه الأبعاد تمثل مواضيع التنمية وأصبحت تكون المحاور التي من أجلها تتم حركة الأشياء وبصاغ منطق الآليات .

غير أن هذا الانقلاب إنما هو ناتج عن الحاجة إلى أقلمة الإنسان مع متطلبات التنمية المادية ، ومرة أخرى ليس الإنسان لذاته هو المقصود ، وإنما التقدم الذي حصل في تحليل التخلف يبقى نسبياً ولا يختلف عما سواه إلا في بعض المظاهر ، لأن الإطار المرجعي يبقى هنا أيضاً كما في التحاليل الأخرى هو تاريخ البلدان المتقدمة : وأفكار التأخر ، والتقليد ، والتبعية وإلغاء الخصوصيات ليست غائبة في الحلول التي تقترحها هذه النظرة الجديدة ، وإنما على العكس من ذلك يأخذ حضورها شكل التعبير الصريح حتى في الأعمال الجريئة التي طورها ميردال (١) .

١-٢-٢ - خصوصيات نظرية التنمية الإسلامية :

إن التصور الإسلامى للتنمية يرفض أن يربط مصير الإنسان بأية تجربة تاريخية حتى وإن كانت تتمتع بالهيمنة على المستوى العالمى كما هو شأن الرأسمالية فى العصر الراهن ، إنه يرفض هذا النهج لأنه يجعل من رفاهية الإنسان مركز اهتمامه الرئيسى ، أضف إلى ذلك الاختلافات الأخرى التى تميزها عما سواها ، ذلك أن المنهج الإسلامى يربط رفاهية الإنسان بأفق زمنى يتعدى الحياة فى حين أن غيره من المناهج تقوِّع نظرتها إليها فى إطار هذا الأفق فقط ، الإسلام يتصورها ببعديه المادى والروحى من جهة أخرى ليجعل منهما المحرك الغريزى الذى يوفق بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية ، وغيره لا ينظر إلى هذه الحقائق إلا مفصولة عن بعضها البعض ، ولا يتصورها إلا مجزأة بل متناقضة ومانحة فى ذلك التطور المادى مكانة الصدارة على سلم الأولويات بل يعتبر هذا التطور هو الحقيقة الوحيدة التى تستحق الاهتمام بالدراسة لأن ما سواه تابع له ولا يتمتع بأى وجود مستقل عنه .

وهذه الاعتبارات تبين أن نظرية التنمية الإسلامية لا يقتصر اهتمامها فقط إلى التراكم الرأسمالى وعلى تعظيم المنافع ، بل تتسع نظرتها لتدمج فيه مبدأى العدالة والتضامن باعتبارهما من المتغيرات الأساسية فى التحليل الاقتصادى ، وبهذه النظرة يتساوى فى الأهمية كل من الإنتاج الأوفر والتوزيع الأفضل .

وإذا كانت بعض التصورات التقليدية تبدى بعض الميل للاقتراب من هذا الاختيار ، فإنها لم تهتد إلى ذلك إلا فى إطار بحثها على الحلول الكفيلة بإزالة المعضلات التى تحول دون تعميم التنمية المادية . وهذا فى إطار بحثها على الحلول الكفيلة بإزالة المعضلات التى تحول دون تعميم التنمية المادية . وهذا أيضاً ما دأب عليه البنك الدولى عندما تتحدث تقاريره على الفقر فى العالم ^(٢) وما هذه إلا تصورات أملت بها المشاكل القائمة ، ولهذا السبب لا يمكن أن تكون إلا جزئية وظرافية .

وبالمقابل يأتى تمسك التصور الإسلامى بالنمو المتوازى للإنتاج والعدالة الاجتماعية مبدأ أساسياً ليس لاعتبارات مادية صرفه فحسب ولكن لاعتبارات روحية أيضاً . وهذا المنطلق هو الذى يجعل من الزكاة واحدة من بين الآليات العملية التى إن أحسن تدبيرها استطاعت أن تجسد هذا المبدأ على أرض الواقع .

٢ - آثار الزكاة على التنمية :

اعتاد اقتصاديو النظرية التقليدية أن يميزوا في حديثهم عن الإنتاج والعدالة بين اختيارين : واحد يفضل الفعالية وبالتالي الإنتاج والآخر يفضل المساواة والعدالة وبالتالي التوزيع وإعادة التوزيع . وأما النظرة الإسلامية إلى التنمية فلا شيء يضطرها إلى هذا الاختيار طالما أن الإنتاجية والعدالة مرتبطتان ارتباطاً عضوياً بإحدهما الأخرى في التصور الإسلامي عامة ، وهو ما يؤكد وضع الزكاة من النظام الاقتصادي الإسلامي ، فالزكاة بمقدار ما هي داخله فيه كأحد عناصر إعادة توزيع الثروات والدخول الوطنية لنشر وتدعيم العدالة الاجتماعية بمقدار ما تعزز مبادئها وطرق أدائها الفعالية سواء عند جبايتها أو عند توزيعها .

٢-١ - تأثير جباية الزكاة على التنمية :

تبرز آثار الزكاة ، من هذه الناحية ، ومن جهة اقتصادية صرفة ، على مستوى الدورة الإنتاجية التي تتوقف على قرارات الادخار والاستثمار وعلى الإنتاجية .

٢-١-١ - آثار الزكاة على قرار الادخار :

إن النظرة الأولية إلى آثار الزكاة على الادخار تفيد أن الزكاة تقلل من قدرة المكلفين على الادخار ، وقد يلحق هذا الانخفاض في الادخار حجم الاستثمار طالما أن مبالغ الزكاة تؤول إلى فئات اجتماعية ذات الميل الحدي للادخار الضعيف أو المنعدم .

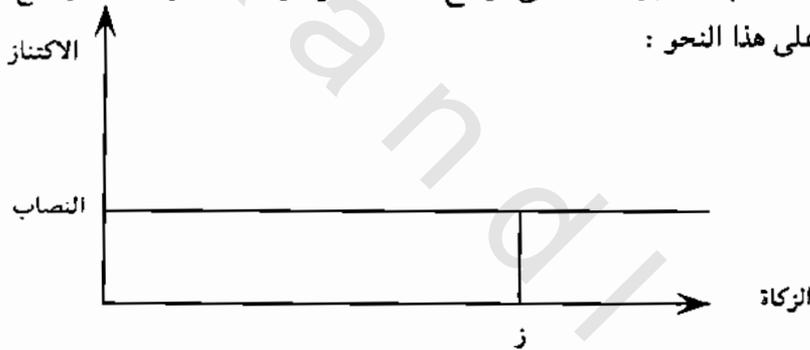
غير أن النظرية الاقتصادية لا تربط هذا الأثر السلبي على الادخار بكل أنواع الجبايات ، فمن جهة هناك من يؤكد على أن أداء الضريبة يولد قوى التقدم من أجل تعويض الكسب المفقود ، ومن جهة أخرى هناك من يرى أن الأمر يتعلق بمستوى الضريبة وبطبيعة أسعارها وكذا بنية وعائنها ، إذ كلما كان الأداء قائماً على أساس معدلات ضعيفة وغير مشبطة للمدخر يكون من السهل التخلص من آثاره السلبية ، وعلى العكس من ذلك إذا كانت تلك المعدلات تصاعدية فإنها تشن من عزيمة المدخرين وتدفعهم إلى تفضيل الاستهلاك الفوري على الادخار .

وإذا ما عرضنا المقادير التي تأخذ من الموزعين على هذا التحليل فإن الملاحظة الأولى التي تفرض نفسها هي أن معدلات الزكاة ضعيفة جداً إذا ما قيست بمعدلات الضرائب

المعمول بها حالياً ، والملاحظة الثانية التى تفرض نفسها أيضاً هى أن معدلات الزكاة نسبية وليست تصاعدية ، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تؤثر الزكاة سلباً على حجم الادخار ، غير أن الزكاة تمارس ضغوطاً قوية على المدخرين كى يحولوا مدخراتهم إلى استثمار إنتاجى .

٢-١-٢- أثار الزكاة على قرار الاستثمار:

إن اجتماع فريضة الزكاة مع تحريم الربا لا يترك خياراً أمام المدخر سوى أن يوحد قراره الادخارى بقراره الاستثمارى . لأن الإقراض والاقتراض بالفائدة ممنوعان شرعاً من جهة ، وأن أى مبلغ مدخر يفوق النصاب يعد اكتناز تجب فيه الزكاة سنوياً بمقدار 2.5% من جهة أخرى ، والنتيجة هى أن المبالغ المكتنزة تخضع للتآكل مع مر السنين إلى أن تصبح أقل من النصاب ، والبيان التالى يوضح كيف تأكل الزكاة الأموال المكتنزة مع مرور الأعوام على هذا النحو :



يتضح من هذا الشكل البيانى أن الزكاة تنال من المبالغ المكتنزة عاماً بعد عام فتتخفف تبعاً إلى أن تصل فى العام (ز) إلى النصاب .

وهذا ينطبق أيضاً على أى ثروة وجهها أصحابها نحو استعمال عقيم مثل الذهب والفضة المصنوعة من الأحجار الكريمة أو من الماس (٢) .

وما من شك فى أن الزكاة تعمل بهذه الطريقة على تعبئة كميات هامة من الشروات الموجهة نحو استعمالات عقيمة ، الأمر الذى يترتب عليه أثر مزدوج على كل من يملكها فعلاً أو من سيملكها احتمالاً : من جهة يكون لزاماً عليهم أن يتخلصوا منها كما هى لأجل ضخ قيمتها فى الدورة الاقتصادية ، ومن جهة أخرى إذا كانوا مصرين على الاحتفاظ بها أو اقتنائها فإنهم يكونون مضطرين إلى أداء ثمن هذا الاختيار فى كل سنة .

وهكذا « تصدر » الزكاة « أمرها » إلى كل رأسمال معطل بأن يلتحق بالدورة الاقتصادية حتى في الحالات التي تكون فيها المردودية متدنية ، لأن أى انتظار سوف يتحول إلى خسارة محققة مقدارها ٢,٥ ٪ سنوياً ، فأى مردودية تقع بين الصفر و ٢,٥ ٪ فإن الزكاة تؤخذ كلها من المورد ويبقى الرأسمال محفوظاً من كل نقص ، وفى هذا دليل على أن الزكاة تساهم فى تعبئة جميع الطاقات الإنتاجية .

وخلاصة القول هى أن الزكاة لا تنقص الادخار وأنها تقلص الفارق الزمنى بين قرار الادخار وقرار الاستثمار ، وأنها « تستنفر » الشروات لتقحمها فى الدورات الاقتصادية وأنها تعقلن استعمال الرأسمال المنتظر . مما يدل على الأهمية البالغة التى توليها الزكاة لهذا العنصر النادر ولكنه العنصر اللازم لكل استراتيجية تنموية ، هذا هو الذى يتضح أيضاً من خلال آثار الزكاة على الإنتاجية .

٢-١-٣- تأثير الزكاة على الإنتاجية :

يجب التركيز فى البداية بأن عناصر الإنتاج لا زكاة عليها ، ذلك أن رأى الجمهور يقر بهذا الحكم فى حق الإبل والأبقار العوامل^(٤) وفى حق رأس المال الثابت مثل الأراضي والبنائيات والآلات الخ ، وهذا ما يمثل فى حد ذاته امتيازاً لا يستهان به بالنسبة للمستثمرين فى القطاعات المنتجة .

ومن ناحية ثانية يفيد اختلاف المعدلات الزكوية تعامل تفضيلى بحسب مجال الاستثمار الذى وقع عليه الاختيار : لناخذ مثلاً حالة الفلاحة التى يخضع فيها الإنتاج لنسبة ٥ ٪ إذا كان أسلوب الإنتاج منطورياً (السقى المكلف) ولنسبة ١٠ ٪ إذا كان أسلوب الإنتاج يعتمد فقط على ما يتوفر فى الطبيعة من موارد (السقى بدون تكلفة) .

ونفس المعاملة التفضيلية نجدها تتكرر إذا ما انتقلنا من نوع القطاعات إلى نوع آخر : فعروض التجارة والصناعة ودخول العمل والرأس المال تزكى بنسبة ٢,٥ ٪ بينما المنتجات الفلاحية تزكى ب ٥ ٪ أو ١٠ ٪ حسب ما ذكرنا سابقاً ، والماشية تزكى بحصص حسب الشرائح الخاصة بكل نوع من أنواع الأنعام .

والذى نستفيد منه من هذه المقارنات هو أن التكاليف والمخاطر ، وهما منبع كل إنتاجية قوية ، قد تمت رعايتها عند تحديد المعدلات الزكوية إذ نجد هذه المعدلات مرتفعة أو منخفضة بحسب ارتفاع أو انخفاض مستوى كل واحد منها .

والتأثير الزكوى المشجع على الإنتاجية نستخلصه أيضاً من كون أن معدلات الزكاة نسبية لأن هذا النظام يشجع التجديد لكون أن المعدل الزكوى الحدى يتساوى مع المعدل الزكوى المتوسط بمعنى أن الأرباح الناجمة عن الابتكار والتجديد لا تخضع لأية جباية تمايزية بالشكل الذى يتعارض مع الاستثمارات ذات المخاطر العالية التى تتطلبها أية مبادرة فى مجال الابتكار والتجديد ، وكلما تكرر هذا النوع من المبادرات فى اقتصاد ما ، كلما تمكن هذا الاقتصاد من تحقيق المزيد من الريح فى الإنتاجية كلما أصبح بالتعبئة أكثر ديناميكية وأقدر على التنافس من ذى قبل ، وبهذه الوسيلة تتدخل الزكاة ليس فقط كعامل مشجع على الإنتاجية وإنما تقوى أيضاً الديناميكية والقدرة التنافسية للذين يعدان من بين الشروط اللازمة لأى نهج تنموى سليم .

وختاماً يجب التأكيد على أن التأثيرات الزكوية على الادخار وعلى الاستثمار وعلى الإنتاجية تخدم قضية التنمية بطريقتين هما :

١ - إن الزكاة تتفادى عبوب الضغط النفسى الذى تمارسه على المكلفين أية جباية مبالغ فيها وغير عادلة وغير ملائمة وتصاعدية ، وعلاوة على ملاءمة الزكاة وعدالتها ونسبية معدلاتها وضعف مستواها ، فإنها تنال رضى المكلفين باعتبارها فريضة دينية ، من هذا المنطلق تتضاءل احتمالات الغش أو التهرب الضريبى إلى أدنى المستويات إن لم تكن منعدمة .

٢ - إذا كانت الزكاة تشجع جميع القرارات التى تدعم قوى التقدم والتجديد والرفع من الإنتاجية فإنها تساهم ، بهذه الطريقة ، وبصراحة ، فى حمل الاقتصاد على الدخول فى مرحلة النمو الذى يؤدى إلى التنمية الشاملة والمتوازنة .

٢ - آثار توزيع الزكاة على التنمية :

إن التأثيرات الزكوية ، من هذه الزاوية تقع طبيعياً فى مجال إعادة التوزيع للخيرات الوطنية بتحويل الدخول والثروات من الفئات الغنية إلى الفئات غير المحظوظة

لذا تتكون المواضيع التي تستأثر بالحديث هنا هي العدالة والتضامن والحماية والضمان الاجتماعي والتعويضات الخ ، وهذا الاختيار يجرنا إلى تناول إشكالية التنمية الاجتماعية التي من الممكن أن تبعدنا بشكل ما عن تناول المسائل الاقتصادية التي هي صلب موضوعنا ، لذا يجب الحرص على إبراز المدى الذي تدعم به قوى التقدم أو قوى التقهقر من جراء الأداء الوظيفي للزكاة في النظام الاقتصادي الإسلامي في هذا الصدد ، توفر لنا قواعد توزيع الزكاة منهجية مثلى في مجال التوفيق بين الفعالية الإنتاجية والعدالة التوزيعية وهذا ما يتضح من خلال تناول النقاط التالية :

- تأثير التوزيع على رأس المال .

- تأثير التوزيع على العمل .

- تأثير التوزيع على الفقر .

٣-١-١ - تأثير التوزيع على رأس المال :

إن التدبير الرشيد للأموال الزكوية يقتضى ألا تصرف الإيرادات في أغراض استهلاكية بحتة بل يجب تخصيص جزء منها ، على الأقل ، لأغراض إنتاجية ولأغراض التقدم .

٣-١-٢ - تكوين الرأسمال :

يجب التأكيد أولاً على أن أداء الزكاة نقداً بالنسبة لبعض الخيرات ويكون عينا بالنسبة للبعض الآخر والأحناف لا يستبعدون أن يكون أداؤها قيمة .

وبالأداء العيني للزكاة تتحول عملية التوزيع آلياً إلى عملية تكوين رأس المال المتمثل في الأنعام التي تؤول إلى مستحقيها .

وأداؤها نقداً لا يستبعد من جهة أيضاً فكرة التكوين الرأسمالي ، بل هناك من النصوص الفقهية ما يفيد حرص العلماء على أن لا يغذى توزيعها قطاع الاستهلاك النهائي فحسب بل يؤكد بعضهم على تمليك صغار الفلاحين الذين لا أرض لهم قطعة أرضية تكفي لسد كفايتهم وعلى تمكين الحرفيين بأدوات الإنتاج والمواد الأولية اللازمة

لانطلاق أعمالهم . بل ذهبوا إلى أن مقدار الرأس المال الذي يجب توفيره لمستحقي الزكاة يتوقف على طبيعة مهنتهم، فإذا كان الدرهم يكفي لأحدهم فهذا هو المقدار الذي يحق له ، وإذا كانت مهنة الآخر تتطلب ١٠٠٠٠ درهم ، فيجب تزويدها بهذا المبلغ وإلا فحسب الإمكان ، وإذا كان الثالث فنياً في أكثر من مهنة فيجب عندئذ تمويل أقلها استهلاكاً للرأس المال شريطة أن تمكنه من تحسين ظروفه المعيشية .

ولقد أضاف المحدثون صيغاً جديدة من شأنها أن تجعل من الزكاة أداة تكوين الرأسمال في المجتمع ، ومن بين هذه الصيغ نذكر واحدة هنا وهي إنشاء وحدات إنتاجية إما لحساب الإدارة الزكوية وإما بالاشتراك بينها وبين مستحقي الزكاة ، وسوف نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد .

وبهذا الأسلوب يتأكد مبدأ الإغناء الذي يقود مؤسسة الزكاة عند توزيع مواردها على المستحقين ، ومن خلاله تخدم الزكاة مثل العدالة والتضامن دون أن يؤدي بها ذلك إلى إغراق المجتمع في مساوئ الإعانة الجامدة والباردة ، بل على العكس من ذلك ترتبط الإعانة الزكوية ارتباطاً عضوياً بالجهد والإنتاج والتنمية .

وبذلك تغدو الزكاة خادمة للتنمية سواء عند أدائها أو عند توزيعها ، وهو ما يتأكد أيضاً إذا ناقشنا آثارها على التقدم العلمي والفني .

٢ - ١ - ٣ - تأثير الزكاة على التقدم العلمي والفني :

إن من آثار الزكاة على العناصر المحددة للتنمية الاقتصادية كالتقدم العلمي والتكنولوجي ما يرتبط منها بقواعد توزيع الحصيلة الزكوية وما يهمننا هنا أمران هما : « سهم في سبيل الله » ومكونات « حد الكفاية » الذي على الزكاة أن توفره لمستحقيها . (أ) إن سهم « في سبيل الله » ينصرف على القول الراجح إلى تطوير القدرات العسكرية للأمة . ومن واجب الواجبات اللازمة لهذا التطوير يتمثل في التنمية العلمية والتقنية، وما من شك في أن التحكم في التكنولوجيا لا تتوقف آثاره الإيجابية عند الاستعمالات العسكرية وإنما تتجاوزها إلى الاستعمالات السلمية وأول ميدان تتجسد فيه الآثار هو ميدان الصناعة المدنية التي تطور خبراتها بمزاوتها للإنجازات التي يقوم بها لحساب الصناعة الحربية ، وهكذا تساهم الزكاة في تدعيم البحث

العلمى والفنى بتمويل التجارب العلمية والتقنية فى المختبرات العسكرية ، وتنقل الخبرات منها إلى المجتمع المدنى بفعل الاعتماد المتبادل بين الصناعة العسكرية والصناعة المدنية أو بفعل تحويل الطرق التكنولوجية الموضوعة أصلاً للإنتاج العسكرى إلى طرق تكنولوجية أخرى تستعمل بأكملها فى الإنتاج الصناعى .

(ب) والقاعدة التوزيعية الثانية التى تسهم من خلالها الزكاة فى تطوير البحث العلمى و التقنى تتمثل فى « حد الكفاية » أو بعبارة أدق فى العناصر التى يتألف منها الحد، ومن هذه العناصر تمويل الدراسة وبالأخص لصالح المتفوقين والنبغاء الذين هم فى حاجة إلى مثل هذا التمويل ، ولقد نص الفقهاء الأقدمون على ما ينبغى أن توفره الزكاة لهؤلاء من ضروريات الحياة بالإضافة إلى كتب العلم ، واليوم تقع على عاتق الفقهاء المحدثين مهمة مراجعة بنود هذا التمويل على ضوء حاجيات التكوين العلمى والبحث العلمى (الإعلاميات ، المختبرات ، التجهيزات ..) ومن هذا الجانب أيضاً تقوم الزكاة بدور جلى مفاده تدعيم قوى التقدم الضرورية واللازمة لأية ضرورة تنموية .

(ج) والقاعدة الثالثة التوزيعية التى تؤثر بها الزكاة إيجابياً على التقدم التقنى ، تتمثل فيما يراه بعض المحدثين من أن تمويل التكوين المهنى للمستحقين ولأبنائهم يندرج ضمن الخطوط التمويلية المشروعة للزكاة ، مما يترتب عليه تكوين الأطر الصغيرة والمتوسطة التى عليها يتوقف الاستخدام الأفضل للتكنولوجيا المتوفرة ، كما يترتب عليه أيضاً إدماج هذا الصنف من المستحقين القادرين على الكسب فى الدورة الإنتاجية ، وهذا ما ناقشه فى الفترة التالية .

٢-٣ - تأثير توزيع الزكاة على العمل ؛

انسجماً مع تصور العمل فى الاقتصاد الإسلامى فإنه يستحيل أن تحل الزكاة محل المورد المرتبط بالجهد ، إذ من الواجب على كل قادر على مزاولة النشاط الاقتصادى أن يكسب ويأكل من عمل يده ، لذا تحرم البطالة الإرادية صاحبها من الاستفادة من موارد الزكاة ، هذا ما يدل عليه حديث رسول الله بقوله : « لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » (٥) .

وإذا كان العمل واجباً فإنه حق أيضاً في ضوء هذه الثنائية يتقوى مبدأ الإغناء بدلالة أخرى تفرض على إرادة الزكاة أن لا تصرف مواردها في قنوات الاستهلاك النهائي ، وأن تحرص على إيجاد الظروف المساعدة على العمل كما تسعى إلى إيجاد فرص جديدة للعمل ، وفي هذا الاتجاه ينبغي فهم الحديث الآخر الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب »⁽¹⁾ ، ومن بين ما يستفاد من هذا الحديث أن القادر على الكسب الذي لا يجد عملاً لا يسقط حقه في الزكاة ، وفي هذه الحالة يجب إعمال المبدأ القاضى بمحاربة الفراغ وتجنب المساعدة المشجعة على الخمول والانتكال ، مما دفع المهتمين إلى اقتراح أساليب توزيع الزكاة التى من شأنها أن تتفادى الوقوع فى مثل هذه المحاذير ، ومن بين هذه الأساليب :

(أ) توفير أدوات العمل أو الرأسمال للمستحقين من العمال غير المستقلين من الفلاحين والرعاة والحرفيين والتجار .

(ب) توفير التكوين المهنى للمستحقين من العمال غير المستقلين ، بل هناك من يرى أن من واجب إدارة الزكاة إنشاء مؤسسات التكوين المهنى للفقراء بأن تكون استفادة هؤلاء منها بالمجان وأن تكون استفادة غير المستحقين للزكاة بالأداء . وهذا فى حالة عدم وجود مثل هذه المؤسسات ، وأما فى حالة وجودها فإن من واجب إدارة الزكاة أن توفر المنح واللوازم الدراسية للمستحقين فقط .

(ج) عند الحاجة تتولى الزكاة إنعاش المهن الصغيرة المنزلية التى تتطلب رأسمالاً متواضعاً مثل آلات الخياطة وآلات الطرز وآلات النسيج وآلات الكتابة أو الحاسب وغيرها .

(د) توفير أدوات العمل للتجار الصغار مثل الأكشاك ، والثلاجات المتنقلة وعربات النقل بفئاتها المختلفة .

(هـ) إنشاء وحدات صناعية وتجارية وفلاحية .. لحساب المؤسسة الزكوية على أن تقوم بتشغيل مستحقي الزكاة . إلا أن هذا المقترح أثار جدالاً أن هذه الطريقة تتعارض مع مبدأ تملك الزكاة لمستحقيها ، وقد يتم تجاوز هذا التناقض إذ ما سلمت ملكية هذه الوحدات على شكل أسهم لمستحقي الزكاة . إلا أن المسألة لا تزال فى حالة إلى مزيد من النظر .

(ز) إحداث مشاريع مشتركة بين المؤسسة الزكوية والفقراء المستحقين لخدمة نفس الأغراض السابقة ، إلا أن هذا الاختيار يتفرع عن الاقتراح السابق وبالتالي يثير نفس الاعتراض .

بهذه الإجراءات المختلفة الرامية إلى إيجاد فرص الشغل للمحتاجين وتنوع سبلها ، تقف الزكاة وراء سياسة حقيقية برنامجها محاربة البطالة ، ويتبين من خلالها أن الأهمية التي تعلقها الزكاة على الجهد يجعل منها بالإضافة إلى كونها أساساً للتضامن الاجتماعي عنصراً فعالاً في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبفضل هذا المنهج تتحول المساعدة إلى حافز على الإنتاج وعلى الاستقلال المعيشي للمحتاجين وعلى انعتاقهم من التبعية ، وبذلك تجتمع فيها الشروط اللازمة للقيام بدور حاسم في سبيل القضاء على الفقر .

٢-٣- تأشير توزيع الزكاة على الفقير :

تتمثل مهمة الزكاة ، على هذا المستوى ، في العمل على محو الفقر من المجتمع ومواجهتها لهذا الواجب ، تتم عبر القنوات التالية :

- سياسة الكفاية .
- سياسة الأغنياء .
- سياسة الوقاية .
- سياسة اللامركزية .

٢-٣-١- سياسة الكفاية :

ذهب أهل العلم إلى أن ما ينبغي صرفه من الزكاة إلى المحتاج هو ما يحقق له الكفاية إلا أنهم ذهبوا في تحديد هذا المقدار مذاهب شتى فمنهم من قال : عشاء وغذاء ومنهم من قال ٤٠ درهماً ومنهم من قال : ٥٠ درهماً ومنهم من قال حد النصاب ٢٠٠ درهم ومنهم من قال ، على المعطى في ذلك الاجتهاد وحسن النظر وهذا الرأي الأخير لمالك ابن أنس رضى الله عنه هو الذى يؤيده أبو عبيد بقوله : « وقد تدبرنا الأحاديث العالية فلم نجدها تخبر في ذلك بتوقيت ، إنما حددت السنة ما كان ملكاً متقدماً للمعطى من الأوقية وغيرها قبل العطية ، وأما إذا كان يوم يعطاها فقيراً موضعاً للصدقة فإننا لم نجد في الآثار دليلاً على ذلك بل تدل على الفضيلة في الإكثار منها والاستحباب لذلك » (٧) .

وإذا تقرر أن ما يعطى المحتاج ليس مقيداً بمقدار معين فإن ذلك يعنى أن مقدار ما يعطاه رهيّن بالظروف الاقتصادية والاجتماعية لكل زمن ، ومناطه هو تحقيق حد الكفاية لكافة أبناء الأمة بحسب ما تسمح به هذه الظروف .

وبالرغم من هذا التطور الذى يطبع حد الكفاية فإن الفقهاء لم تفتهم دراسة المؤشرات الدالة على ما ينبغى أن يشتمل عليه بأن كان لهم شرف السبق فى معالجة الحاجات الأصلية التى جعلت منها محافل الأمم المتحدة إحدى اكتشافاتها فى مجال حقوق الإنسان كالمأكّل والمشرب والمأوى والصحة والتعليم ، بل أن عظمة الإسلام ألهمت العلماء المجتهدين فى زمانهم ذلك إلى تجاوز هذا المفهوم الضيق لحد الكفاية بأن جعلوا من تمام الكفاية :

١ - المركب الفرس فى ذلك الزمان وقد يكون فى زماننا الدراجة أو السيارة أو رسم الانخراط فى الحافلة .

٢ - الحرية فك الرقبة فى ذلك الزمان وقد يكون فى زماننا تحرير أسرى المسلمين عند العدو وتحرير الشعوب المستعمرة وتقديم المساعدات للأقليات الإسلامية .

٣ - الخادم لمن كان فى حاجة إليه كالضريح والمقعد والهرم مثلاً إن عدم من يقوم بهم من الأقارب وذوى الحقوق أو ذوى التقوى والإحسان .

٤ - قضاء الدين على الغريم سواء كان القرض متعلقاً لمصلحة نفسه أو لمصلحة اجتماعية، ويلحق بالدين ذهاب المال بسبب الكوارث الطبيعية .

٥ - الزواج للراغب فى تكوين أسرته وهو يفتقر إلى المال الذى يمكنه من ذلك .

ويحسن بنا أن نستشهد هنا بأقوال هؤلاء الأئمة الأعلام للاستدلال على ما ذهبوا إليه فى هذا المجال .

(أولاً: نقرأ فى الأموال لأبى عبيد الآتى :

١ - حدثنا إسماعيل بن جعفر عن الربيع بن صبيح عن الحسن أنه « سئل عن الرجل تكون له الدار والخادم تكفه (تكنه) ؟ قال : يأخذ الصدقة إن احتاج ، ولا حرج عليه » (٨) .

٢ - حدثني يحيى بن بكير قال : سمعت الليث بن سعد يقول كتب عمر بن عبد العزيز « اقضوا عن الغارمين فكتب إليه أنا نجد الرجل له المسكن والخادم ، والفرس والأثاث ، فكتب عمر أنه لا بد للمرء المسلم من مسكن يسكنه ، وخادم يكفيه مهنته وفرس يجاهد عليه عدوه . . ومن أن يكون له الأثاث فى بيته ، نعم فاقضوا عليه ، فإنه غارم » (٩) .

٣ - حدثنا أبو بكر عن عياش عن الأعمش بن أبى نجيع عن مجاهد عن ابن عباس قال « أعتق من زكاة المالك » (١٠) ، قال أبو عبيد : فأدنى ما يكون قيمة الرقبة أكثر من مائتى درهم .

ثانياً : لقد عرف الأحناف الحاجات الأصلية التى يتألف منها حد الكفاية تعريفاً علمياً رائعاً فأروا أن الحاجات الأصلية « هى ما يدفع الهلاك عن الإنسان تحقيقاً ؛ كالتنفة ودور السكنى وآلات الحرب ، والثياب المحتاج إليها لدفع الحر والبرد ، أو تقديراً ؛ كالدين وأن المدين يحتاج إلى قضائه بما فى يده من النصاب ليدفع عن نفسه الحبس الذى هو كالهلاك ، وكآلات الحرفة ، وأثاث المنزل ، ودواب الركوب وكتب العلم لأهلها ، فإن الجهل عندهم كالهلاك ، فإن كان له دراهم مستحقة أن يصرفها إلى تلك الحوائج صارت كالمعدومة ، كما أن الماء المستحق بصرفه إلى العطش كان كالمعدوم وجاز عندهم التيمم » (١١) .

ولهذا النص دلالات قوية لعل من أعمقها اعتبار تحقيق هذه الحاجات سبباً لإسقاط الزكاة وموجباً لاستحقاقها فمن كانت بيده نقود ، وإن بلغت النصاب ، تسقط عنه الزكاة ليصرفها فى إحدى أو بعض هذه الحاجات الأصلية ، وصار بحكم ذلك كمن لا يملك النصاب ابتداءً ، ومفهوم المخالفة يقتضى أن من لم تكن له نقود ليواجه بها مثل هذه المصاريف عد من صنف المستحقين للزكاة ، وبذلك يتحول حد الكفاية الذى هو ملك النصاب إلى مؤشر اجتماعى على أساسه يتم تقسيم المجتمع إلى دافعين للزكاة ومستحقين إياها . كما سنتعرض لذلك بشيء من التفصيل فى آخر هذا العرض إن شاء الله .

وخلاصة القول هى : أن مستوى الكفاية الذى تقصد الزكاة إلى تحقيقه يتأرجح بين حد أدنى يساوى قوت اليوم والليلة ، وحد أعلى يشمل كافة أسباب العيش الرغيد ، وتبين من استقراء النصوص وروح التشريع أن الاختيار الثانى هو المقصد الذى تعمل الزكاة على تحقيقه ، من أجل ذلك اعتمدت سياسة الأغنياء فى تدبير مصارفها .

تختلف سياسة الأغنياء عن سياسة توفير حد الكفاية بكون أن الأولى ترمى إلى نقل المستحق الزكاة من طور الحاجة إلى طور الغنى دفعة واحدة ، بينما الثانية تقضى بتوفير ما يلزم المستحق من الموارد بالقدر الذى يوفر له الحاجات الأصلية لوقت ما قد لا يتحقق بأخذه إياه مرة واحدة . هذا الانتقال من أخذ الزكاة إلى حالة الاستغناء عنها أو إلى مؤد لها .

والإغناء سياسة نهجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأمر السعاة بتطبيقها بعد ما بين لهم بنودها على هذا النحو (١٢) .

- « إذا أعطيتم فاغنوا » .

- « كرروا عليهم الصدقة وإن راح على أحدهم مائة من الإبل » .

- « لأكررن عليهم الصدقة وإن راح على أحدهم مائة من الإبل » .

ووجه هذه البنود هو ما ذهب إليه أبو عبيد بقوله « فأرى عمر على ما تأولنا عليه وقد توسع فى الإعطاء حتى بلغ المائة وهذا من نفس الفريضة ، وليس لأحد أن يتوهم أنه نافلة لأنه من صدقات المواشى » (١٣) .

وليس عمر بن الخطاب فقط هو الذى قال بسياسة الإغناء بل نجد من الفقهاء من يتبناها ويؤيدها وجوز للمستحق : أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى به طول عمره ، أو يهيم بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طوال عمره لأن هذا هو الغنى (١٤) .

وربط آخرون مقدار ما يؤخذ من الزكاة بطبيعة الحرفة التى يحسنها وإن كان يحسن أكثر من واحدة أعطى ما يمكنه من مزاولة أذناها رأسمالية شريطة أن يصبح بها غنيا ، ومعلوم أن التجهيزات التى تتطلب الحرف تختلف من مهنة إلى مهنة . فمن مهنته كالتاجر مثلا تحتاج إلى درهم (١٥) أعطى ذلك ، ومن مهنته تحتاج عشرة آلاف درهم أعطى أيضاً (١٦) . وسياسة الإغناء بالزكاة لا تراها عند من اختارها إلا قائمة على قاعدة الإنتاج ، حيث أن أخذ الزكاة الذى له خبرة فى مهنة ما ، أعطى مقدار الرأسمال الذى

من مزاولتها ، بذلك يتحول بدفعة واحدة من الزكاة ، من مستحق لها إلى مرشح للتكليف بها .

وإذا كانت آراء الفقهاء تركز سياسة الإغناء حول توفير الرأسمال اللازمة لتجهيز أصحاب الحرف فحسب ، ولا تولى أى اهتمام للعمل الأجير فإن ذلك يرجع احتمالاً إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تسود بيئاتهم حيث لم تكن للعمل الأجير الأهمية التي يتصف بها اليوم ، ثم إن العمل الأجير لا يحتاج إلى رأسمال بل المحتاج إليه هو رب العمل ولذلك كان عندهم أولى بالاهتمام ، وأما عصرنا فقد أصبح فيه العمل الأجير ظاهرة لا يقلل أحد من خطورتها ، وغدت البطالة التي تنتابه تهدد استقرار الأمم والدول ، مما جعل الفقهاء المعاصرين يهتمون بالتكليف الشرعى لسياسة الإغناء لصالح العمال ، فذهبوا في ذلك مذاهب شتى منها : التكوين المهني ، وإنشاء التعاونيات الإنتاجية وحسب أصلها عليهم يعملون فيها ويتقاسمون إيراداتها .

ثم إن سياسة الإغناء سواء عند القدامى أو المحدثين لم يجعلوها حكراً على القادرين الذين يستطيعون ممارسة النشاط الإنتاجي فحسب ، بل خرجوا لها أساليب تكفل العيش الكريم للعاجز عن السعى أيضاً ، فقال بعضهم يعطى العاجز كفاية العمر دفعة واحدة أو مقسطة ، وإن كان تقدير هذه الكفاية دون ما يمضى به إلى آخر أيامه قدرت له كفاية أخرى بقدر ما يليق لضربائه ، وقال البعض الآخر يعطى كفاية السنة المتجددة بتجدد الموارد الزكائية وبذلك يكون غنياً طوال عمره ، وأضاف المحدثون آراء جديدة بالاهتمام حيث ربطوا حتى في هذه الحالة توفير الإيراد للمحتاج بمورد يضمن له أيضاً استقلالته ، فقالوا بتمليك عقارا يدر عليه بالإيجار رعباً يتكرر شهرياً أو سنوياً وبذلك يصبح غنياً ، أو باقتناء المستغلات أو الأراضى أو المباني وتوقيف عينها على المستحقين الذين يستفيدون من إيراداتها وبذلك تتوفر لهم دخولا مضمونة طوال حياتهم .

إن سياسة الإغناء الزكائية سياسة ترمى على العموم إلى إعادة توزيع الثروة والدخول في المجتمع مما يؤدي لا محالة إلى التقليل من الفوارق الطبقيه ابتداءً من أوضاع يجب تصحيحها بحيث يتحقق لكافة الأفراد أدنى مراتب الغنى الذي هو توفير لحد الكفاية ، أى الحد الذي يتحول فيه المرء من آخذ للزكاة إلى مكلف بأدائها وهذه النتيجة ،

ليست نظرية فحسب وإنما هي واقعية ينطق بها تاريخ الأمة الإسلامية ، ففي الأموال يروى أبو عبيد عن حجاج عن ابن جريح قال ، أخبرني خلال أن عمرو بن شعيب أخبره : (أن معاذ بن جبل لم يزل بالجند ، إذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ثم قدم على عمر ، فرده على ما كان عليه فبعث إليه معاذ بثلاث صدقة الناس ، فأنكر ذلك عمر ، وقال : لم ابعثك جابيا ولا أخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم . فقال معاذ . ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدا يأخذه مني فلما كان العام الثاني بعث إليه شطر الصدقة ، فتراجعا بمثل ذلك . فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها ، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل فقال معاذ ما وجدت أحدا يأخذ مني شيئا (١٧) .

وأكثر شهرة من هذه القصة ما يروى لنا التاريخ على عهد عمر بن عبد العزيز الذي كان يأمر المنادى هل من غريم ليقضى دينه وهل من رقبة ليعتقها وهل من راغب فى إنشاء أسرة ليزوجه (١٨) ، وقريب منا « يذكر المؤرخون بأن الرخاء الاقتصادى والاجتماعى فى عهد المرابطين خلال القرنين الحادى و الثانى عشر الميلاديين بلغ حد انعدام معه وجود الفقراء واللصوص فى أقطار الشمال الإفريقى » (١٩) .

وإذا كانت سياسة الأغنياء تقوم بمطاردة الفقر والمسكنة من المجتمع فإن سياسة الوقاية تعضدها وتوازرها .

٣-٢-٣ - سياسة الوقاية :

تنصرف سياسة الوقاية إلى الإجراءات التى من شأنها أن تمنع حدوث أمر غير مرغوب فيه ، فهى إذا سياسة قبلية تهدف إلى الحفاظ على توازن قائم لا يتنافى مع الاختيارات المعتمدة ، وفى المجال الذى يعيننا تقتضى الاختيارات التى تقوم عليها مؤسسة الزكاة أن تعالج بسياسة الوقاية الأسباب المؤدية إلى مزيد من هذه الحالات ، وهى بذلك تقضى على مسببات الفقر والحاجة الممكن وقوعهما ، وتتجلى هذه السياسة فى بندين :

البند الأول :

وهو سهم الغارمين ، خاصة ذلك الشخص الذى استدان فى غير معصية قصد الاستهلاك النهائى أو الاستهلاك الإنتاجى ، فإذا به لأسباب قاهرة يتحول إلى مدين معسر ، وقد يؤدي به هذا العسر إما إلى الإفلاس الذى من شأنه أن يحوله إلى محتاج بمقتضى الفقر ، وإما إلى الإفلاس والسجن معاً ، ما يترتب عنه حبس الطاقات الإنتاجية عن العمل و بروز المزيد من الفقراء المحتاجين إلى موارد الزكاة .

حفاظاً على هذه الطاقات الإنتاجية ومنعاً لهذا التزايد اقتضت حكمة الشارع أن يخصص للمدين المعسر رصيلاً من أموال الزكاة لتسديد دينه ، وبذلك تحقق هذه السياسة هدفين هما : أولاً تفويض سبب من الأسباب المؤدية إلى الإكثار من المحتاجين فينجم عن ذلك تخفيف الضغط على سهمى الفقراء والمساكين ، وثانياً المحافظة على سلامة المشاريع كى تواصل عملها الإنتاجى من شأنها أن توسع من مقدار الموارد الزكوية .

ويعبارة أخرى تعمل سياسة الوقاية على تضييق قاعدة المصاريف وتوسيع قاعدة الموارد ، وتساهم بذلك مساهمة فعالة فى الاستتباب لمزيد من العدالة الاجتماعية ، وذلك لأنها تعمل على إعادة توزيع قبلى حيث تسبق الأحداث فتمكن الغارم من الحفاظ على حالة الغنى التى عهددها والتى كان من المتوقع أن يفقدها لو لم يبادر سهم الغارمين لتسديد دينه .

والبند الثانى :

هو سهم ابن السبيل ، وابن السبيل هو المسافر فى غير معصية تحدث له نوازل فيتعذر عليه مواصلة السفر ذهاباً وإياباً أو فى حالة الإياب فقط ، فيحق له أن يتزود من هذا السهم بالقدر الذى يوصله إلى مبيتغاه حتى ولو كان غنياً فى موطنه ، وإلا أصبح عرضة للضياع الذى يتهدده أو التأخير الذى يلحقه فينتج عن ذلك إفلاس فى الأعمال أو فقدان للعائل مما ينتج عنه هنا أيضاً الزيادة فى عدد المحتاجين ، وبذلك يكون سهم ابن السبيل أداة وقاية له وللمجتمع من هذه النتائج الوخيمة ، وبذلك يؤدي نفس الوظائف التى يؤديها بند الغارمين كما تقدم سواء تعلق الأمر بالتخفيف من الضغط على المصارف أو دعم الموارد أو تحقيق العدالة الاجتماعية وإعادة التوزيع القبلى .

وهناك خاصية أخرى تساعد مؤسسة الزكاة على تحقيق مقاصدها ألا وهي محلية الأخذ والعطاء أو ما يصطلح عليه حديثاً بسياسة اللامركزية .

٣-٤ - سياسة اللامركزية :

يعتبر اعتماد سياسة اللامركزية في جباية وتوزيع مبدأ أصيلاً قرره السنة القولية والفعلية منذ البداية ، وذلك حين بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رسولا إلى اليمن وأمره به أن يخبر سكان هذا الأقليم بأن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، وعلى هذا المبدأ قام التنظيم الزكوى في العصور التي تلت عهد النبوة ، وبهذا المبدأ أخذ جمهور الفقهاء ولم يجوزوا نقلها إلى مصلحة أخرى أو إلى العاصمة إلا لاعتبار معين كنقلها من قبل المكلف إلى قرابته إذا فاقت الموارد المحلية المصاريف المحلية أو كمنقلها إلى إقليم منكوب أو غير ذلك من الأسباب ، وأما فيما عدا هذا القبيل من الحالات فرأيهم أن يتم توزيع الحصيلة بكاملها محلياً ، قال أبو عبيد : « والعلماء اليوم مجمعون على هذه الآثار كلها ، أن أهل كل بلد من البلدان ، أو ماء من المياه ، أحق بصدقتهم ، مادام فيهم من ذوى الحاجة واحدا فما فوق ذلك ، وإن أتى ذلك على جميع صدقتها حتى يرجع الساعى ولا شيء معه منها » (٢٠) .

يترتب على إقرار هذا المبدأ والعمل به أمور تتصل بقضية التوزيع اتصالاً وثيقاً على المستوى الاجتماعى وعلى المستوى الجغرافى . فعلى المستوى الاجتماعى يتم إعادة توزيع الثروة والدخول محلياً حيث أن المستحقين المحليين أولى بها من غيرهم ، وبذلك تكف العدالة الاجتماعية على أخذ طابعها المجرى والمرتببط بقرارات السلطات المركزية بل تؤخذ طابعاً واقعياً متجسداً فى ذهن الأخذ والمعطى على السواء فى أن الانتفاع من الموارد المحلية يعم الجميع على المستوى المحلى .

والفائدة الأولى الناجمة على هذه الواقعية المتطورة هى أن المستحقين يعرفون حقوقهم كاملة فى موارد المكلفين وبالأخص الأموال الظاهرة منها ، وبذلك لا يمكن إضرارها ولا هضمها ، بخلاف السياسة المركزية التى تعمل على ذوبان الموارد فى بعضها البعض وبذلك لا يكون أحد أحق بها من غيره ، وإذا لم تكن الأيادى التى تقوم عليها أمينة تعرضت للسرقة والنهب وبذلك تضيع الحقوق ويساء التوزيع وتتدهور العدالة ويفتح باب المحسوبية وما إلى ذلك مما هو معروف بخصوص تدبير الميزانيات العمومية فى عصرنا .

وأما الفائدة الثانية فهي أن سياسة اللامركزية تقرر مبدأ العدالة المحلية كمرحلة أولى لإعادة التوزيع ثم العدالة الاجتماعية الوطنية كمرحلة ثانية في الصيرورة العامة لإعادة التوزيع . وهذه هي منتهى الصور الأكثر تقدماً في مجال الديمقراطية الاقتصادية الحقة حيث يؤول إلى المواطن ما يؤول إليه من موارد الزكاة تبعاً لأسباب موضوعية صرفه فللقروي أولوية الاستفادة من موارد باديته وللحضرى أولوية الاستفادة من موارد مدينته ، وبذلك يستحيل حدوث ما أصبح يسمى بالتهب الذي تخضع له البادية من قبل المدينة .

وعلى المستوى الجغرافى تعكس سياسة اللامركزية الصورة الحقيقية لتوزيع النشاط الاقتصادى على التراب الوطنى ، كما تعكس الأهمية النسبية لاقتصاديات المناطق ، ذلك أن العلاقة المنتظمة بين ميزانية الزكاة المركزية وميزانيات المحلية لا تقوم على مبدأ إملاء القرار السلطوى من الأعلى إلى الأسفل بل تقوم على مبدأ الموازنة ، لذلك تمثل الميزانية المركزية مركزاً لعبور الموارد من ميزانيات محلية تعرف فائضاً إلى ميزانيات محلية تعرف عجزاً ، وبذلك تقوم بدور إعادة التوزيع فى المرتبة الثانية لكن على الصعيد القومى وبذلك تدعم العدالة الاجتماعية على المستوى الكلى ، ولهذا الاستنباط النظرى ما يؤيده من الوقائع التاريخية نورد منها الصور التالية :

- ١ - « إن عمر بعث معاذ ساعياً على بنى كلاب ، أو على بنى سعد بن كينان ، فقسم فيهم حتى لم يدع شيئاً حتى جاء بحلسه الذى خرج به على رقبتة » (٢١) .
- ٢ - قال سعد : « وكنا نخرج لناخذ الصدقة فما نرجع إلا بسيطانا » (٢٢) .
- ٣ - قال عبيد : « فإن جهل المصدق فحمل من بلد إلى آخر سواه ، وبأهلها فقر إليها ، ردها الإمام إليهم ، كما فعل عمر بن عبد العزيز ، وكما أفتى به سعيد بن جبير » (٢٣) .
- ٤ - « استعمل محمد بن يوسف طارس عن مخلاف فكان يأخذ الصدقة من الأغنياء فيضعها فى الفقراء فلما قال له : ارفع حسابك ، فقال مالى حساب كنت آخذ من الغنى فأعطى المسكين » (٢٤) .
- ٥ - ونفس هذا المعنى نستفيده مما قام به معاذ بن جبل لما بعث إلى الخليفة عمر سنة بعد أخرى ، ثلث صدقة اليمن ثم نصفها ثم كلها (٢٥) .

وهذا فى الظروف العادية التى تعرف فيها الميزانية المحلية إحدى الاحتمالات الآتية :

- العجز الذى يتطلب تحويلا إليها من سواها عبر الميزانية المركزية .
- الفائض الذى يجب تحويله منها إلى سواها عبر الميزانية المركزية .
- التوازن الذى لا يحتاج إلى تحويل لا منها ولا إليها .

وأما الحالات الاستثنائية فإنها تستدعى بطبيعة الحال حلولاً استثنائية ذلك ما نجد له مرجعاً فى تاريخ أمتنا الذى نقرأ فيه صوراً شتى من بينها :

١ - حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لقبیصة بن المخارق فى الجمالة « أقم حتى تأتينا الصدقة ، فأما أن نعينك عليها وأما أن نحملها عنك » قال أبو عبید : « فرأى إعطاءه إياها من صدقات الحجاز وهو من أهل نجد ورأى حملها من أهل الحجاز إلى أهل نجد » (٢٦) .

٢ - أداء الزكاة قبل حلول وقت وجوبها بعامين كما فعل العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم (٢٧) .

٣ - حديث عمر حين قال لابن أبى ذبان ويعثه بعد عام الرمادة ، فقال : « اعقل عليهم عقالين فأقسم فيهم أحدهما ، واثنتى بالآخر » (٢٨) .

٤ - إلغاء جباية الزكاة فى حالة الكساد والأزمة كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

٥ - استقدم عمر بن الخطاب زكوات مصر إلى المدينة لما حلت بها المجاعة .

وهكذا يتبين لنا ما للسياسة اللامركزية التى تقتضيها مؤسسة الزكاة من آثار إيجابية على مستوى العدالة الاجتماعية محلياً ووطنياً وعلى مستوى البعد الجغرافى لإعادة توزيع الموارد بين مناطق الفائض إلى مناطق العجز ، مما ينتج عنه توازن فى التنمية على مستوى توزيع مقدراتها بين المناطق والأقاليم ، وبين المدن والقرى ، وإذا أضيفت هذه الآثار إلى آثار كل من سياسة حد الكفاية وسياسة الإغناء وسياسة الوقاية فلا بد أن تتمخض الزكاة على تغييرات بنوية .

عوضاً عن الخاتمة : التغييرات البنوية :

نقصد بالتغييرات البنوية التى نريد الحديث عنها ، تلك الآثار التى تخلفها مؤسسة الزكاة على البناء الاقتصادى والاجتماعى كأداة لتحقيق العدالة الاجتماعية .

فعلى المستوى الاقتصادى لا بد من تسجيل النتائج السالفة لمختلف سياسات تدبير الموارد الزكائية بالتأكيد على جدوى إعادة توزيع كل من الثروة القومية والدخل القومى ، وهذه النتيجة أثبتتها أحد الكتاب المعاصرين فى دراسة تحليلية مهمة حيث انتهى فيها إلى الاقتناع التالى : إنه من المؤكد أن للزكاة دوراً أساسياً فى إعادة توزيع الثروات والدخول إلا أن البعد الزمنى الذى يتم فيه ذلك ليس واحداً حيث لا يتم التغيير البنوى لتوزيع الملكيات بين أفراد الأمة إلا على المدى البعيد ، وأما التغيير الذى يطرأ على الاستفادة من الدخول فيتم فى المدى القريب (٢٩) .

ويؤكد باحث آخر من أن تطبيق الزكاة فى السودان سوف يؤدى إلى إعادة توزيع ثلث الدخل القومى من الفئات الغنية إلى الفئات الفقيرة خلال مدة لا تتجاوز عشر سنوات (٢٠) .

وإذا أضفنا إلى هذا الدور للزكاة فيما يخص إعادة توزيع الممتلكات ، نظام الإرث الإسلامى ، فإن تفتيت الثروات وتعميمها على أوسع نطاق يكون هو السمة الرئيسية للبناء الاقتصادى الإسلامى نظرياً وتطبيقياً .

وأما على المستوى الاجتماعى فليس هناك أدنى شك فى أن هذه التغييرات فى البناء الاقتصادى يترتب عليها حركة فى السلم الاجتماعى انطلاقاً من مرحلة أولية لا يعرف فيها المجتمع الزكاة إلى مراحل تدخل فيها الزكاة حيز التطبيق عاماً بعد عام ويعجبني أن أنقل هنا بالحرف كيف حلل المواردى هذه المسألة حين قال : « وإذا قسمت الزكاة فى الأصناف الثمانية لم يخل حالهم بعدها من خمسة أقسام ، إحداها أن تكون وفق كفايتهم من غير نقص ولا زيادة ، فقد خرجوا بما أخذوه من أهل الصدقات وحرّم عليهم التعرض لها .

والقسم الثانى أن تكون مقصرة عن كفايتهم فلا يخرجون من أهلها ويحاولون بباقى كفايتهم على غيرها والقسم الثالث أن تكون لبعضهم مقصرة عن الباقيين فيخرج المكتفين عن أهلها ويكون المقصرون على حالهم من أهل الصدقات ، القسم الرابع أن تفضل عن كفاية جميعهم فيخرجون من أهلها بالكفاية ويرد الفاضل من سهامهم على غيرهم من أقرب البلاد إليهم ، والقسم الخامس أن تفضل عن كفايات بعضهم وتعجز عن كفايات الباقيين فيرد ما فضل عن المكتفين على من عجز من المقصرين حتى يكتفى الفريقان (٢١) .

وبذلك نخلص من الماوردى إلى طبيعة حركة السلم الاجتماعى للمستحقين للزكاة بخروجهم من أهل الصدقات أو المكوث من بينهم على هذا المنوال .

- الأقسام التى تعرف فائضاً أو توازناً تنتقل لهذا السبب إلى أدنى مراتب الغنى ، التى تمنعها من أخذ الزكاة لتصبح بعد تحسن أحوالها مؤدية لها . وهذه الأقسام هى ، الأول والرابع والخامس وبعض من القسم الثالث .

- وأما الأقسام التى تعرف عجزاً فتمكث حتى وإن تحسنت ظروفها بعد حصولها على الزكاة من أهل الصدقات لأنها لم تتمكن من الحصول على الكفاية لذلك يحول إليها ما فضل عن الأقسام الأخرى ، وهذه الحالة لا تعنى إلا القسم الثانى وبعضاً من القسم الثالث .

- والنتيجة الإجمالية هى أن حركة السلم الاجتماعى شمل ثلاثة أقسام ونصف (٢٢) مقابل قسم واحد ونصف (٢٣) فقط . وفى هذه النتيجة دلالة قوية على أن مجتمع الزكاة يعرف على الدوام تدبنا فى عدد الفئات التى تقع أسفل حد الكفاية لتنتقل إلى مستويات أعلى من هذا الحد الذى هو حد الغنى عند الفقهاء ، ومعنى هذا هو أن مجتمع الزكاة هو مجتمع العدالة الاجتماعية ومجتمع الديمقراطية الاقتصادية الحقة .

وما أشد حاجتنا اليوم إلى رؤية هذا المجتمع واقعا حيا تستريح تحت ظلاله شعوب الأمة الإسلامية من ويلات التخلف والضعف المنهكين لقدراتها والمكبلين لقواها فغدت مقلدة لا مقلدة لسواها على أبعد نطاق ، وصارت النظم التى هى من صلب مكوناتها

كالزكاة ، وكأنها نسيج من الخيال أو علم يستأثر به المتخصصون ، وما كان هذا ليكون لو أن مجتمعاتنا تطبق هذه النظم تطبيقاً حقيقياً ، حيث تعمل على تحقيق المقاصد التي من أجلها شرعها الله عز وجل ولو أنها لبث هذا النداء واهتدت إلى صياغة حياتها بمقتضى شرع الله لتمكنت من اعتلاء منصة الشهود الحضارى على باقى الأمم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ (٢٣) ، وهذه الشهادة مستحيلة ما لم يكن اقتصاد الأمة قويا وقائما على العدالة التي هي قطب الرحى فى فلسفة الزكاة ، ومن معانى الزكاة النمو والتطهير ، فهل من مدع يزعم أن هناك فى غير الإسلام كلمة واحدة تجمع بين المعانى الثلاثة فى آن واحد : العدالة والنماء والتطهير ؟ تلك خاصية الزكاة التي أمر ربنا سبحانه عباده بالإيمان بها ركنا من الأركان الخمسة وبالعامل على تنظيمها إذ وجه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوته سكن لهم ﴾ (٢٤) صدق الله العظيم ، وما من شك أن لهذا التوجيه الربانى مقاصد أوسع وأعمق مما حاولنا تناوله فى هذه المعالجة ، بل وأن له جوانب شتى لم يكن من الممكن إدراجها هنا كآثار الزكاة على : الإنتاج والتضخم والاستقرار الاقتصادى والاستقلال الاقتصادى والقوة التفاوضية للأمة الإسلامية بين أمم العالم . وعسانا أن نكون قد اهتدينا إلى إثارة موضوع الزكاة من وجهة بعض آثارها على التنمية الاقتصادية ، وإن وفقنا فى هذا فذلك من فضل ربنا وتلك هى بداية تحتاج إلى تجديد وإلى تمحيص والله ولى التوفيق .

الهوامش

١ - هذا ما تعبر عنه معطيات الجدول التالى بخصوص بعض المؤشرات مقارنة مع مستواها فى البلدان المصنعة :

المؤشرات ب %	البلدان المتقدمة	البلدان النامية
السكان	٣٠	٧٠
التغذية	٤٥	٥٥
الإنتاج الغذائى	٦٠	٤٠
الناتج الوطنى الخام	٨٥	١٥
استهلاك الطاقة	٩٠	١٠
الإنتاج الصناعى	٩٠	١٠
المنتجات	٩٣	٧
إنتاج الصلب	٩١	٩
المبادلات	٨٦	١٤
البراءات المسجلة	٧٢	٢٨
النقل	٩٤	٦
البراءات المسجلة	٩٤	٦
ضحايا الكوارث الطبيعية	٥	٩٥

- المرجع : ي تروتينكن (Y TROTINGNA) البلدان النامية أمام مواجهة القرن العشرين د ينو باريس ١٩٨٧ .

٢ - فى الواقع تدور الأطروحة التى يدافع عنها ميردال حول الفكرة التالية :
- كى تتقدم بلدان العالم الثالث ، من الواجب عليها أن تستبدل نظام قيمها بمثل المجتمع الغربى ، المثل التى يفترض مبدئياً أنها عالمية وبالتالي فهى صالحة للبلدان المتخلفة ، كونار ميردال " تحدى العالم الفقير " كاليمار باريس ١٩٨١ .

٣ - انظر تقرير البنك الدولى « التنمية فى العالم ١٩٩٠ : الفقر » الأهرام القاهرة . يونيه ١٩٩٠ .
٤ - عثمان حسين عبد الله « الزكاة والضمان الاجتماعى » دار الوفاء للنشر والتوزيع ، المنصورة ١٩٨٩ ، ص ص : ١٧٣ - ١٧٩ .

٥ - هذا هو رأى الحنابلة والشافعية والأحناف وهو خلاف ما ذهب إليه مالك ، وفى الأموال لأبى عبيد رويتان كتب أن تؤخذ الصدقة التى تستعمل فى الريف وهو رأى اللبث أيضاً ، وفى الأخرى أنه قال : ليس فى البقر العوامل صدقة .

- انظر أبو عبيد « الأموال » تحقيق و تعليق محمد خليل هراس مكتبة الكليات الأزهرية ، دار الفكر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م . ص ٣٤٣ ، ٣٤٦ .
- ٦ - هذا الحديث فى كتاب الأموال لأبى عبيد تحت رقم ١٧٢٧ وهو برواية عبد الله بن عمر وفى رواية أخرى تحت رقم ١٧٢٨ أورد الكتاب نفس الحديث بالصيغة التالية « لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة قوى » أبو عبيد كتاب الأموال مرجع سابق ص ٤٨٩ .
- ٧ - جاء فى الحديث فى كتاب الأموال لأبى عبيد تحت رقم ١٧٢٦ نفسه كما جاء فى كتاب الأموال لابن زنجويه تحت رقم ٢٠٦٩ ص ١١٧ ج ٣ وتحت رقم ٢٠٧٠ ص ١١١٨ ج ٣ حميد بن زنجويه كتاب الأموال تحقيق شاكر ذيب فياض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الطبعة الأولى الرياض ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٨ - أبو عبيد « كتاب الأموال » مرجع سابق ص ٤٩٨ .
- ٩ - نفس المرجع ص ٤٩٤ .
- ١٠ - نفس المرجع ص ٤٩٥ .
- ١١ - نفس المرجع ص ٥٠٣ .
- ١٢ - حاشية ابن عابدين ج : ٢ ، ص : ٦ ، والبحر الرائف ، ج : ٢ ، ص : ٣٢٢ ، نقلا عن ابن الملك فى شرح القرضائى ، مؤسسة الرسالة الطبعة السادسة ١٠١ هـ - ١٩٨١ م الجزء الأول ص ١٥٣ .
- ١٣ - أبو عبيد « كتاب الأموال » مرجع سابق ٥٠٢ .
- ١٤ - نفس المرجع .
- ١٥ - أبو حامد الغزالي « إحياء علوم الدين وبهامشه تخريج الحافظ العراقى » دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م المجلد الأول ص : ٤٠٧ .
- ١٦ - الدرهم هنا طبعاً ليس بالدرهم الذى نتناوله حالياً ، وإنما يتحدث الفقهاء عن الدرهم المستعمل فى زمانهم .
- ١٧ - هذا هو مذهب الشافعية فى إعطاء الفقير كفاية العمر كما نقله الدكتور يوسف القرضائى « فقه الزكاة » المرجع السابق ذكره الجزء الثانى صص ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
- ١٨ - أبو عبيد « كتاب الأموال » المرجع السابق ذكره ، ص ٥٢٨ .
- ١٩ - الدكتور يوسف القرضائى « فقه الزكاة » المرجع السابق ذكره الجزء الثانى ص ٥٦٩ ، نعمت عبد اللطيف مشهور « الزكاة ، الأسس الشرعية والدور الإنمائى والتوزيعى » المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م بيروت ص ٣٧٦ .
- ٢٠ - إدريس الكتانى « دور الزكاة فى تحقيق العدالة الاجتماعية وخلق المجتمع الإنسانى الأفضل » أعمال ندوة إطلاقات على الاقتصاد الإسلامى المنشور تحت عنوان « فى الاقتصاد الإسلامى » منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط رقم ١٣١ ، ١٩٨٩ .
- ٢١ - أبو عبيد « كتاب الأموال » المرجع السابق ذكره ، ص ٥٢٨ .
- ٢٢ - نفس المرجع
- ٢٣ - نفس المرجع .

- ٢٤ - نفس المرجع ص ٥٢٩
- ٢٥ - انظر أعلاه .
- ٢٦ - نفس المرجع ص ٥٢٧ .
- ٢٧ - نفس المرجع ص ٥٢٨ .
- ٢٨ - نفس المرجع ص ٥٣١ .
- ٢٩ - وقد يكون التعجيل لثلاثة أعوام كما يستفاد من مختلف الآثار التي أوردها أبو عبيد تحت باب تعجيل الصدقة ، وإخراجها قبل أوانها ، أبو عبيد في كتاب الأموال المرجع السابق ذكره ص ٥٢٢ - ٥٢٤ . وروى أبو عبيد في كتاب الأموال أيضاً أثر يفيد نفس المعنى ابن زنجويه كتاب الأموال المرجع السابق ذكره ج ٣ ص ١١٧٩ - ١١٨٠ .
- ٣٠ - أبو عبيد « كتاب الأموال » المرجع السابق ذكره ص ٥٣١ كما روى أبو عبيد أحاديث تفيد معنى تأخير الزكاة عن تاريخ استحقاقها لأسباب تحمل الإمام على مثل هذا النظر . أنظر باب تعجيل الصدقة وإخراجها قبل أوانها « السالف ذكره » ص ٥٢٤ ، ٥٢٦ .
- ٣١ - الدكتور منذر قحف « الاقتصاد الإسلامي دراسة تحليلية للفعالية الاقتصادية في مجتمع يتبنى النظام الاقتصادي الإسلامي » دار القلم الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م الكويت ص ١٢٧ - ١٢٩ .
- ٣٢ - بروفيسور محمد هاشم عوض « الزكاة وموارد السودان الاقتصادية » مجلة الفكر الإسلامي - السنة الأولى - العدد الثاني - ١٩٨٤ م . ص ٦٠ - ٧٣ .
- ٣٣ - الماوردى « كتاب الأحكام السلطانية » دار الفكر بيروت بدون تاريخ ص ١٢٣ - ١٢٤ .
- ٣٤ - شريطة أن تفرض أن القسم الثالث يتوزع مناصفة بين من تفى أهم الزكاة بالكفاية ومن لا تفى لهم بذلك .
- ٣٥ - سورة الحج ، الآية ٧٨ .
- ٣٦ - سورة التوبة الآية ١٠٣ .

المشاركة السياسية

بين أزمة الديمقراطية وخلق آليات تفعيل نظام الشورى

بقلم الدكتور / أسعد عبد المجيد (*)

مقدمة :

لقد عرفت المجتمعات السياسية عبر تاريخها الطويل أنظمة حكم مختلفة اعتمدت في سلطتها وشكلها على فكر سياسى اختلفت مرجعيته باختلاف هذه الأنظمة وباختلاف الأزمنة والأمكنة التي عاشت فيها ، فالفكر السياسى اليونانى ، وعلى الخصوص لدى مشاهيره كأفلاطون ، شكل محطة هامة بالنسبة للفكر الإنسانى عامة نظراً للتجربة السياسية لمدنه اليونانية ولكونه فكر سياسى يعالج ممارسة السلطة .

كما أن كلمة ديمقراطية المسيطرة حالياً فى الكتابات والممارسات السياسية على المستوى الدولى ، فهى ذات أصل يونانى تعنى حكم الشعب وقد عرفتھا المدن اليونانية المشهورة كسبرطة وأثينا بطريقتها الخاصة آنذاك ، كما أن بناء الدولة الإسلامية وإشعاعها الحضارى اعتمد على فكر سياسى إسلامى ، خصوصاً بالنسبة لفترة الخلفاء الراشدين ، فاعتماد الشريعة الإسلامية كسلسلة محكمة من المبادئ والقواعد والضوابط ، وكمصدر رئيسى للتشريع أساسه القرآن الكريم والسنة والنبوية أفرز مبادئ أساسية لفلسفة الحكم فى دولة الخلافة تمحورت حول مبدأ الشورى الذى نص عليه القرآن الكريم .

بالرغم من ازدهار الفكر الفلسفى فى العهد اليونانى والفكر السياسى المرتبط بممارسة السلطة فقد بقيت مرجعيته فى حدود الفكر البشرى فى عصر كانت فيه الديانة الوثنية هى السائدة ، فى حين نجد الفكر الإسلامى بجميع تجلياته يعتمد على مرجعية صلبة الأركان هى القرآن والسنة .

تعتبر المشاركة السياسية ، مشاركة عموم الناس ، مشاركة المواطنين فى اتخاذ القرارات المرتبطة بالسياسة العامة الاقتصادية والاجتماعية ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، عصب حكم الشعب ، وإن هذه المشاركة ومدى اتساعها تشكل لا محالة مقياساً

(*) كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية - الدار البيضاء - المغرب

لمدى عدالة القرار السياسى ، وإن ارتباط هذا الأخير بالمصلحة العامة وابتعاده عن المصالح الشخصية سيجعله يصب فى هذا الاتجاه العادل ، وإن الابتعاد عن الاستعباد والظلم يتطلب بدون شك عدالة القرار ، والإسلام فى هذا الشأن يحث على العدل والإنصاف بين الناس ، فكما يقول الحق جل جلاله فى هذه الآية الكريمة من سورة النساء : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ وكذلك فى سورة النحل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ .

إن اتساع مشاركة المواطنين فى سياسة الدولة على المستوى الوطنى والمحلى وفى شئون الحكم من أجل القرار الأكثر صواباً يتطلب تنظيمياً دقيقاً يعبر اعتباراً للمبادئ الأساسية للمجتمع وأحواله البشرية ، الفكرية والاقتصادية ، وفى هذا السياق نبحت فى هذه المداخلة المعنونة « بالمشاركة السياسية بين أزمة الديمقراطية وخلق آليات تفعيل نظام الشورى فى الإسلام » فى ثلاثة أقسام : أولها يرصد التطورات التى عرفها مفهوم الديمقراطية منذ ما قبل الثورة الفرنسية كما يوضح أن توسيع المشاركة عرف عدة عقبات ولم تتم بالشكل المعروف إلا فى نهاية النصف الأول من القرن العشرين ، وفى القسم الثانى نبحت فى أزمة الديمقراطية الحالية التى تتمحور فى تقليص المشاركة السياسية الفعلية للأفراد والجماعات نظراً للتطورات الصناعية والتراكمات الإنتاجية التى خلقت مجتمعاً مادياً واستهلاكياً قيد حرية الاختيار ، وأخيراً نبحت فى نظام حكم الشورى فى الإسلام كمبدأ يجب اتباعه كمصدر رئيسى لشرعية السلطة السياسية فى الإسلام مع تبيان إشكالية خلق آليات تبلور هذا المبدأ وتعطيه أهميته لهدف توسيع المشاركة السياسية وضمان المساواة وحقوق الأفراد .

أولاً: التدرج فى المشاركة السياسية من أجل الديمقراطية :

عرفت المشاركة السياسية فى تدبير الشئون العامة تطوراً كان فى بدايته ينحصر فى فئة قليلة من السكان ، ولم يحظ الفرد بالثقة إلا بصفة تدريجية عبر عدة قرون ، فالديمقراطية اليونانية لم تساو بين جميع سكان المدينة وقد أقصت الأغلبية الساحقة منهم وجعلت السلطة بين فئة محظوظة ، فقد اعتمد على الرقيق والحرفيين لتسيير عملية الإنتاج ، ولم يعترف لهم بحقوق المواطنة .

وقد اعتبر فلاسفة الإغريق وفى مقدمتهم أفلاطون وأرسطو هذا الوضع طبيعياً وعادلاً ، وتجدد الإشارة هنا أن فقهاء الرومان كانوا يعتمدون الأبوية حيث يمنحون رئيس

الأسرة حق الحياة أو الموت على جميع أفرادها ، ولقد عرفت أوروبا هي الأخرى وضعاً مشابهاً عبر تطور الأوضاع السياسية فيها ، فقد مرت بنظام فيودالي سيطرت فيه الطبقة الأرستقراطية كما سيطرت فيه الكنيسة كما اعتمد بعض الملوك في أوروبا على فكرة الأصل الإلهي في السلطة أو الحق الإلهي في الحكم ، ففي القرون الوسطى وتحت هيمنة الكنيسة كان قد أعلن جيمس الأول (James 1) ملك إنجلترا أمام البرلمان عام ١٦١٠ أن الملوك هم آلهة والله منحهم هذا الاسم (١) .

لم تعرف المساواة السياسية طريقها إلى العميم بين جميع أفراد المجتمعات الغربية إلا تدريجياً ، فقد عرفت المجتمعات المذكورة خصوصاً في القرنين الـ ١٨ والـ ١٩ ميلادية تحولات اجتماعية واقتصادية نتجت عنها تطورات سياسية هامة نادت بالمساواة واحترام الحريات الفردية كما جاء في إعلانات وضمانات الحقوق ، كعريضة الحقوق في إنجلترا لسنة ١٦٢٨ وقانون حماية الفرد لعام ١٦٧٩ وإعلان الإنسان والمواطن الفرنسي لعام ١٧٨٩ الذي ينص في بنده الأول على أن الناس « يولدون ويظلون أحراراً ومتساوين في الحقوق ، ولا يمكن للتمييزات الاجتماعية أن تقوم إلا بناء على المنفعة العامة » (٢) .

ونشير هنا إلى أن هذه الوثائق وبالرغم من أهميتها في هذه الفترة لم تمنح للأفراد الأدوات الكافية للمشاركة السياسية الفعلية للجميع ، فحق الاقتراع العام والانتخابات بصفة عامة لم تعمم على جميع أفراد الشعب ، بل بقيت مقتصرة على الفئة البورجوازية في إطار شروط تعجيزية لا قدرة للجميع عليها كضريبة الانتخاب .

كما أن المرأة بقيت بعيدة عن المشاركة السياسية ، فقد عرف حق الانتخاب توسعاً تدريجياً بالنسبة للعالم الغربي : ففي فرنسا مثلاً وإلى حدود القرن الـ ١٨ كان حق الانتخاب مشروطاً بدفع ضريبة تعادل قيمة عمل ثلاثة أيام الشغل الذي أدى إلى استبعاد أكثر من ٧٠ ٪ من الهيئة الانتخابية ، وفي سنة ١٨٣٠ أي بعد أكثر من ٤٠ سنة لم يعرف اتساع الحق الانتخابي تطوراً هاماً فقد بقي مقيداً بالضريبة مع تخفيض قيمتها ، وبالرغم من إقرار تعميم حق الانتخاب بعد الثورة الفرنسية فقد عرفت تطبيقات هذا التعميم عدة حواجز ، فالتعميم الحقيقي لهذا الحق لم يتم بالفعل إلا سنة ١٩٤٤ حينما منحت المرأة حق الانتخاب (٣) .

أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فقد عرفت تطبيقاً متفاوتاً بين ولاياتها وكانت السمة الغالبة هي عدم المساواة بين الأفراد بالنسبة لحق الانتخاب ، واعتمدت غالبية الولايات نظام الضريبة الانتخابية التي لم تلغ إلا بناءً على تعديل الدستور لعام ١٩٦٤ وقد شهدت بريطانيا العظمى هي الأخرى عدم اتساع وتعميم حق الانتخاب ، ولم يلغى هذا التمايز وعدم المساواة في ممارسة الحقوق الانتخابية بصفة نهائية ، إلا عام ١٩٤٤ حيث تم تعميم هذا الحق وألغيت اللامساواة في التمثيل بين كل الناخبين .

ولقد لعبت التحولات الاجتماعية ومظاهرها السياسية دوراً هاماً في التوعية الاجتماعية التي أدت بالجماهير ومنذ بداية القرن العشرين إلى الاستفادة من جو قد تحققت فيه العديد من المكاسب السياسية لشرائح كبيرة من الشعب ، وأصبحت السلطة السياسية في الأنظمة الديمقراطية الغربية تعتمد على مرجعية الأصل الشعبي للسلطة أو ما يسمى بنظرية السيادة الشعبية ، وبذلك تجاوزت هذه السلطة الشعبية أنظمة الحكم الأوتوقراطية (Au tocracy) التي تتركز السلطة فيها في يد فرد واحد ضداً على القوانين ، كما تجاوزت كذلك حكم الأقلية (Oligarchy) الذي تسيطر فيه أقلية تهدف دائماً إلى تحقيق مصالحها الشخصية .

لا شك أن النظام الديمقراطي الغربي قد حقق استقراراً سياسياً ، واجتماعياً ونمو تراكم اقتصادي ، كما أنه قاوم الأنظمة الفاشية في أوروبا خلال القرن العشرين ، التي تسببت في الحرب العالمية الثانية ويعتمد النظام الديمقراطي الغربي على مقومات أساسية أهمها : احترام حقوق الإنسان ، الأصل الشعبي للسلطة وفصل السلطة (٤) .

تعطى الديمقراطية الغربية أهمية كبرى للفرد دون إغفال المصالح العامة فمن حق المواطنين أن يحققوا أهدافهم في إطار المصالح المشتركة للمجتمع . والتقدم الإنساني بالرغم من ارتباطه بالمجتمع المنظم ، فالفرد بمبادراته الإبداعية يشكل المحرك الرئيسي لتقدم المجتمع وتطوره ، وهذا يتطلب ممارسة الحريات بنوع من المساواة ، وإن ممارسة هذه الحقوق والحريات كانت كرد فعل للممارسات الاستبدادية وحكم الأقلية التي عرفها الغرب حتى بعد الثورة الفرنسية ، وترتبط الحرية السياسية بالحريات الفردية الأخرى ؛ كحرية الصحافة وحرية التعبير ، وإن ممارسة الحريات الفردية تؤدي بدون شك إلى مشاركة المواطن

فى القرار السياسى بطريقة مباشرة أو بواسطة ممثلين ، وقد عرفت التمثيلية اتساعاً كبيراً فى الغرب حيث أصبحت الشعوب تنتخب برلماناتها مع احتفاظها بالسيادة الوطنية عن طريق الاستفتاء أو عن طريق عدم تجديد الثقة بالمنتخبين الذين لم يتحملوا مسئوليتهم كما يجب ، لقد عرفت التمثيلية تطوراً هاماً خلال النصف الأول من القرن العشرين حيث اتسعت إلى جميع أفراد الشعب البالغين السن الانتخابى ، كما أصبح من حق الهيئات النقابية والحرفية وغيرها أن تمثل على الصعيد الوطنى أو المحلى للدفاع عن أعضائها ، ولذلك خلقت عدة مؤسسات سياسية تنظم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية : كمؤسسة رئيس الدولة المنتخب مباشرة من الشعب والمجالس النيابية والمجالس الاستشارية، وبذلك حصل الاتساع التمثيلى الذى شكل الحجر الأساسى للديمقراطية كما أصبح مقياساً لها .

إن تطور النظام الديمقراطى فى هذه الفترة الذى اعتمد سيادة الشعب ، أسس دولة الحق والقانون ، حيث أصبحت القاعدة القانونية المعبر الوحيد عن الإدارة العامة والمنظم لاختصاصات وصلاحيات المؤسسات التمثيلية والحكومية ، كما تعززت سلطة القضاء .

ثانياً: أزمة الديمقراطية وتضييق مجال المشاركة السياسية :

بالرغم مما حققته الديمقراطية الغربية من إنجازات سابقة على مستوى المشاركة السياسية وممارسة الحقوق الفردية ، وبالرغم من انتصارها على الشيوعية بعد سقوط حائط برلين ، نجدها اليوم تعيش أزمة المشاركة السياسية ، وذلك بحكم التطورات التى عرفتها فى العقدين الأخيرين على الخصوص . وتتجلى اليوم مظاهر أزمة الديمقراطية الغربية فى إعطاء الأهمية للطابع الشكلى والاستخفاف بالمضمون للمشاركة السياسية ، كما أن هذه الديمقراطية أصبحت ترى فى نفسها الفكر الأوحى بعد انهيار المعسكر الشرقى ، مما أصبح يؤثر سلباً على العديد من الحقوق الفردية (5) .

فلقد أفرزت التكنولوجيا وسائل جديدة ودقيقة للتأثير على الإنسان خصوصاً منها المرتبطة بالاتصال . فوسائل الإعلام الحديثة تلعب دوراً رئيسياً فى توجيه الرأى العام وترويضه إلى الوجهة المرغوب فيها . فحينما تكون الأهداف سياسية تلعب الآلة الإعلامية دورها الاستقطابى لتحقيق الخلفية المقصودة دون اعتبار للحقيقة الموضوعية ولا حتى

للأخلاق . فكثيراً ما تبتعد وسائل الإعلام عن الحقيقة وكثيراً ما تستعمل وسائل الخداع لهدف ترسيخ أفكار تخدم مصالح ظرفية أو استراتيجية لشركات كبرى أو لجماعات ضاغطة أو لدول عظمى فى عقول الأفراد .

تبقى المشاركة السياسية المقياس الموضوعى لحكم الشعب كيفما كان الوضع الاقتصادى والاجتماعى للدولة . لكن الملاحظ أن الديمقراطيات الغربية بدأت تفقد الكثير من اتساع المشاركة الشعبية فى القرار السياسى وذلك لأسباب متعددة نابعة من التحولات السلبية التى بدأت تعرفها المجتمعات الغربية ويتضح ذلك من وضعية الرعى السياسى للفرد فى المجتمعات الغربية ومدى اطلاعه على أوضاع بلاده الاقتصادية والسياسية وعلاقة ذلك بالوضع الدولى فالفرد فى الغرب والمجتمعات المصنعة بصفة عامة أصبح أكثر فردانية ، يتشبت بمحيطه الضيق الذى قد لا يشمل حتى أسرته الصغيرة ، فحينما يشارك فى استفتاء عام أو حينما ينتخب شخصاً معيناً من حزب سياسى ما ، فلا تكون العملية التى يقوم بها مستمدة من قناعات وإدراك حقيقى للأمور ، بل يكون ذلك تحت ضغوط ظرفية ونفسية خلقها الوسط الإعلامى الخادع ، ويقول الأستاذ أجناسيو رامونيه IGNACIO RAMONET فى هذا المجال فى إطار الأزمة التى تعرفها الديمقراطية ، « كل يوم يمر يعطينا شاهداً على المدى الذى يقوم فيه منتخبون وعلى وجه الخصوص الحكومات باستخدام وسائل الإعلام الضخمة للتوجه للمواطنين بالرغم من وجود البرلمان ولسان حالهم يقول : « الحكم هو الاتصال أى الإعلام وبالطبع فإن الاتصال فى مفهومهم هو الكذب على المواطنين »^(٦) وتجدر الإشارة هنا إلى دور جماعات الضغط والشركات العالمية الكبرى ذات الإمكانيات المادية الهائلة التى تتحكم فى وسائل الإعلام ووسائل الإنتاج المختلفة ، والتى تقوم بتمويل مراكز كبرى إعلامية ، جامعية وثقافية لهدف الترويج إلى فكر معين من أجل توجيه الفرد وسياسات الحكومات وذلك لغرض مصلحة نخبة متحكمة فى هذه الشركات وهذه الجماعات . فالأسواق المالية تفرض نفسها على الناخبين وعلى القادة السياسيين . وبلخص أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى ، من الحزب الديمقراطى ، ذلك فى قوله « منذ أن أصبحنا نلجأ أكثر فأكثر إلى أصحاب الامتيازات لتمويل حملتنا الانتخابية فقد فقدنا مركز القوة ولم نعد نملك فعل شيء لأصحاب الرواتب ، إننا نعيش إذن مع أناس يقولون لنا توقفوا عن الحديث بمفهوم الطبقات »^(٧) .

لقد أصبحت الديمقراطية الحالية فى الغرب ، بعد انهيار حائط برلين ، وسقوط الأنظمة الشيوعية ترى نفسها الفكر الأوحى الصالح لجميع الدول الشىء الذى يدفعنا إلى طرح سؤال وثيق الصلة بالموضوع ألا وهو : هل هناك مفهوم واحد للديمقراطية على الصعيد العالمى ؟ يرى الفكر الليبرالى الجديد كما يتمسك الآن ، وأكثر من أى وقت مضى ، بأن الديمقراطية فى تجلياتها الحالية نظاماً وحيداً خالداً .

ويلاحظ أن الليبراليين الجدد الذين يتزعمون الفكر الأوحى المذكور بدأوا يسيطرون ومنذ منتصف الثمانيات على الساحة الإيديولوجية حيث يوظفون جميع الوسائل المرتبطة بالتوجيه والتأثير على الرأى العام ، إلا أن هذا التوجيه ليس بالأمر الطبيعى فطبيعة أى مجتمع وتاريخه وثقافته وعقيدته لها أهميتها القصوى فى تكييف سلوك أعضائه من أفراد وجماعات . فالتمايز شىء طبيعى وإمكانية ممارسة الحكم بواسطة ديمقراطيات متنوعة عوض فكر واحد شىء عاى لأن حركة التغيير والتطور والتقدم تتطلب لا محالة المغايرة والمعارضة (أ) .

تأثرت حقوق الإنسان هى الأخرى كثيراً نتيجة التطور الصناعى والاقتصادى المالى الكبير لهذه المجتمعات ، وكان لذلك انعكاسات سلبية عليها . فالمجتمع الاستهلاكى والآثار الصناعية على المحيط الاجتماعى وعلى ظروف العمل حولت الفرد إلى آلة توجهها الظروف الاقتصادية : ظروف الإنتاجية المرتفعة ، ظروف التراكم ، ظروف المجتمع الصناعى عموماً التى أفقدت الفرد الكثير من إنسانيته . فقد بلغ الفرد فى المجتمعات الديمقراطية الغربية درجة من الخنوع جعلته يعتقد أن ظواهر مثل البطالة واتساعها ، الدمار البيئى ، العنصرية ، الفساد ، التطرف الدينى ، تزايد عدد المهمشين ، بالرغم من مساسها بعدد من الحقوق الأساسية ، ما هى إلا أوهام وهلوسات : « لا تنسجم والعالم الجميل الذى تصوره الليبرالية الجديدة » .

أمام وضع أزمة الديمقراطية الغربية للأسباب المذكورة سابقاً وما ينتج عن ذلك من معاناة للفرد من محيطه الضاغظ الذى قيد إرادته واختياره وقلص بالتالى مشاركته السياسية الفعلية . أمام هذا الوضع تطرح عدة تساؤلات من طرف علماء وفقهاء وسياسى العالم العربى والإسلامى حول مدى صلاحية الأخذ بالنظام الديمقراطى الغربى فى شكله الحالى . فهل عليه أن يستورد هذا النظام كما هو ، وبالرغم من أزمته ؟ وهل سيتمشى

هذا النظام مع بنيات العالم العربي الإسلامي السوسولوجية والثقافية ؟ أم أن الأمر سيبقى فى إطار محاولة التطبيق ، مجرد واجهة شكلية للديمقراطية لا أقل ولا أكثر ؟ ثم ليس هناك بديل ؟ ألا يمكن الرجوع إلى أصول نظام الحكم فى الإسلام ؟ ألا يمكن العودة إلى الشورى انطلاقاً من تطبيقاتها فى عهد الخلفاء الراشدين مع تطويرها وخلق آليات جديدة لتفعيلها كنظام للحكم يحترم سيادة الشعب وإرادته العامة .

ثالثاً: مبدأ الشورى وتوسيع مجال المشاركة السياسية :

تعتبر الشورى قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية وفلسفة لنظام الحكم فى الإسلام . فهى تستند إلى مرجعية هى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فيقول الله تبارك وتعالى فى هذا الصدد مخبراً عن حال المسلمين فى تدبير شئونهم ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (٩) ، كما أوصى الله تعالى نبيه عليه السلام بمشاوره أصحابه ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ (١٠) .

إن الشورى سلوك من واجب المسلم أن يتبعه فى كثير من أمور الدنيا ومصالح الناس ، فهى سلوك يجب أن يحترم داخل الأسرة ، داخل القبيلة ، داخل كل هيئة قطاعية فى الصناعة وفى التجارة . يجب أن تكون محل إدراك داخل نفس الإنسان وعلاقاته بمحيطه الاجتماعى من المؤسسة الاجتماعية الصغيرة إلى المؤسسة الاجتماعية والسياسية الكبيرة ، أى كذلك على مستوى العلاقة بين الحاكمين والمحكومين .

وتعنى الشورى : التشاور فى الأمر ، أى التجاور والتداول وتبادل الرأى فى جميع الأمور التى تخص المسلمين ، ولذلك فنظام الشورى يعارض الانفراد بالرأى وسائر أشكال الحكم الفردانى ، إذا فهى نقيض للاستبداد وعليها قامت الدولة الإسلامية . فالشورى كقاعدة شرعية فهى واجبة على المسلمين فى تدبير الأمور الخاصة والعامة ، كذلك وقد طبقت فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين فى إطار السياق التاريخى الذى عاشوا فيه .

وضعت الشورى كمبدأ ولم يتم التفصيل فى طرق تطبيقها وأساليبها فى القرآن والسنة ، وبذلك فالمسلمون حسب أحوالهم وظروفهم العامة فى الزمان والمكان يمكنهم خلق آليات تطبيقية للمبدأ مع احترام الثوابت الإسلامية بالطبع . وقد طبق الرسول صلى الله

عليه وسلم الشورى ومن الأمثلة على ذلك مشاورته للمسلمين قبل الخروج إلى غزوة أحد وقد أشاروا عليه بالخروج من المدينة للقتال ، وكانت خطة خاطئة حيث انهزم المسلمون ومع ذلك نزلت الآية الكريمة ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ . ويعنى ذلك أن الشورى تبقى القاعدة الأساسية والواجبة في اتخاذ القرارات المرتبطة بالشأن العام ولو أنها أدت في هذه الحالة إلى انهزام المسلمين . والمغزى والحكمة من ذلك هو أن الشورى قاعدة ومبدأ إسلامي يجب العمل به لأنه يعارض الانفراد بالقرار والاستبداد به ، كما أن الشورى ، في عهد الرسول ، أخذت طابعاً تنظيمياً بوجود مجلس للشورى كان عدد أعضائه ٧٠ عضواً وكانت هناك هيئة أخرى تتكون من المهاجرين الأولين اختصت بالترشيح للخلافة بعد الرسول كما مارست الشورى ، وكانت تتكون من ١٠ من صحابة الرسول وهم : أبو بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، علي بن أبي طالب ، طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح ، وقد ظلت الخلافة وسلطتها في يد هذه الهيئة إلى أن قامت الدولة الأموية (١١) .

إن إقرار قاعدة الشورى وإلزاميتها بواسطة القرآن والسنة دون تبيان كيفية تطبيقها وأساليب ممارسة السلطة في إطارها لراجع في الأساس إلى اختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبنيات السوسيو ثقافية لمكونات المجتمعات الإسلامية عبر تطورها . وهنا تجدر الإشارة إلى الفرق بين الأحكام الواردة بنص من الكتاب والسنة وهي ثابتة لا تخضع للشورى ، وبين خلق آليات تطبيقية لتنظيم السلطة وممارستها ، أي الأمور غير الوارد فيها نص والتي تشكل موضوع الشورى (١٢) .

إذن تبقى الشورى الإطار الذي بمقتضاه يمكن تنظيم الدولة طبقاً للأحوال الفكرية والاقتصادية والاجتماعية التي توجد فيها المجتمعات الإسلامية مع مراعاة التطورات العلمية للإنسانية جمعاء . ففي وقت اقتربت فيه المسافات بتطوير وسائل الاتصال وانتشار المعارف ، لا يمكن للمجتمعات الإسلامية أن تتبع سياسة انغلاق وتقوقع بل المفروض عليها التعامل مع التقدم الحضارى للتأثير فيه والتأثر به مع الاحتفاظ بالشوايت الإسلامية ومقوماتها الثقافية وقيمتها . وهنا تظهر المسؤولية الملقاة على عاتق علماء وخبراء سياسى المسلمين جلية من أجل خلق وتطوير أساليب وطرق تطبيقية لنظام حكم الشورى .

فالشورى كتنقيض لحكم الأقلية والحكم الفردى فإنها تبنى على إشراك المواطنين أو من يمثلهم فى استنباط الأحكام والتشاور فيها والقياس عليها ، إذن من عناصر تطبيقاتها الحق للمحكومين فى التشاور من أجل اختيار الحاكمين . وإن المغزى من ذلك هو إبعاد أى انفراد بالسلطة والرأى . وإذا أدى التشاور فى الشأن العام إلى اختلاف فى وجهات النظر فالضرورة العملية هى اتباع الأقلية للأكثرية .

إن خلق تقنيات وآليات جديدة ، للمشاركة السياسية ، لم يعرفها التاريخ الإسلامى خلال الدولة الإسلامية ، لاشك ، يتطلب دراسة معمقة لحسن اختيار نظام تطبيقى ومتطور من أجل المحافظة على المغزى وروح نظام الشورى فى الإسلام . كما أن البحث فى هذه الآليات والوسائل يطرح تساؤلات أولية لرفع كل التباس ومن أهمها هل الشورى للجميع أم فقط لأصحاب الرأى والحكمة ؟ ثم ما هى طريقة الاختيار التى يجب أن تتبع ؟ وهل تستعمل المجتمعات الإسلامية نفس الآليات والتقنيات للمشاركة السياسية المستعملة فى أنظمة الحكم الأخرى كالديمقراطية الغربية ؟ وإذا كان الأمر كذلك ما هى الوسائل التى بواسطتها نحافظ على خصوصيات الثقافة الإسلامية وثوابتها العريقة . ثم أخيراً ما هى ضمانات عدم الانزلاق إلى سلبيات الديمقراطية الغربية وانحرافات التى أدت إلى أزمتهما ؟

فعلى مستوى تعميم الشورى أو تخصيصها فى فئة معينة ، نرى أنه كلما اتسعت المشاركة السياسية كلما كانت القرارات تحترم أكثر مبدأ المساوات وكذا مبدأ العدالة . فالشورى حق للحاكمين والمحكومين . فمن واجب الحاكم هو الآخر استشارة المحكومين فى القضايا المصيرية والهامة . ومن الناحية الميدنية للمواطنين الحق فى مراقبة الحاكمين مباشرة أو عن طريق غير مباشر ، ومراجعتهم إذا أخلوا بمسئولياتهم فى الحكم بما أنزل الله وإذا تقاعسوا فى القيام بواجباتهم . فلكل مواطن الحق فى الشورى وخصوصاً وأن طموحات المجتمعات الإسلامية أن تكون خالية من الأمية ، مجتمعات مثقفة واعية بأمورها ليس فيها جاهل . وهذا لا يعنى أن استشارة الجميع بالنسبة لصغير الأمور وكبيرها ، كما يمكنها أن تكون مباشرة أو عن طريق المشلين .

أما على مستوى الآليات المرتبطة بالاستشارة والاختيار ، فلا عيب فى الأخذ بآليات تطبق فى أنظمة حكم أخرى وتتصف بالعملية وتؤدى إلى توسيع المشاركة

السياسية . فالانتخاب مثلاً هو عملية اختيار تعتمد تقنيات تختلف من دولة إلى أخرى وذلك حسب المحيط الاجتماعى وظروف الدولة (عدد السكان ، عدد الناخبين ، عدد المنتخبين ، عدد الدوائر الانتخابية وكذلك طرق تقسيمها) كما أن الدستور ، أو القواعد التى تحكم العلاقات بين السلطة وتحدد صلاحياتها كآلية ، يمكنها أن تشكل ما يؤكد قاعدة الشورى إذا احتفظ بالمعنى العميق لهذه الأخيرة . فتنظيم الدولة من الناحية الإدارية وخلق مؤسسات وطنية نيابية ومحلية تحترم الشورى وتكون نابعة منها مسألة تخدم تطوير نظام الشورى وإن كانت التقنيات المستعملة مأخوذة عن تجارب سياسية أخرى كالديمقراطية فى الغرب . إذن فلا مانع من الأخذ بما عند الغير من آليات للمشاركة فى الحياة العامة وتكييفها مع الشريعة الإسلامية ، أى على أساس أن لا تتعارض مع الأصول والشواهد الإسلامية .

تميز قاعدة الشورى نظام الحكم فى الإسلام ونظام العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين . فمن المفروض أن تكون الشورى نهجاً فى حياة المسلمين على مستوى الشأن العام ، داخل الأسرة وفى العمل ... فهى نقيض للحكم الفردى والحكم التيقراطى كما تتضمن مبادئ المساواة ، العدل ، التعاون والحوار . وأن الأخذ بأساليب للتطبيق من الديمقراطية يجب أن لا يعنى الأخذ بهذه الأخيرة بكاملها لأنها أى الديمقراطية الغربية تقدم نفسها اليوم كمنظومة ثقافية لها دلالاتها العقائدية وخلفياتها الحضارية .

أن الطرق العملية وأساليب التطبيق للشورى كآليات لا يجوز أن تبقى فى حدود الشكليات المأخوذة على الديمقراطية ، بل يجب أن تودى إلى تفعيل حقيقى للتشاور والتحاوور والابتعاد عن الإقصاء الفكرى من أجل اختيار الأفكار والحكام ، فى واقع يعطى الفرد بعده الإنسانى الحقيق ويرسخ الوعى بالصالح العام كما يحترم كرامة الإنسان وحقه فى المشاركة السياسية .

الهوامش

- ١ - انظر أندريه هوريو ، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية الجزء الأول ، ص ٣٢٧ وما بعدها ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٤ .
- 2 - Les Droits de l'homme et la philosophies du droit, Sylvain Matton, Hachette 1988 P. 8.
- انظر كذلك حقوق الإنسان ، المجلد الثاني ، دراسات الوثائق العالمية والإقليمية ، ص ١٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٩ .
- ٣ - انظر اندريه هوريو ، مرجع سابق الذكر ، صفحة ٢٢٠ وما بعدها .
- ٤ - انظر المجلة العربية لحقوق الإنسان عدد ٣ ، المعهد العربي لحقوق الإنسان ، ص ٨٨ .
- ٥ - أنظر كتابنا (د. أسعد عبد المجيد) قضايا دولية معاصرة ، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٩١ صفحة ٤٠ وما بعدها .
- 6 - LE Monde diplomatique, Octobre 1996.
- ٧ - نفس المرجع ، LE Monde diplomatique, Octobre 1996 .
- ٨ - انظر مقال بعنوان « الصحافة والحقيقة ، صورة مزورة » لومند ديوماتيك ، النشرة الفصلية باللغة العربية ، ابريل ١٩٩٥ .
- ٩ - الآية ٣٨ من سورة الشورى .
- ١٠ - الآية ١٥٩ من آل عمران .
- ١١ - انظر محمد عمارة ، الإسلام وفلسفة الحكم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٩ الصفحات ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .
- ١٢ - انظر الدكتور / حسن عبد الله الترابي ، الشورى والديمقراطية ، المستقبل العربي عدد ٧٥ ، مايو ١٩٨٥ .
- انظر كذلك الأستاذ / محمد يتيم ، التغيير الحضاري ومسألة الديمقراطية ، مجلة الفرقان عدد ٣٧ لسنة ١٩٩٦ صفحة ٩ وما بعدها .

الجوانب التربوية

فى فكر ابن خلدون

الدكتور / عليان عبد الله الحولى (*)

الملخص

يهدف هذا البحث التعرف على الجوانب التربوية فى فكر ابن خلدون التربوى من خلال معرفة الآراء والمنهاج والمبادئ والطرق والأساليب التربوية فى فكر ابن خلدون ، وقد اقتصر البحث على كتاب المقدمة لمعرفة الجوانب التربوية فى فكر ابن خلدون لتضمنها معظم أفكاره التربوية ، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفى التحليلى .

وتم استعراض منابع الفكر التربوى لابن خلدون من خلال التعرف على العوامل التى أثرت فى شخصيته وفكره التربوى والتى تمثلت فى (النهضة العلمية والثقافية وخصوبة الفكر فى تونس - الجو العلمى والسياسى داخل أسرته - الدراسات الشاملة التى تعلمها - الأحداث التى شارك فيها والمناصب التى تقلدها - رحلاته واحتكاكه بالعلماء والمدارس فى البلاد الإسلامية) . وقد توصل البحث إلى أن هناك جوانب تربوية فى فكر ابن خلدون تمثلت فى :

أولاً : الآراء التربوية مثل (أهمية التعليم والمعلم وقواعد المهنة - نظريته فى المعرفة - رأيه فى الفلسفة - التعليم ودوره فى التنمية - كثرة التأليف - عدم خلط علمين معاً - أهمية الرحلة فى طلب العلم - أهمية مرحلة ما قبل المدرسة - العوامل التى تؤثر فى الشخصية الإنسانية) .

ثانياً : المنهاج التربوى « ويتضمن القسم الأول : المواد الأساسية أو المواد الأخرى . والقسم الثانى : التعليم ما بعد الأولي ويتضمن العلوم النقلية والعلوم العقلية » .

ثالثاً : المبادئ التربوية مثل (الفروق الفردية - التدرج - الشواب والعقاب - التتابع فى الدروس - التكرار) .

(*) الجامعة الإسلامية - كلية التربية .

وابعاً : الطرق والأساليب التربوية مثل (القراءة - التلقين والتلقي - الخبرة المباشرة - الحوار والمناظرة - المحاكاة والتقليد) .

ومن نتائج البحث : أن ابن خلدون - كمربي - شخصية إنسانية فذة في عالم الفكر، موسوعي المعرفة ، صاحب فكر تربوي بمنتهى الشمول والإحاطة وله سبق تربوي في مجالات تربوية عديدة وافقت في معظمها النظريات التربوية المعاصرة .

تهديد :

تمثل التربية ركناً رئيسياً في البناء الاجتماعي ، تتأثر بما يجري فيه من تفاعلات بين منظوماته ، وهي مطالبة بالتأثير فيه ، دعماً للحياة المرغوب في استمرارها والتجديد فيها وفقاً لآمال الأمة وطموحاتها ، وذلك عن طريق قيامها بإعداد الإنسان الصالح تحقيقاً لأهداف مستمدة من المجتمع معبرة عن ماضيه وحاضره ومستقبله .

فالتربية نظام اجتماعي لها جميع خصائص النظم الاجتماعية ، وتكون بنيتها من العناصر ذاتها التي تتكون منها النظم الاجتماعية (سلطان : ١٩٨٣ : ٥) .

والحضارات أرحام الفكر التربوي ، والفكر التربوي - أيا كانت طبيعته ومنحاه - هو أداة الحضارة ووسيلتها في تخليد ذاتها وضمان انسيابها وتناقلها بين الأجيال ، إن هذا ، بطبيعة الحال ، لا يلغى فعل التربية في الحضارة ، لكنه يرسم دور هذا الفعل ويحدد مداه ، وهو لا يفترض بالضرورة سبق الحضارة على الفكر التربوي ، ولكنه لا يجعل الفكر التربوي لاحقاً بها ، فبمجرد أن تعى حضارة ما ذاتها ، تحوّل على حماية تلك الذات من عوامل الانحلال والاندثار ، وعندما يقع هذا الوعي ، يتولد التفكير في التربية ، ويولد معه القلق الخلاق على التماس خير الوسائل وأجدها في حفظ الذات الحضارية ، أي يبدأ الفكر التربوي . تلك ظاهرة عامة وثابتة في تاريخ الحضارات البشرية كلها (رضا : ١٩٩٣ : ١٧) .

والفكر هو حركة العلم ، ولا فعالية للفكر أو العلم إلا بالتطبيق ، بل إن ازدهار الفكر الإسلامي بعمومه لم يكن إلا بفضل تطبيق الأفكار والمعطيات التي طرحها الإسلام طرحاً ، لم يكن معه بد من التطبيق (أبو العينين : ١٩٨٦ : ٢٨) ، وبالتالي لم يكن

للعقيدة الإسلامية أن تنجح لولا ما صاحبها من تطبيق تربوى ، وما تخلل هذا التطبيق من فكر تربوى أنتج نظاماً تربوياً يقوم على مبادئ العقيدة .

ويمكن الإشارة إلى نوع العلاقة بين العقيدة وبين التربية فى المنظور الإسلامى ، فإننا نؤكد فى الوقت نفسه إلى أن تلك العلاقة على درجة من القوة والعمق بحيث يمكن أن يؤدى انفصالهما إلى تعطيل لمهمة الطرفين ، فعقيدة بغير ترجمة سلوكية لا تبرح حدود النظر والفكر ، وتربية بغير استناد إلى عقيدة تعنى سيراً عشوائياً تخبطياً بغير دليل (المرزوقى : ١٩٥٠ : ١٧٥) .

وهذه العلاقة بين العقيدة والتربية تظهر واضحة فى مفهوم التربية الإسلامية باعتبارها نظاماً متكاملأ يشمل فلسفة التربية وأهدافها ، ومناهج التعليم وطرائق التدريس والإدارة وغيرها من وجهة نظر الإسلام والذى يعنى « النشاط الفردى والاجتماعى الهادف لتنشئة الإنسان فكراً وعقائدياً ووجدانياً واجتماعياً وجسدياً وجمالياً وخلقياً وتزويده بالمعارف والاتجاهات والقيم والخبرات اللازمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام » . (أبو العنين : ١٩٨٨ : ١٠) .

وحتى ندرك العلاقة بين منشأ الفكر التربوى الإسلامى والفكر (الاجتماعى والسياسى والثقافى) فى المخاض الحضارى الذى صنعه الإسلام ، لا بد من وعى أمرين : أحدهما أن الحدود السياسية للحضارة الإسلامية . والتى درج المؤرخون عليها فى تقسيم تاريخ هذه الحضارة إلى صدر الإسلام وعصر الأمويين والعباسيين .. لم تعد تجدى كثيراً فى تفسير الحركة الثقافية العامة للمجتمع الإسلامى وتياراتها التربوية . ففى الوقت الذى كانت الحكومات الإسلامية تقوم وتسقط والعائلات الحاكمة تظهر وتختفى ، كانت حركة التطور الفكرى تسير ثابتة إلى حد ما فى اتجاهها (رضا : ١٩٩٣ : ٩٤) . وأن الفكر الإسلامى بروافده المتعددة قد نشأ ونما وترعرع فى رحم عقيدة لها منطلقاتها الأساسية ورؤيتها الخاصة للكون والإنسان والحياة معا (على : ١٩٩١ : ١١) . وثانيهما هو أن تداخل الأزمنة الثقافية فى دراسة الثقافة العربية الإسلامية يموه الواقع فى أذهان دارسيها ، ولهذا فلا بد من التمييز بين ثلاث مراحل هامة لها أعظم الأثر فى تاريخ الفكر التربوى الإسلامى وهى كما حددها رضا :

(أ) المرحلة الأولى؛ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى قيام دار الحكمة فى بغداد ٢١٧هـ - ٨٣٢م .

(ب) المرحلة الثانية؛ من قيام دار الحكمة حتى إنشاء المدرسة النظامية فى بغداد حوالى ٤٦٢هـ - ١٠٦٥م .

(ج) المرحلة الثالثة؛ ما بعد النظاميات حتى سقوط الخلافة العثمانية (رضا : ١٩٩٣ : ٩٥) .

ولقد ظهر العديد من المفكرين المسلمين فى جميع مجالات الفكر وخاصة الفكر التربوى فى المرحلة الثالثة برز منهم على سبيل المثال لا الحصر (أبو حامد الغزالى ٥٠٥ هـ - برهان الدين الزرنوجى ٦٢٠ هـ - بدر الدين ابن جماعة ٧٣٣ هـ - ابن خلدون ٨٠٨ هـ ...) .

فكان ابن خلدون صاحب الشخصية الفذة فى عالم الفكر ، الذى ترك تراثاً وافراً فى مجالات شتى ، فلم يبق مجال من مجالات الفكر - تقريباً - إلا وكان لابن خلدون منه نصيباً وموقفاً ، ولا يزال يمد الدارسين بمعين لا ينضب لدراساتهم وأفكارهم ، فمنهم من قدمه كواضع الأسس الموضوعية لعلمى التاريخ والاجتماع ، ومنهم من قدمه كفيلسوف بنظرته الشمولية وبتفسيره للظواهر الحضارية والتاريخية ، ومنهم من قدمه كعالم فى الاقتصاد بآرائه ونظرياته الاقتصادية والمعيشية ، ومنهم من قدمه كصاحب آراء فقهية واجتهادات فى الشريعة والملة ، ومنهم من قدمه كمتصوف لسلكه الصوفى فى الحقبة الأخيرة من حياته (شمس الدين : ١٩٨٦ : ١١ - ١٢) .

وقدم ابن خلدون كمرب وصاحب فكر بمنتهى الشمول فى التربية والتعليم وعلم النفس التربوى ، حيث وردت آراؤه التربوية فى مقدمته ولم تكن تلك الآراء مترابطة بشكل منهجى بل كانت مبادئ وملاحظات عامة مبعثرة ، خاضعة فى جوهرها لأسس وقوانين ثابتة (الحاج : ١٩٨٩ : ٣٥١) .

مشكلة البحث :

جاء هذا البحث للتعرف على الجوانب التربوية فى فكر ابن خلدون وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية :

- ١ - ما منابع فكر ابن خلدون التربوى ؟
- ٢ - ما الآراء التربوية فى فكر ابن خلدون ؟
- ٣ - ما المنهاج فى فكر ابن خلدون ؟
- ٤ - ما المبادئ التربوية فى فكر ابن خلدون ؟
- ٥ - ما الطرق التربوية فى فكر ابن خلدون ؟

اهداف البحث :

- ١ - التعرف على العوامل التى أثرت فى تشكيل فكر وشخصية ابن خلدون .
- ٢ - إبراز الجوانب التربوية لدى ابن خلدون المتعلقة بالآراء والمبادئ ، والطرق التربوية لديه .
- ٣ - إبراز المنهاج وتصنيف العلوم من وجهة نظره .
- ٤ - معرفة الإضافات التربوية التى انفرد بها عن سابقه من مفكرى التربية الإسلامية .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث فى التعرف على الجوانب التربوية فى فكر ابن خلدون فيما

يلى :

- ١ - يمكن أن يسهم فى وضع تصور لموقف الفكر التربوى الإسلامى من العديد من القضايا التربوية المعاصرة ، والبدء بالتأصيل للتربية العربية الفلسطينية المعاصرة .
- ٢ - قد يستفيد القائمون على التربية والتعليم الفلسطينى من الأفكار والآراء التربوية التى طرحها ابن خلدون للارتقاء بالعملية التعليمية .
- ٣ - قد يساعد البحث فى بيان درجة مساهمة الفكر التربوى الإسلامى فى الفكر التربوى الإنسانى من خلال السبق التربوى - الآراء والمبادئ والطرق والأساليب - لابن خلدون وغيره من العلماء المسلمين .

حدود البحث :

اقتصر البحث على كتاب المقدمة لابن خلدون لمعرفة الجوانب التربوية فى فكره التربوى ، لتضمنها معظم أفكاره التربوية دون كتبه الأخرى .

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج الوصفى التحليلى فى استنباط الأفكار التربوية وتحليلها واستخراج الاستنتاجات التربوية منها .

مصطلحات البحث :

● **المبادئ التربوية:** « تعميمات تصف العلاقة القائمة بين المفاهيم المتصلة بموضوع تربوى معين » ، أو هى « علاقة ثابتة بين مفهومين تربويين أو أكثر » (بلقيس : ١٩٨٨ : ٥) .

● **الرأى التربوى:** « وجهة نظر تتعلق بأى جانب من جوانب العملية التربوية » .

● **الطرق التربوية:** « نمط راق من السلوك المنظم يتكرر مع تكرار المواقف التعليمية أو التربوية ، ويهدف تكراره إلى تحقيق التعلم أو تحقيق جانب مقصود من التربية أو هدف تربوى معين بأفضل أداء ، وأبلغ تأثير للوصول إلى أفضل النتائج من غير جهد ضائع أو أثر ضار » (النحلاوى : ١٩٩٠ : ٤١) ، أو هى « الطرق التى يستخدمها المعلم لتوصيل محتوى المنهج للطلاب مثل المناقشة الحوار والمحاورة والتلقين والمحاكاة » ، أو تعنى « جميع أوجه النشاط الموجه الذى يقوم به المدرس فى إطار مقتضيات مادة تدريسية وخصائص نمو تلاميذه وظروف بيئية بغية مساعدة تلاميذه على تحقيق التعلم المرغوب والتغيير المنشود فى سلوكهم ، وبالتالي مساعدتهم على اكتساب المعلومات والمعارف والمهارات والعادات والاتجاهات والميول والقيم المرغوبة » (الشيبانى : ١٩٨٦ : ٤٠٥) .

● **المنهاج التربوى:** « مجموع الخبرات والأنشطة التى تقدمها المدرسة تحت إشرافها للتلاميذ بقصد احتكاكهم بهذه الخبرات وتفاعلهم معها ، ومن نتائج هذا الاحتكاك والتفاعل يحدث تعلم أو تعديل فى سلوكهم ويؤدى إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل الذى هو الهدف الأسمى للتربية » (عبد الموجود وآخرون : ١٩٨١ : ١١) .

الدراسات السابقة

لقد تعددت الدراسات التى تناولت الفكر التربوى لدى ابن خلدون تعدداً ينم عن طبيعة شخصيته الإنسانية الفذة فى عالم الفكر ، وموسوعيته المعرفية ، ويمكن توضيح بعض هذه الدراسات كالتالى :

١ - دراسة محمد احمد الصادق كيلانى بعنوان :

« الفكر التربوى فى مقدمة ابن خلدون » (١٩٧٤م) .

يهدف الوقوف على الفكر التربوى فى مقدمة عبد الرحمن بن خلدون ، وقد قسم الباحث دراسته إلى ثمانية فصول :

الفصل الأول : تناول أهمية البحث وخطة الدراسة ومنهجها .

الفصل الثانى : تناول عرض الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة .

الفصل الثالث : تناول عصر ابن خلدون وحالته السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية ، ثم تناول حياة ابن خلدون من ناحية نسبه ومولده ونشأته وشخصيته العامة وأهم العوامل التى شكلت شخصيته وأهم مؤلفاته .

الفصل الرابع : تناول الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون من خلال عرض القواعد والقوانين التى وصل إليها مثل قانون التشابه ، وقانون التباين ، والظروف الطبيعية وأثرها فى المجتمع ، وأهم الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية .

الفصل الخامس : تناول عرض الباحث لفلسفة التربية وأهدافها ، نظرتة إلى الكون وإلى الطبيعة الإنسانية وإلى المعرفة ، ثم تناول مفهوم التربية عند ابن خلدون وأهدافها ، وعلاقة التعليم بالظواهر الاجتماعية المختلفة .

الفصل السادس : تناول التعلم عند ابن خلدون وأهم شروطه ، والعوامل التى تسهم فى عملية التعلم ، وتعلم الصناعات ، وعلاقة الذكاء بالتعلم ، وضرورة العقاب ، وأهم الآثار النفسية والخلقية والاجتماعية للعقاب .

الفصل السابع : تناول المناهج وطرق التدريس ، فعرض لمفهوم المناهج وتصنيف العلوم عند ابن خلدون ، ولطرق التدريس وأهميتها للفرد والجماعة ، وأهم المبادئ العامة لطرق التدريس عند ابن خلدون .

وقد اعتمد الباحث في دراسته هذه على منهج البحث التاريخي ، وطريقة دراسة الحالة . وقد أبرزت هذه الدراسة أن أهداف التربية عند ابن خلدون تنحصر في تكوين الفرد المسلم الفاضل ، وتزويده بالمعلومات والاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع ، وتعليم الفرد مهنة يعيش منها ، وتنمية القدرات العقلية والتفكير السليم ، وبالتالي فإن ابن خلدون له فكر تربوي جاء متمشياً مع فلسفته الاجتماعية متفقاً مع نظريته إلى المجتمع وفهمه للظواهر الاجتماعية وتأثيرها في الفرد والجماعة ، كما جاء هذا الفكر نابعاً من أسس الإسلام وتعاليمه وقائماً على مقوماته ومحققاً لمبادئه .

٢ - دراسة محمود حسن عياد بعنوان :

« نظرية المعرفة عند ابن خلدون وأثرها في فكره التربوي » (١٩٨٥م) .

يهدف التوصل إلى نظرية معرفية متكاملة لدى ابن خلدون والتعرف على الجوانب التطبيقية لتلك النظرية ومعرفة أثرها في فكر ابن خلدون التربوي .

الفصل الأول : تناول الإطار العام للدراسة حيث عرض لمشكلة البحث وأهدافه وحدوده ، ومنهجه وأهم المصطلحات .

الفصل الثاني : تناول شخصية ابن خلدون من خلال عرضه للعصر الذي ولد فيه من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية وأهم السمات الشخصية والاجتماعية لابن خلدون .

الفصل الثالث : تناول نظرية المعرفة في المذاهب الفلسفية من حيث إمكان المعرفة وطبيعتها وأهم منابعها وأدواتها من خلال عرضه للمذهب العقلي والتجريبي والنقدي والاجتماعي ، والمذهب الحدسي والوحي ، وختم الفصل بعرض نظرية المعرفة لدى بعض فلاسفة الإسلام .

الفصل الرابع : تناول عرضاً للإطار والهيكل الاجتماعى لنظرية المعرفة عند ابن خلدون من خلال عرضه لفلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

الفصل الخامس : تناول عرض الباحث للإطار والهيكل الفلسفى لنظرية المعرفة عند ابن خلدون من خلال عرضه للطبيعة الإنسانية ، وللعقل البشرى ، وعلاقة الفعل بالعلوم المختلفة مثل علم الإلهيات وعلم الكلام والمنطق والتصوف .

الفصل السادس : تناول مقومات نظرية المعرفة عند ابن خلدون ، وأهم الملامح والسمات العامة لنظرية المعرفة ، ثم عرض لموقف هذه النظرية من نظرية المعرفة فى المذاهب الفلسفية .

الفصل السابع : تناول عرض الآثار التربوية لنظرية المعرفة عند ابن خلدون ، والتي ظهرت فى كل من مفهوم التربية وأهدافها ، وأهم العلوم المدرسية ، وطرق التدريس والكتب الدراسية ، ثم إعداد المعلم ، ثم أعقب ذلك كله بخاتمة عرض فيها توصيات البحث .

وقد اعتمد فى دراسته على المنهج الوصفى التحليلى وقد أبرزت هذه الدراسة أهمية الربط بين الأهداف التربوية وواقع المجتمع وثقافته الأصلية ، والاعتزاز بهويتها الثقافية بعيداً عن النهل من الغرب أو العيش عالة عليهم من الناحية الفكرية ، وإن نظرية المعرفة عند ابن خلدون توضح أنه قد نهج نهجاً علمياً وواقعياً بعيداً عن النظريات الجدلية ، وقد رفض الفلسفة بمعناها الميتافيزيقى ونزع النزعة التجريبية ، وأن هذه النظرية تتمشى والأسلوب العلمى فى القرآن ، وأنها نظرية متكاملة .

٣ - دراسة عبد الله النعمى بعنوان :

« المناهج وطرق التعليم عند القابسى وابن خلدون » (١٩٨٤م) .

بهدف اختبار الفروض التالية :

١ - القابسى وابن خلدون أضافا إلى التراث التربوى الإسلامى إسهامات لها أهميتها فى مجال المناهج وطرق التعليم .

٢ - المناهج وطرق التعليم ، تتأثر بنشأة المربى ، وظروف حياته ، وفكره .

٣ - المناهج وطرق التعليم ، تتأثر بكل من حقائق الفكر الإسلامى ، وبطبيعة الحياة الإسلامية فى فترة ما ، وخصائصها وتطورها .

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التاريخي التحليلي .
وتم اعتماد المصادر الأولية وهي كتابات ابن خلدون والقابسي المحققة ، وكذلك
المصادر الثانوية والتي تشمل ما كتب في فترات حديثة .

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية : لقد أسهم كل من ابن خلدون والقابسي
في مجال المناهج وطرق التعليم والفكر التربوي عامة ، وأن اتجاهات المناهج وطرق التعليم
تتأثر بظروف ونشأة المربي وحياته وفكره ، وبحقائق وبطبيعة الحياة الإسلامية وخصائصها
وتطورها ، وأن هناك إسهامات لابن خلدون والقابسي في مجال التربية والتعليم تتضمن
الكثير من الأفكار والآراء التي لها قيمتها التربوية في العصر الحديث .

٤ - دراسة عبد الأمير شمس الدين بعنوان :

« الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي » (١٩٨٦م) .

يهدف التعرف على الفكر التربوي لدى كل من ابن خلدون وابن الأزرقي .

وقد قسم الدراسة إلى كتابين هما :

الكتاب الأول : يتحدث فيه عن ابن خلدون من حيث النشأة والتكوين الفكري
وعلاقته بالفلسفة والتصوف وتقسيم العلوم ، ثم تناول فلسفته التربوية ورأيه في التربية
والتعليم والمعلم والمتعلم والمنهج والأهداف ، ثم يتحدث عن آراء ابن الأزرقي في العمران
والتربية .

الكتاب الثاني : تناول فيه النصوص المتعلقة بفكر ابن خلدون التربوي ، أو النصوص
المتعلقة بابن الأزرقي .

وقد أظهرت الدراسة دقة الأفكار والآراء التي توصل إليها كلا العالمان (ابن خلدون
- ابن الأزرقي) في مجال التربية والتعليم والحضارة والعمران ، وإمكان تطبيقها في
العصر الحالي والاستفادة منها في الأنظمة التربوية العربية والإسلامية .

٥ - دراسة عماد الدين خليل بعنوان :

« ابن خلدون » (١٩٨٩م) .

يهدف التعرف على جوانب العملية التربوية ومحتوى التعليم لدى ابن خلدون .

وقد تناول الباحث فى البداية نبذة عن السيرة والبيئة والتنتاج الفكرى لابن خلدون ، ووضح نظرتة للإنسان والتعامل التربوى معه ونظرة التربية الإسلامية إليه ، ثم القيم والأهداف ، والممارسات التربوية والتعليمية .

وتوصل البحث إلى أن ابن خلدون أبدى الكثير من الأمور المرتبطة بالعملية التعليمية والتي منها النظرة إلى الإنسان وتميزه عن باقى الكائنات الأخرى ، وأهمية المعلم وشروط المهنة ، ورأيه فى شرح الكتب وضرر الملخصات ، وتقسيمه للعلوم المتعارف عليها بين أهل الأرض على صنفين : علوم مقصودة بالذات ، وعلوم هى آلية أو وسيلة لهذه العلوم ، وأشار إلى الصنائع التى تحدث عنها ابن خلدون .

٦ - دراسة على احمد مذكور بعنوان :

طريقة ابن خلدون فى تدريس النحو وأثرها فى لغة الكتابة لدى تلاميذ النصف الأول المتوسط بالمملكة العربية السعودية ، (١٩٨٩م) .

يهدف تقديم طريقة جديدة مقترحة يتم تعليم موضوعات النحو من خلالها لتلاميذ ما قبل التعليم الجامعى ووصف خطوات عملية يمكن تطبيقها وبيان مدى فاعليتها فى تقويم اللسان والقلم لدى الطلاب ، وكانت إجراءات البحث تتمثل فى وضع خطة البحث والدراسات السابقة ، ثم تحديد فكرة العلامة ابن خلدون وطريقته فى تربية الملكة اللسانية، وتطبيق هذا الأسلوب على عينة البحث ومعالجة البيانات والتوصل إلى النتائج ، وقد تم من خلال النتائج :

(أ) تقديم طريقة جديدة لتعليم وتعلم النحو تقوم على أساس فكرة ابن خلدون فى التفرقة بين تربية الملكة اللسانية وبين علم صناعة الإعراب .

(ب) تحويل هذه الطريقة إلى خطوات إجرائية فى التخطيط والتنفيذ والتقويم والمتابعة بحيث يمكن تعلم وتعليم الموضوعات النحوية من خلال إطار لغوى متكامل .

واتضح مدى جدية الطريقة المقترحة ومدى فاعليتها فى تربية الملكة اللسانية عموماً ، وفى نقص الأخطاء النحوية لدى التلاميذ فى مراحل التعليم ما قبل الجامعى .

وأوصى الباحث بالتوقف عن تعليم قواعد النحو بشكلها الحالي الذي يقوم على أساس تخصيص درس لكل قاعدة نحوية تحفظ ثم تنسى بعد ذلك ، دون أن تترك أثراً يذكر ، وعدم التركيز على الإعراب ومعرفة أواخر الكلم حيث أن فقدان الإعراب لا يهدم أداء اللغة لعناها الصحيح البليغ ، بل يمكن أن يعتاض عنه بقرائن الكلام التي تدل على خصوصيات المقاصد ومقتضى الحال .

التعليق على الدراسات السابقة :

من خلال عرض الدراسات السابقة يمكن استنتاج الأمور التالية :

(أ) الدراسات معظمها تناولت بعض الجوانب التربوية في فكر ابن خلدون مثل المناهج وطرق التدريس (النعسى : ١٩٨٥) . (مذكور : ١٩٨٦) ، أو نظرية المعرفة عياد : ١٩٨٥ ، أو الفكر التربوي لديه (شمس الدين : ١٩٨٦) ، كيلاني : ١٩٧٤ .

(ب) بعض الدراسات استخدمت أسلوب المقارنة في الجوانب التربوية بين ابن خلدون وعلماء آخرين مثل القابسي (النعسى : ١٩٨٤) ، وابن الأزرق (شمس الدين : ١٩٨٦) .

(ج) يتفق البحث الحالي مع الدراسات السابقة في :

١ - تناوله للجوانب التربوية في فكر ابن خلدون من خلال كتاباته .

٢ - المنهج البحثي المستخدم وهو الوصفي التحليلي .

ورغم ذلك فابحث الحالي يختلف عن الدراسات السابقة فيما يلي :

١ - محاولته التعرف على الجوانب التربوية لدى ابن خلدون من خلال تصنيفها إلى آراء ومبادئ وطرق تربوية ومنهاج تربوي ، وتوضيح السبق التربوي لابن خلدون في بعض المجالات التربوية .

٢ - قيامه بالتعرف على منابع فكر ابن خلدون التربوي ، والعوامل التي شكلته كمرس .

٣ - تناول الآراء والأفكار لدى ابن خلدون حول دور التعليم في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ونشأة الحضارة .

مناقشة اسئلة البحث :

السؤال الأول : ما منابع فكر ابن خلدون التربوي ؟

سيتم تناول الإجابة من خلال التعرف على (حياته - عصره - مؤلفاته - منزلته) ، ثم التعرف على العوامل التي أثرت في شخصية ابن خلدون وفكره التربوي كما يلي :

أولاً : حياته :

هو عبد الرحمن بن خلدون ولد بتونس في رمضان من عام ٧٣٢ هـ (١٣٣٢م) ، ونشأ في أسرة عريقة في الشرف والرياسة ، اشتغل كثير من أفرادها بالعلم والسياسة ، وهو من أصل عربي ينتهي إلى وائل بن حجر من كنده وهي من القبائل اليمينية ، حفظ القرآن وقرأه وهو ابن سبع سنين ، ثم تلقى ثقافته الأولى على والده فتعلم اللغة العربية ووعى كثيراً من أصول اللغة والأدب والنحو ، واتصل بأساتذة تونس وأخذ عنهم ما شاء من العلوم والمعارف ، ودرس الدراسات العقلية والفلسفية على بعض العلماء أمثال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأيلي (الأبراشي : ٢٥٧) ، ويقول ابن خلدون عن نفسه « لزمته وأخذت عنه العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكيمة والتعليمية ... » ، وأجاد الأصول والفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، ثم قرأ التفسير والحديث ، وتعمق في الفلسفة والمنطق ونبغ - وهو لم يبلغ العشرين من عمره - في كل ما تعلمه وما قرأه حتى أقر له أساتذته بالعبقرية والنبوغ .

رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ، وتولى عدة مناصب منها : الوزارة والقضاء والسفارة وقام بها خير قيام ، وقد اشتهر أمره عالمياً وقاضياً ومدرساً وأديباً واعترضته دسائس كثيرة وعاد إلى تونس ثم اتجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر بقوق وولى فيها القضاء (قضاء المالكية) ولم يتز بزي القضاء محتفظاً بزي بلاده وعزل وأعيد ، ورحل سنة ٧٨٩هـ ، وتوفي في ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦م) ، ودفن خارج باب النصر بمقبرة الصوفية (الحاج : ١٩٨٩ : ١١٨) .

ولقد قسم المعينون بالدراسات الخلدونية أطوار حياة ابن خلدون كما ذكرها الجابري :

- مرحلة التلمذة بتونس ٧٣٢ - ٧٥٣ هـ .
- مرحلة المغامرات السياسية ، المغرب والجزائر والأندلس ٧٥٤ - ٧٧٦ هـ .
- مرحلة العزلة والتأليف ، قلعة ابن سلامة بالجزائر ٧٧٦ - ٧٨٠ هـ .
- مرحلة التدريس والقضاء وتنقيح مؤلفه وتتميمه ، تونس ٧٨٠ - ٧٨٤ هـ ، ثم القاهرة ٧٨٤ - ٨٠٨ هـ (الجابري : ١٩٩٢ : ٣٧ - ٣٨) .

ثانياً : عصره :

كان ميلاد ابن خلدون لستين سنة خلت من سقوط دولة الموحدين في المغرب العربي حيث انقسمت هذه الدولة إلى ثلاث دويلات هي أفريقيا (تونس حالياً) والمغرب الأوسط ومراكش . وقد لاحظ ابن خلدون أن القرن الرابع عشر الذي ولد فيه كان عصر تحول وانتقال في جميع أنحاء العالم ، ولكنه كان تحول وانتقال نحو التفكك والانحطاط في العالم العربي بينما كان تحول وانتقال نحو النهوض والانبعاث في العالم الغربي ، وقد عزى ذلك لأسباب داخلية محضة وذلك لأن المغرب العربي معزول بين البحر والصحراء مما جعل أثر الغزو الاستعماري على بلاده معدوماً .

وقد حلل ابن خلدون البنى الفكرية في بلاده في ذلك العصر فحصرها في وجهين :

العقلانية في المدن حيث الفكر والفلسفة ، والصوفية في القرى . حيث المذهب المالكي ، وقد ساعدته نشأته وذكاءه أن يقف على فكر أولئك وهؤلاء ومناهجهم واصطلاحاتهم . لما كتب مقدمته لم يكتبها إلا بعد تجارب اجتماعية طويلة ودرس علمي عميق ، ولما قرر كتابتها انزوى في قلعة ابن سلامة ليكتب على بصيرة وصفاء أروع عمل في التاريخ (كرو : ١٩٧٠ : ٢٩) .

ثالثاً : مؤلفاته :

ذكر لابن خلدون كتب كثيرة في المنطق والأدب والفقه والرياضيات والتاريخ .. وغير ذلك ، لكنها لم تصل إلينا ، أما تأليفه التي نعرفها فهي كما ذكرها الشمالي :

- ١ - رحلة ابن خلدون فى المغرب والمشرق .
 - ٢ - كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ويقع فى سبعة مجلدات ويمكننا أن نعتبره قسمين :
(أ) المقدمة : وجعلها ستة فصول هى :
الأول فى العمران البشرى على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض وفيه مقدمات .
الثانى فى العمران البدوى وذكر الأمم الوحشية والقبائل .
الثالث فى الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية .
الرابع فى العمران الحضرى والبلدان والأمصار وسائر العمران .
الخامس فى المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع .
السادس فى العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه .
(ب) التاريخ : وقسمه إلى قسمين :
الأول يتناول أخبار العرب منذ الخليقة حتى القرن الرابع عشر .
الثانى يتناول أخبار البربر .
 - ٣ - كتاب شرح البردة .
 - ٤ - كتاب فى الحساب .
 - ٥ - رسالة فى المنطق .
 - ٦ - تلخيص بعض كتب ابن رشد .
 - ٧ - ألبان المحصل فى أصول الدين (٦٥) صفحة وأنجزه فى سن مبكرة (الشمالي : ١٩٧٩ : ٦٩٩ - ٧٠٢) .
وابعاً : هنزلته :
- ابن خلدون صرح شامخ فى تاريخ الفكر البشرى ، أجمع الباحثون فى آثاره على الإقرار بسبقه إلى كشف كثير من المبادئ الاجتماعية ، والاقتصادية والتاريخية والتربوية ومن آراء العلماء فيه :

• يقول لسان الدين بن الخطيب « فهو رجل فاضل ، حسن الخلق ، جم الفضائل ، باهر الخصال ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاص النزي ، عالي الهمة .. عزوف في الضيم ، صعب المقاد ، قوى الجأش ، طامح لفن الرياسة ، خاطب للحظ ، متقدم في فنون عقلية وتقليية ، متعدد المزاي ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغرى بالتجله ، جواد الكف ، حسن المعاشرة » (الساعاتي: ١٩٧٨ : ٢٤) .

• نشر المستشرق الفرنسي سلفستري دي ساسي دراسة عن حياته ، وترجمة لمقتطفات من المقدمة ، أتبعها بسواها سنة ١٨١٦م وعقد فصلاً أبرز فيه عظمة المقدمة .

• درس المستشرق النمساوي فون هامار المقدمة وترجم مقتطفات منها إلى الألمانية ونشرها ، وسمى صاحبها «مونتسكيو العرب» معلناً إعجابه بنظرياته المبتكرة .

• عدده المستشرق النمساوي فون كريم مؤرخاً للحضارة الإسلامية فثار النقدة على فكرته هذه لأنها تحصر عمل ابن خلدون في ناحية معينة يرونها جزءاً ضئيلاً من عملة الجبار .

• رأى الهولندي دي بور في المقدمة الفلسفية عملاً عظيماً مبتكراً ، وقال إن صاحبها هو «أول من حاول أن يربط بين تطور الاجتماع الإنساني وعلله القريبة مع حسن الادراك لمسائل البحث» ، وأحصاه بين الفلاسفة ، وأشار إلى محاولته جعل التاريخ نظاماً فلسفياً ، وتأسيسه نظاماً فلسفياً ثم يخطر قط على قلب أرسطو .

• أحصى العالم الاجتماعي لدفيج جمبلوفتش ابن خلدون بين علماء الاجتماع وأشار إلى أنه «اهتدى إلى نظرية الأجيال الثلاثة الخاصة بنهوض الأسر وانحلالها قبل أن يعرفها أوتوكار لورنتس في أواخر القرن التاسع عشر ... وارتفع إلى ذروة البحث الاجتماعي عند عرض ملاحظاته عن تفاعل الجماعات الاجتماعية ... ومعرفته قانون التشبه بالوسط الذي نادى به داروين بعد خمسة قرون ، ومبدأ وحدة المادة الذي أعلنه هيجل الألماني في أواخر القرن التاسع عشر» .

• أعلن المستشرق الإيطالي أماري أن ابن خلدون هو « أول كاتب في العالم عالج موضوع فلسفة التاريخ » .

• عده الباحثة الأمريكية نانانيل سميت مؤسساً لعلم الاجتماع سبق أوغيسست كونت عهداً «وذهب في تفكيره إلى حدود لم يذهب إليها كونت ، وعالج خواص العادة والإقليم ، والأرض ، والغذاء فسبق مونتسكيو ، وبكل ، وسبنسر ، وغيرهم» (الشمالي : ١٩٧٩ : ٧٥٥ - ٧٥٩) .

• قال أ. توينبي في كتابه دراسة التاريخ «إن ابن خلدون قد تصور وصاغ فلسفة هي بلا شك أعظم نتاج أبدعه أي ذهن ، في أي عصر» (لاكوست : ١٩٧٥ : ٥) .

خاصاً : العواصل التي أثرت في شخصية ابن خلدون وفكوه التربوي :

١ - النهضة العلمية والثقافية ، وخصوية الفكر وازدهار التعليم بتونس - مسقط رأسه - إثر وفود العلماء والمفكرين إليها الفارين من اضطهاد القرنجية بالأندلس ، فأقاموا بها وكانوا عوامل تنشيط للحياة العلمية والفكرية والثقافية ، وبذلك توفر له جو علمي عام بتونس ، ظل ينهل منه بذوق وعقل متفتح .

٢ - الجو العلمي والسياسي داخل أسرته .

٣ - الدراسات الشاملة التي ما انفك يواصل تعلمها يقول «ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكباً على تحصيل العلم ، حريصاً على اقتناء الفضائل ، منتقلاً بين دروس العلم وحلقاته إلى أن كان الطاعون الجارف وذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة ، وهلك أبواي رحمهما الله ولزمت مجلس شيخنا أبي عبد الله الايلي ، وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين ..» (أحمد : ١٩٧٥ : ٢٨٨ - ٢٨٩) ، وقد ظهر ذلك واضحاً في بحوثه الدينية والفلسفية والاجتماعية والتاريخية والتربوية ... الخ .

٤ - الأحداث التي شارك فيها والمناصب التي تقلدها «أخذ يتقلب في المناصب ما بين كاتب ديوان لدى السلاطين والحكام ، وعضو المجالس العلمية ، وبين أعلى مكانة في الدولة وهي إسناد شؤون الحجابة لديه والسفارة والوزارة والقضاء» (أحمد : ٢٩٠ - ١٩٧٥) .

٥ - رحلاته واحتكاكه بالعلماء والمدارس في البلاد الإسلامية المختلفة وأثرها في فكره . حيث التزود بالعلوم والفنون مشاهداً ومشاركاً في النهضة العلمية ومساهمياً في الحياة

الاجتماعية وقد أثرت فيه هذه الرحلات والجولات فتركت لديه خبرة اجتماعية وتاريخية كما أتاحت له التعليم في بلدان مختلفة ، وأتاحت له كذلك الاتصال بأشهر الموجودين بها وتعلم أسس وطرق وأساليب التعليم في الأقطار المختلفة التي رحل إليها وعاش بها ونهل منها العلوم التي تتصف بها العملية التعليمية في هذه الأقطار (النعيمي) :

السؤال الثاني : ما الآراء التربوية في فكر ابن خلدون ؟

فقد تحرك ابن خلدون على أفق لم يسبقه إليه أحد في فهم التربية . طبيعتها وعناصر تكوينها وغاياتها ، وكان مصدر تفرد هذا أنه بدأ نظره التربوي من العمران البشري أو الاجتماع الإنساني وما يعرض فيه من ظواهر التوحش والتأنس وأثار العصبية والتغلبات للبشر بعضهم على بعض (رضا : ١٩٩٣ - ١٥٠) ، ويمكن عرض هذه الآراء التربوية كما يلي :

١ - أهمية التعليم وضرورته لكل المهن :

(أ) ضرورة التعليم للاجتماع البشري حيث اعتبر أن الاجتماع الإنساني ضروري لأن الإنسان مدنى بالطبع . والمجتمع البشري أو العمران البشري لايد له من صنائع (عبد الله : ١٩٨٥ : ١٩٠ - ١٩١) إذ يقول ابن خلدون : « في أن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدنى بالطبع أى لايد من الاجتماع الذى هو المدينة فى اصطلاحهم وهو معنى العمران ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤١) ، ويرهن ابن خلدون على هذا بأمرين (شرف الدين : ب،ت : ٥٨) :

- إن الإنسان مضطر إلى التعاون مع بنى جنسه للحصول على الغذاء والكساء وسائر ضروريات الحياة .

- إن الإنسان مضطر إلى التعاون مع بنى جنسه لدفع اعتداء الحيوانات عليه .

(ب) يرى ابن خلدون فى التربية عملية تعلم وتعليم يجريها الجيل الحالى على الجيل الصاعد ، ناقلاً إليه حصيلة أفكاره وتجاربه (الخورى : ١٩٦٤ : ٥٢٠) .

(ج) ينظر ابن خلدون إلى التربية نظرة واسعة ، فهي ليست عنده «حمل المتعلمين على حفظ فروع العلم ، بل هي «إثبات ملكة العلم في نفوس المتعلمين» ، وهذه دعوة قريبة من المربين المعاصرين اليوم إلى وجوب تعليم المتعلم كيف يعلم نفسه لا التمسك بالتقليد القديم من تعليم المعارف (فروخ : ١٩٧٢ : ٧٠٣) .

(د) وبالنسبة للتوظيف الحضارية للعلم ، بين ابن خلدون أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري بالفكر الذي تميز به الإنسان عن سائر الخلق ، بالرغم من مشاركته للحيوان بالغذاء ، والحس والحركة ، بالفكر وحده يرى تمايز البشر عن غيرهم ، هذا الفكر الذي يهتدى به إلى معاشه ، وإلى الاجتماع والتعاون مع بني جنسه (شمس الدين : ١٩٨٦ : ٦٢ - ٦٣) ، فيقول :

« إن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري وذلك أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والسكن وغير ذلك وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدى به لتحقيق معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المهية لذلك التفاوت وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح آخره ، فهو مفكر في ذلك كله دائماً لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين . بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر ، وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع ، ثم لأجل هذا الفكر وما جبل عليه الإنسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه الطباع فيكون الفكر راغباً في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات فيرجع إلى من سبقه يعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه . ثم إن فكره ونظيره يتوجه إلى واحد من الحقائق وينظر ما يعرض لذاته واحداً بعد آخر ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً وتتشوق نفوس أهل الجيل الناشئ إلى تحصيل ذلك فيفزعون إلى أهل معرفته ويحىء التعليم من هذا . فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعي في البشر » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٢٩ - ٤٣٠) .

٢- قواعد مهنة التعليم وضرورة التخصص فيها ؛

تعرف المهنة بأنها- « عمل يشغله العامل بعد أن يتلقى دراسة نظرية كافية وتدريباً عملياً طويلاً في مركز أو مدارس أو جامعات ، فالمهنة تتطلب مجموعة من

المهارات والمعارف النظرية والقواعد التي تنظم العمل بها » (الحميد ، الحيارى : ١٩٨٥ : ٩) ، ولقد حدد ابن خلدون قواعد وشروط لا بد من توافرها فيمن يمارس مهنة التعليم كالحذق والفهم والحنكة والخبرة إذ يقول :

- « إن التعليم للعلم من جملة الصنائع وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده ، والوقوف على مسائله ، واستنباط فروعه من أصوله . وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلًا ، وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعى لأننا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعيتها مشتركاً بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدى فيه ، وبين العامى الذى لم يعرف علما وبين العالم الحر . والملكة إنما هي للعالم أو الشادى فى الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعى . والملكات كلها جسمانية سواء كانت فى البدن أو فى الدماغ من الفكر وغيره كالجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر إلى التعليم » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٠) . الصنائع أبداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمى مستفاد من تلك الملكة فلهذا كانت الحنكة فى التجربة تفيد عقلاً... (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٢٩) .

٣- أهمية المعلم للمهنة :

يلعب المعلم دوراً أساسياً فى تربية وإعداد الناشئة ، فهو العمود الفقري الذى لا غنى عنه فى إنجاز العملية التربوية وصياغتها الصياغة المناسبة للمتعلمين بحيث ينتج أحسن النتائج وأقومها فى تثقيف العقول وتشكيل الإنسان الكفء (القيادى : ١٩٨٦ : ٨٩) .

وقد كان أهمية ودور المعلم واضحا لابن خلدون إذ يقول :

- « .. كان السند فى التعليم فى كل علم أو صناعة إلى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند أهل أفق وجيل » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٠) .

- « وكان لكل فن رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها فى التعليم » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٦) .

« .. فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها . والاصطلاحات أيضاً فى تعليم العلوم مختلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام فى المكان وتصحيح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لا بد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال .. » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٤١).

٤ - نظريته فى المعرفة :

بنى ابن خلدون نظريته فى المعرفة على التمييز بين الإدراك الذى « هو شعور المدرك بما هو خارج ذاته » ، وبين « الفكر » الذى هو وسيلة الإنسان إلى « التجريد » انتزاعاً للصور وتركيباً لها ، وهو يرتب لاكتمال الفكر فى الإنسان ثلاث مراتب صعودية يسمى كل واحدة منها « عقلاً » ، وهى على التوالي :

(أ) **العقل التمييزى** : ويمثل المرتبة الدنيا من مراتب العقل لأن قدرته محصورة فى إدراك « الأمور المرتبة فى الخارج ترتيباً طبيعياً أو وضعياً ليقصد إيقاعها بقدرته » ، وأكثر هذا الضرب من الفكر تصورات هدفها تحصيل منافع المعاش ودفع المضرة .

(ب) **العقل التجريبي** : وهو « الفكر الذى يفيد الآراء والآداب فى معاملة أبناء جنسه وسياستهم » ، وأكثر هذا النوع من الفكر - تصديقات - تحصل بالتجربة شيئاً فشيئاً إلى أن تتم الفائدة « ، ولهذا فهو « عقل تجريبي » أى مستفاد بالتجربة .

(ج) **العقل النظرى** : وهو « الفكر الذى يفيد العلم أو الظن بمطلوب وراء الحس لا يتعلق به عمل ، وهو تصورات وتصديقات تنظم انتظاماً خاصاً على شروط خاصة فتفيد معلوماً آخر من جنسه فى التصور والتصديق ، ثم ينتظم مع غيره فيفيد علوماً أخرى كذلك ، وغاية إفادته تصور الوجود على ما هو عليه بأجناسه وفصوله وأسبابه

وعلله، فيكمل الفكر بذلك حقيقته وبصير عقلاً محضاً ونفساً مدركة ، وهو معنى الحقيقة الإنسانية « ، إن أهم ما فى هذا التصور لمراتب الإدراك هو جعله الوظيفة العليا للعقل تصور الوجود على ما هو عليه بأجناسه وفصوله وأسبابه وعلله .

إن هذه المراتب الثلاث من العقل ستعكس نفسها على ديناميكيات اكتساب المعرفة عند الطفل ، إذ يجعلها ابن خلدون تمر هي الأخرى بثلاث مراتب متعالية هي : مرتبة الاكتساب ، ومرتبة التجويد ، ومرتبة الإبداع . والمهم فى المراتب التى يطرحها لتكامل العقل فى الإنسان أنه يجعلها تنجم عن التفاعل مع الكون وتصلق بحذق الصنائع ، وأن الفكر الذى يهتدى إلى الصنائع يعود فيتأثر بإبداعاته هو حين يحاول التقدم بها (رضا : ١٩٩٣ : ١٥٤) .

٥- رأيه فى الضسفة :

يقول ابن خلدون إن من تأثروا بالفلسفة اليونانية هم ممن أضلهم الله وأن آراءهم باطلة (عبد الله : ١٩٨٥ : ٤٨) . ويؤكد موقفه من الفلسفة صراحة فى فصل بعنوان فى إبطال الفلسفة وفساد منتحلها والسبب فى ذلك «لأن هذه العلوم عارضة فى العمران كثيرة فى المدن وضررها فى الدين كثير فوجب أن يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك أن قوماً من عقلاء النوع الإنسانى زعموا أن الوجود كله الحسى منه وما وراء الحسى تدرك أدواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية ، وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع ، فإنها بعض من مدرك العقل وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليونانى محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحوموا على إصابة الغرض منه ووضعوا قانوناً يهتدى به العقل فى نظره إلى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق ، وبحصل ذلك أن النظر الذى يفيد تمييز الحق من الباطل إنما هو للذهن فى المعانى المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها أولاً صوراً منطبقة على جميع الأشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التى ترسمها فى طين أو شمع وهذه مجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الأوائل ثم تجرد من تلك المعانى الكلية إذا كانت مشتركة مع معان أخرى ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥١٤) .

٦- التعليم ودوره فى التنمية (الاجتماعية والاقتصادية والعمرائية) :

إن الاهتمام بالتعليم باعتباره أحد المتغيرات الرئيسية التى تدخل فى صميم عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لم يبدأ فى العصور الحديثة فقط ، بل إن هناك العديد من علماء الاقتصاد والتربية والاجتماع أشاروا إلى هذه القضية على مدار التاريخ الإنسانى .
والتنمية تعرف بأنها : « تلك العملية المتعددة الأبعاد التى تتضمن إجراء تغييرات جذرية فى الهياكل الاجتماعية والسلوكية والثقافية والنظم السياسية والإدارية جنباً إلى جنب مع زيادة ومعدلات النمو الاقتصادى وتحقيق العدالة فى توزيع الدخل القومى واستئصال شافة الفقر المطلق فى مجتمع ما » (النورى : ١٩٨٨ : ٧٤ - ٧٥) .

وهذه التنمية يجب أن تظال الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ... ولقد كان ابن خلدون من العلماء القلائل الذين أدركوا هذه العلاقة ، حيث أوضح أن هناك علاقة طردية بين الصناعات وال عمران البشرى ، فإذا كانت الصناعات البسيطة المقتصرة على ضروريات العيش وتحصيل القوت كافية لتلبية ضروريات العيش فى مجتمع البداوة ، فإن هذا النوع البسيط من الصناعات الناقصة تصبح قاصرة عن تلبية حاجات المجتمعات المتحضرة حيث يحتاج إلى تعددها وتنوعها والمهارة والتفنن فيها للمساهمة فى تكوين رأس المال البشرى الذى يعتبر الأداة الرئيسة للتنمية (شمس الدين : ١٩٨٦ : ٦٩ - ٧٠) ، ويتضح ذلك من كتابات ابن خلدون كالتالى :

- وأما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئات من السنين ، ولم يبق من رسم العلم فيهم إلا فن العربية والأدب (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٢) . وأضاف « فى أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظيم الحضارة والسبب فى ذلك إن تعليم العلم من جملة الصنائع ... أن الصنائع إنما تكثر فى الأمصار ، وعلى نسبة عمرانها فى الكثرة والقللة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع فى الجودة والكثرة لأنه أمر زائد على المعاش ، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف فى خاصية الإنسان وهى العلوم والصنائع ومن تشوف بفطرته إلى العلم ممن نشأ فى القرى والأمصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذى هو صناعى لفقدان الصنائع فى أهل البدو (المقدمة : ١٩٨١ :

٤٣٤) ، ويضيف « لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم وتفتنوا فى اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى أربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين ولما تناقص عمرانها وانذعر سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم والتعليم وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٤) .

- ويوضح أنه كلما زاد نصيب النظام التربوى من التمويل المنفق فى بناء المؤسسات التعليمية « المدارس - والزوايا - والربط ... » ، كلما زادت الإنتاجية فى المجتمع « الغلات والفوائد » إذ يقول ابن خلدون :

- « نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة ... فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلون فيها شركا لولدهم ينظر عليها أو يصيب منها مع ما فيهم غالباً من الجنوح إلى الخير والتماس الأجور فى المقاصد والأفعال ، فكثرت الأوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها وارتحل إليها الناس فى طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشاء » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٤ - ٤٣٥) .

- ويوضح أن هناك علاقة طردية بين كثرة المهن والصناعات والعلوم والتقدم فى المجتمع إذ يقول ابن خلدون : « إن الصناعات إنما تكمل بكمال العمران الحضرى وكثرته والسبب فى ذلك أن الناس ما لم يستوف العمران الحضرى ولتتمدن المدينة إنما همهم فى الضرورى من المعاش وهو تحصيل الألقوات .. فإذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال ووفت بالضرورى وزادت عليه صرف الزائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش ثم إن الصناعات والعلوم إنما هى للإنسان من حيث فكره الذى يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم لضرورياته على العلوم والصناعات وهى متأخرة عن الضرورى وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصناعات للتأنيق فيها حينئذ واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعى الترف والثروة ، وأما العمران البدوى أو القليل فلا يحتاج من الصناعات .. » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٠٠ - ٤٠١) .

- وللتعليم دور هام فى تنمية ملكات الفرد والارتقاء بذكائه وإكسابه الأنماط السلوكية وأنماط التفكير - فبالتعلم تميز أهل الحضرة عن أهل البدو - والتي تجعل منهم قادرين على الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة ، أى المساهمة فى التنمية الاجتماعية والتي تعنى « التحسن المستمر لمستوى معيشة ورفاهية السكان وهى تعمل جنباً إلى جنب مع التنمية الاقتصادية » (العادلى : ١٩٨٦ : ٩٨ - ٩٩) .

ويوضح ذلك ابن خلدون قائلاً :

- « .. والصنائع أبداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمى مستفاد من تلك الملكة فلهدا كانت الحنكة فى التجربة تفيد عقلاً والحضارة الكاملة تفيد عقلاً لأنها مجتمعة من صنائع » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٢٨) .

- « تميز أهل الحضرة عن أهل البدو ، ألا ترى إلى أهل الحضرة مع أهل البدو كيف تجرد الحضري متحلياً بالذكاء ممتلئاً من الكيس حتى أن البدوى لبطنه أنه قد فاته فى حقيقة إنسانيته وعقله ، وليس كذلك وما ذلك إلا لإجادته فى ملكات الصنائع والآداب فى العوائد والأحوال الحضرية ما لا يعرفه البدوى ، فلما امتلأ الحضري من الصنائع وملكها وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملكات أنها لكامل فى عقله ، وأن نفوس البدو من هو فى أعلى رتبة من الفهم فى عقله وفطرته ، إنما الذى ظهر على أهل الحضرة من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم فإن لها آثاراً ترجع إلى النفس كما قدمناه وكذا أهل المشرق لما كانوا فى التعليم والصنائع أرسخ رتبة وأعلى قدماً وكان أهل المغرب أقرب إلى البداوة لما قدمناه ظن المغفلون فى بادئ الرأى أنه لكامل فى حقيقة الإنسانية اختصوا به عن أهل المغرب وليس ذلك بصحيح فتفهمه . والله يزيد فى الخلق ما يشاء » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٤) .

- ويؤكد على ضرورة الاستقرار السياسى للحفاظ على الحضارة والصنائع .

- « فى أن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع .. » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٠٣) .

- « فى أن رسوخ الصنائع فى الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمده .. » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٠١) .

تربية الملكات :

يقول ابن خلدون : « إن الملكات صفات للنفس وألوان ، فلا تزحم دفعة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٧٨) .

وهذه الملكة ، سواء فكرية أو حركية هي النواة التي سوف ينتج عنها صناعة ، أى صناعة ، سيمتئها الفرد ، كوسيلة له للارتزاق - العيش - من ناحية أخرى ستسهم فى العمران البشرى والبناء الحضارى للمجتمعات ، والملكة كما تصورها هي المهارة التي يكتسبها المرء - فى أمر فكرى عملى - إذا هي شيء لا يكون موجودا يصبح موجودا بالاكتساب ويبدأ عن طريق الحواس أى من المحسوسات ويترقى إلى الفكر ، وعليه يشير ابن خلدون إلى طبيعة الملكات وخصائصها :

- ١ - الملكات تحدث بتتابع الفعل وتكراره .
 - ٢ - الملكة تتحول صناعة فى أمر يشترك به الفكر إلى جانب العمل .
 - ٣ - لا تكتمل الملكة كونها عملية وفكرية - جسمانية محسوسة - إلا بالمباشرة والممارسة كونها أوعب لها وأكمل .
 - ٤ - كلما كان الأصل فى اكتساب الملكة راسخا ومتقنا ، كان اكتساب الملكة أكثر رسوخا وإتقاناً .
 - ٥ - يوجد علاقة طردية بين اكتساب الملكة والحذق بها لدى المتعلم ، وبين طرق تعلمها أى ملكة المعلم الذى يقوم على تعليمها (شمس الدين : ٨٩ : ١٩٨٦ - ٩٠) .
- « إن الملكات صفات للنفس وألوان ، فلا تزحم دفعة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها ... فى أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة الحفظ ... والملكات التي تحصل لها إنما تحصل على التدرج .. » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٧٨) .

٧ - كثرة التأليف :

يكره ابن خلدون كثرة التأليف فى العلوم لأن هذا عائق عن التحصيل إذ يقول ناصحا : « اعلم أنه مما أضر بالناس فى تحصيل العلم والوقوف على غياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات فى التعاليم وتعدد طرقها ثم مطابفة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفى عمره بما كتب فى صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣١) .

٨ - عدم خلط علما على المتعلم :

يرى ابن خلدون أن المتعلمين يكتسبون التعلم وفق قدراتهم ووفق الطريقة التى يستطيع المعلم أن يستخدمها لتعليم الناشئة ، فهو يرى عدم الخلط بين علمين فى وقت واحد ، إذ يستطيع كل متعلم أن يستوعب علما واحدا أو أكثر ولكن ذلك يتطلب تنظيم تعريض المتعلم لتلك العلوم (جرادات : ١٩٨٣ : ٩٨) ، وفى ذلك يقول ابن خلدون :

- « .. ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة فى التعليم أن لا يخلط على المتعلم علما معا فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلقان معا ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة ، وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصر عليه فرمما كان ذلك أجدر لتحصيله .. » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٤) .

- « .. ونهى أن يخلط فى التعليم علما إلا أن يكون المتعلم قابلا لذلك بجودة الفهم والنشاط هذا ما أشار إليه القاضى أبو بكر رحمه الله وهو لعمرى مذهب حسن .. » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٤١ - ٥٤٢) .

٩ - أهمية مرحلة ما قبل المدرسة للطفل :

طفل ما قبل المدرسة يعنى أى طفل مهما يكون صغيرا ، طالما أنه لم يصل سن الإلزام للانضمام إلى المدرسة الابتدائية بمعنى ، أى طفل لم يصل سن السادسة حيث سن الإلزام فى فلسطين هو ست سنوات .

وقد أجمع المربون المسلمون على أهمية التعليم في الصغر حيث تتشكل شخصية الصغار تبعا لمؤثرات الوسط الاجتماعي الذي ينشأون فيه ، ويكون للتعليم تأثير إيجابي في التنمية الذاتية وتدعيم قدراتها وصفاتها قبل أن تتمكن منهم الأهواء والشهوات (قمبر : ١٩٨٥ : ٣٧٩) ، إذ يقول ابن خلدون :

- « إن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من يبنى عليه » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٨) .

- « إن الإنسان ابن عوائده ومألوفه لأن طبيعته ومزاجه ، فالذي ألفه في الأحوال صار خلقا ومملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجملة » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤١٥) .

- ويرى أن الإنسان ثمرة تربيته في وسطه الطبيعي والاجتماعي والعادة التي يكتسبها الإنسان هي طبع ثان يساند الطبع السيكولوجي الموروث (قمبر : ١٩٨٥ : ٣٣٥) ، إذ يقول ابن خلدون إن : « العوائد تقلب طباع الإنسان إلى مألوفها فهو ابن عوائده لا ابن نسيبه » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥١١) .

١٠- أهمية الرحلة في طلب العلم :

لقد تركت الرحلة في العالم الإسلامي آثارا طيبة كثيرة ، وكانت منبعًا غنيا بالخير والنشاط الدائم ، وسبيلا نافعا إلى تحقيق التبادل الثقافي والتعاون الفكري بين جامعات الإسلام وبلدانه (الشيباني : ١٩٨٥ : ٤٢٧) .

واعتبر ابن خلدون الرحلة من الوسائل الناجحة في طلب العلم لأن هذا الأسلوب من شأنه أن يساعد على تنويع مسائل المعرفة ، وتعدد مصادرها وطرق الحصول عليها ، وتثبيت المعرفة ، والتعلم المباشر من الأساتذة ومن ذلك قوله :

- « في أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وإلقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات

ورسوخها ، والاصطلاحات أيضا فى تعليم العلوم مختلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق التى فيها المعلمين ، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها- فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام فى المكان ، وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية ، فالرحلة لا بد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال .. » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٤١) .

١١- العوامل التى تؤثر فى الشخصية الإنسانية :

يشير ابن خلدون إلى مجموعة من العوامل التى تؤثر فى الاجتماع الإنسانى - العمران البشرى وهى كما ذكرها الأشول :

(أ) **العوامل الطبيعية** : من تأثير الهواء والإقليم فى ألوان البشرة ، ولا يؤثر فى ألوان بشرتهم فقط ، بل أخلاقهم كذلك وأنماط حياتهم .

(ب) **العوامل الاقتصادية** ، اختلاف نحلة الأفراد فى المعاش لما فى ذلك من الألفة والاعتناء والممارسة ، فالإنسان إذا ألف شيئا صار فى جبلته وخلقته .

(ج) **العوامل النفسانية الاجتماعية** : وهى كذلك من العوامل المؤثرة فى العمران البشرى حيث سلطان العادة والميل إلى التقليد والمحاكاة وقوة العصبية كلها عوامل تؤثر فى العمران البشرى .

ويهمنا هذا الصنف الثالث وذلك لعلاقته بما نحن فيه ، فسلطان العادة كما يشير ابن خلدون إذا استحكم فى النفوس صدها عن الخروج على المألوف ، فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ، ولا يختلج فى ضميرها انحراف عن الطاعة كأن هناك قسرا اجتماعيا شبهها بالقسر الذى تكلم عنه دور كهايم وليس أدل على ذلك قول ابن خلدون : « فإن من أدرك مثلا أباه وأكثر أهل بيته يلبسون الحرير ويتحلون بالذهب فى السلاح والمواكب ويحتجبون عن الناس فى المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه فى ذلك

إلى الخشونة فى اللباس والزى والاختلاط بالناس إذ العوائد حينئذ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس فى الخروج عن العوائد دفعة وخشى عليه عاتده وعاقبته « (الأشول : ١٩٨٥ : ٣٩٦ - ٣٩٧) .

السؤال الثالث : ما المنهاج التربوي فى فكر ابن خلدون ؟

المنهاج فى اللغة هو الطريق الواضح ، وكذلك المنهج والنهج ، وقد وردت لفظة منهاج فى قوله تعالى ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ « سورة المائدة : الآية ٤٨ » .

أما تعريفه فى الاصطلاح فهو : « مجموع الخبرات التى تهيؤها المدرسة للتلاميذ داخلها أو خارجها بقصد مساعدتهم على النمو فى جميع الجوانب - العقلية ، الثقافية ، الدينية ، الاجتماعية ، الجسمية ، الفنية - فموا يودى إلى تعديل سلوكهم ويعمل على تحقيق الأهداف التربوية المنشودة » (عبد الله : ١٩٨٦ : ٩) .

وقد قسم ابن خلدون المواد الدراسية حسب المرحلة الدراسية على النحو التالي :

١ - مرحلة التعليم الأولى : وقسمت المواد الدراسية لهذه المرحلة إلى قسمين :

(أ) مواد أساسية : وتعتبر مواد ضرورية لإعداد الإنسان الصالح وتشمل القرآن الكريم والحديث الشريف والقراءة والكتابة ، وقد اتفقت جميع الأقطار الإسلامية على أن تكون هذه المواد فاتحة الدراسة للأطفال ، يقول ابن خلدون « اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذى يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٧) .

(ب) مواد أخرى : وتختلف باختلاف الأمصار الإسلامية فى التركيز على بعض المواد الأخرى إذ يقول : « .. فأما أهل المغرب فمذهبهم فى الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن ذلك بسواه فى شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب

إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه فى الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة ... وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذى يراعونه فى التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون فى تعليمهم للولدان رواية الشعر فى الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب .. » (المقدمة : ٥٣٨ : ١٩٨١) .

٢- مرحلة التعليم ما بعد الأولى (التعليم العالى) :

ويرى ابن خلدون أن العلوم إما مستنبطة وإما منقولة ، فهى على صنفين : صنف طبيعى عقلى يهتدى إليه الإنسان بفكره ، وصنف نقلى يأخذه عن وضعه ، أما ترتيب العلوم بصنفيها النقلى والعقلى كما يبدو من كلام ابن خلدون فقد فصله الشمالى على النحو التالى :

أولاً : العلوم العقلية : أصلها كلها « الشرعيات من الكتاب والسنة وما يتعلق بذلك من العلوم التى تهينها للإفادة ، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربى الذى هو لسان الملة وبه نزل القرآن » وهذه تفاصيلها :

علوم القرآن وهى :

علم التفسير : النظر فى الكتاب ببيان ألفاظه .
علم القراءات : إسناد نقله إلى النبى واختلاف روايات القراء .
علم الحديث : إسناد السنة إلى صاحبها بالتجريح والتعديل .
أصول الفقه : العلم بأصول استنباط الأحكام من وجه قانونى بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق .

علم الفسقه : ثمرة لمعرفة أحكام الله فى أفعال المكلفين .
علم الكلام والأصول : الحجاج بالأدلة العقلية فى العقائد الإيمانية .
علم التصوف : وهو من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وقد بدأ زهداً .
علم تعبير الرؤيا : والرؤيا من مدارك الغيب وهى تحمل أثراً ولو ضئيلاً من النبوة .

العلوم اللسانية وهي :

- ١ - علم اللغة : أى حفظ كلام العرب .
- ٢ - علم النحو .
- ٣ - علم البيان .
- ٤ - علم الأدب أو أحكام صناعتى الشعر والنثر .

ثانياً : العلوم العقلية أو الطبيعية :

- ١ - علم المنطق : يعصم الذهن من الخطأ فى اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة ، وفائدته تمييز الخطأ من الصواب .
- ٢ - العلم الطبيعى : ينظر فى المحسوسات والأجسام العنصرية ، وفروعه هى « المعدن - النبات - الحيوان - الأجسام الفلكية - الحركات الطبيعية - النفس التى تنبعث عنها الحركات ... » .
- ٣ - العلم الإلهى : ينظر فى الأمور التى وراء الطبيعة من الروحانيات .
- ٤ - علم التعاليم : ينظر فى المقادير ... وأقسامه هى « علم الهندسة - علم الحساب - علم الموسيقى - علم الهيئة أو الفلك » .

« فهذه أصول العلوم الفلسفية وهى سبعة : المنطق وهو المقدم منها ، ويعدده التعاليم ، فالأرقماتيقى أولاً ، ثم الهندسة ، ثم الهيئة ، ثم الموسيقى ، ثم الطبيعيات ، ثم الإلهيات ، ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه : فمن فروع الطبيعيات الطب ، ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض (الميراث) والمعاملات ، ومن فروع الهيئة الازياج وهى قوانين احتساب حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ، ومن فروع النظر فى النجوم على الأحكام النجومية - التنجيم - يتبع ذلك السحر والسيمياء والكيمياء ... » (الشمالى : ٧٤٨ : ١٩٧٩ - ٧٥٠) .

السؤال الرابع : ما المبادئ التربوية في فكر ابن خلدون ؟

فقد تعددت هذه المبادئ والتي يمكن صصرها فيما يلي :

١ - الفروق الفردية :

وهي « اختلافات بين الأفراد أو في الفرد نفسه في النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والجنسية » ، وهي ظاهرة عامة في الأقسام المختلفة للكائنات الحية تزداد برقيتها وتتجلى لدى بنى البشر لانفرادهم بالجانب السيكولوجي المتميز والصفات المزاجية أى السمات والصفات العقلية المتخصصة أى القدرات أى أن الفروق بين الأفراد هي التي تتصل بالشخصية بكل أبعادها (الأغا ، عبد المنعم : ١٩٩٢ : ٢٥٦) .

ولقد كان ابن خلدون مدركا لهذه الفروق إدراكا كبيرا وقد برز ذلك في العبارات التالية : « ... إن النفس وإن كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الإدراكات والملكات والألوان التي تكفيها من خارج ، فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة إلى الفعل ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٧٨) .

- « وبراعى في ذلك - تلقين العلوم للمتعلم - قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهى إلى آخر الفن ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٤) .

- « ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئا أو منتهيا » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٤) .

٢ - التدرج :

ينصح ابن خلدون بأن لا يقدم للمتعلم في بداية عهده بالتعليم المسائل الصعبة ، وأن المدرسين يخطئون إذا ظنوا في هذا مرانا للمتعلمين ، لأن الاستعداد للتعليم ضرورى وأنه يتم تدريجيا ، فالفرد يتعلم البسيط الذى يستطيع عقله تقبله ثم بالتدرج والتكرار يتقدم إلى الأصعب باستعمال الأمثال الحسية أو الوسائل المعينة ، ويبين ابن خلدون أن التدرج فى تلقين العلوم للمتعلمين يحصل من ثلاث تكرارات هي :

أولاً : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا ، وقليلًا قليلًا ، يلتقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ،

ويقرب له فى شرحها على سبيل الإجمال ويراعى فى ذلك قوة عقله واستعداده ما يرد عليه حتى ينتهى إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنها هيأتها لفهم الفن وتحليل مسأله .

ثانياً : « ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك المرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهى إلى آخر الفن فتجد ملكته .

ثالثاً : « ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا إلا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته ، هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل فى ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض فى أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه » (المقدمة : ١٩٨١٠ : ٥٣٣ - ٥٣٤) .

يتعرض ابن خلدون إلى الآثار التى تنجم عن تكليف المتعلمين فوق طاقتهم ، وأن ذلك ، وخاصة فى المرحلة التى لم يستعد المتعلم فيها استعدادا عقليا مناسباً ، يؤدى بهم إلى الانصراف عن التعليم والتكاسل ويلقى اللوم على سوء التعليم (مرشى ١٩٧٥ : ٣٠١) .

ولا يقل هذا الأمر أهمية عن اهتمام المنهاج المدرسى بأعمار المتعلمين العقلية وبالقدرات التى يتمتعون بها (عبد الله : ١٩٨٥ : ١٦١) ويذكرنا ابن خلدون بهذا المبدأ حيث يقول :

« وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذى أدركتنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم فى أول تعليمه المسائل المقلدة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه وعى ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها ، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا فى الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والاستعداد ثم فيه

التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن ، وإذا أقيمت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى ويعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وقمادى في هجرانه وإنما أتى ذلك من سوء التعليم « (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٤) .

- « ... والملكات التي تحصل لها - النفس - إنما تحصل على التدرج كما قدمناه فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسيب ، والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار ، والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفرعها وتخريج الفروع على الأصول » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٧٨) .

- « ... إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب ، والبسيط هو الذي يختص بالضرورات والمركب هو الذي يكون للكفايات ، والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولاً ولأنه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقاً في التعليم ، ويكون تعليمه ناقصاً ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدرج حتى تكتمل ، ولا يحصل ذلك وإنما يحصل في أزمان وأجيال ، إذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة لاسيما في الأمور الصناعية ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٠٠) .

- « ... والإدراكات عن المحسوسيات أولاً ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكاً بالفعل وعقلاً محضاً فتكون ذاتاً روحانية ويستكمل حينئذ وجودها ، فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيد عقلاً فريداً والصنائع أبداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلاً والحضارة الكاملة تفيد عقلاً لأنها مجتمعة من صنائع ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٢٨) .

٣ - الثواب والعقاب :

لقد نبذ المربون المسلمون الصرامة والقسوة في معاملة الأطفال لأن هذه الصرامة قد تصبح أساساً لإكساب الطفل سوء الخلق (عبود وآخرون : ١٩٨٢ : ٢٤٦) .

ويعرف العقاب بأنه « الأثر القاسى الذى يتبع الاستجابات غير المرغوب فيها التى يقوم بها الفرد ويشعر بالألم والضيق لتلقيه هذا الأثر القاسى » ، بينما يعرف الثواب بأنه « الأثر الطيب الذى يتبع الاستجابات المرغوب فيها التى يقوم بها الفرد ويشعر بالرضا والارتياح لتلقيه هذا الأثر الطيب » (راشد : ١٩٩٣ : ١٥٠) .

ولقد اعتبر العقاب وسيلة غير فعالة فى علم النفس والتربية قد يترتب عليها نتائج سلبية كثيرة على السلوك الإنسانى ، ودعم ذلك البحث العلمى ، فمن سينات العقاب (قد يولد العدوان والعنف والهجوم المضاد - يعلم الشخص ماذا لا يفعل لا يعلمه ماذا يفعل - يولد حالات انفعالية غير مرغوب فيها كالبكاء والصراخ والخوف العام والخنوع - يؤدى إلى الهرب والتجنب - يؤدى إلى النمذجة السلبية - قد يؤدى إلى خمود عام فى سلوكيات الشخص المعاقب - إن نتائج العقاب غالبا ما تكون مؤقتة » (الخطيب : ١٩٨٧ : ١٤٢ : ١٤٣) .

ولقد أدرك ابن خلدون ذلك إذ يرى أنه ينبغى استخدام الثواب والعقاب لتكون دوافع للتعلم يلجأ إليها المربي بحكمة وعناية بالفتين ، فالأخذ بالشدة والقهر يذل نفسية المتعلم ويذهب بنشاطه وعقله المتفتح ، ويؤدى به إلى الكسل والكذب ليتجنب العقاب ، وينبغى ألا يلجأ المعلم إلى العقاب إلا بعد استنفاد جميع وسائل المعالجة ، ويرى أن المعالجة الحكيمة تقوم على تقديم العقاب على صورة توجيه وإرشاد بأساليب عملية تساعد المتعلم على تجنب أخطائه أو الاستمرار فيها (جرادات : ١٩٨٣ : ٩٨) وفى ذلك يقول ابن خلدون :

- « فى أن الشدة على المتعلمين مضره بهم وذلك أن إرهاق الحد بالتعليم مضره بالمتعلم سيما فى أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرهبا بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس فى انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما فى ضميره خوفا من انبساط الأبدى بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا فسدت معانى الإنسانية التى له من خبث الاجتماع والتمرن وهى الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره فى ذلك وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل

والخلق الجميل ... فينبغي للمعلم في متعلمة والوالد في ولده أن لا يستبدا عليهما في التأديب وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا ومن كلام عمر رضى الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلمنا بأن المقدار الذى عينه الشرع لذلك أملك له فإنه أعلم بمصلحته « (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٤٠ - ٥٤١) .

وقد استشهد بما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين من نصيحة إذ قال بشأن العقاب « ... وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٤٢) .

٤ - التتابع فى الدروس :

وينصح ابن خلدون ألا تطول الفترات بين الدروس إذ أن فى التقطيع مدعاة لأن ينسى المتعلم ما درسه لطول الفترة بين الدرس والآخر فيقول :

- « ... ينبغى لك ألا تطول على المتعلم فى الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينهما لأنه ذريعة إلى النسيان ، وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها ، وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانبية للنسيان كانت الملكة أيسر حصولا وأحكم ارتباطا وأقرب صبغة لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره ، وإذا تنوسى الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٤) .

٥ - التكرار :

- حيث أن المتعلم قد لا يتمكن من الفهم فى المرة الأولى أو الثانية ، فالمعلم مطالب بأن يكرر المادة العلمية حتى يمكن المتعلم من الفهم إذ يقول « ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بخالفة مسائل الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذى فوقه حتى تتم الملكة فى الاستعداد ثم فى التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٤) .

- « ... لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره ، وإذا تنوسى الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٤) .

- « ... والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ فى الأجيال » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٠١) .

السؤال الخامس : ما الطرق التربوية فى فكر ابن خلدون ؟

طريقة التدريس « هى الأسلوب الذى يتبعه المعلم - أو من يقوم مقامه - فى مساعدة المتعلم على تعلم موضوع معين لتحقيق أهداف محددة ضمن ظروف معلومة » (الأغا ، عبدالمنعم : ١٩٩٢ : ٤٢) .

وقد كانت هذه الأساليب من الشيعى بحيث ارتفعت إلى مستوى الطريقة أو حلت محلها ، وكثير ما أطلق عليها المؤلفون والباحثون - تجاوزا أو تجاهلا - اسم طرائق أو طرق ، وكان ابن خلدون من أوائل من أطلقوا على هذه الأساليب طرق التعليم أو مذهبها (عبد الله : ١٩٨١ : ١٧١) ، إذ يقول ابن خلدون :

- « ... وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذى أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٩) .

- « ... إن تعليم العلم صناعة اختلفت الاصطلاحات فيه ، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح فى التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان واحدا عند جميعهم ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف فى تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه إلى مطالعته تجد الاصطلاحات فى تعليمه متخالفة ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٠) .

وقد تناول ابن خلدون العديد من الطرق التربوية والتي منها :

١ - القراءة :

كانت هذه الطريقة وسيلة من وسائل تدريس ورواية عمل علمى ليس من إنتاج الأستاذ نفسه فى غالب الأحيان ، فكان الطالب فى هذه الطريقة يقرأ كتابا أو محفوظاته

على أستاذه ، أو يقرأ ما سمعه ، أو يعترض عليه وأن يبدي ملاحظاته وتعليقاته وتوضيحاته على النص المقروء ، وقد انتشرت هذه الطريقة عندما أقفل باب الاجتهاد فى الوطن الإسلامى ، واقتصر التعليم على تقرير كتب معينة يدور العقل فى فلكها ولا يتجاوزها إلى سواها ، وانحصرت جهوده فى الحفظ والقراءة وتكرار أقوال السابقين من غير إضافة أو تجديد وفى ضغط الحقائق العلمية فى شكل متون ومختصرات ، وقد عاب ابن خلدون طريقة المتون والمختصرات فى التعليم واعتبرها سببا من أسباب ضعف التعليم فى الوطن الإسلامى ، ومن أسباب قطع الطلاب عن تحصيل الملكات العلمية النافعة (الشيبانى : ٤٢٢) ، واعتبر ضررها على المتعلم أكثر من نفعها لأنها لا تنمى قدرة عقلية ، ولا تربي مهارة وظيفية (عبد الله : ١٩٨٥ : ٢٠٨) وقد بين ابن خلدون ذلك حيث يقول :

« فى أن كثرة الاختصارات المؤلفة فى العلوم مخلة بالتعليم ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء فى العلوم يولعون بها ويدونون برنامجا مختصرا فى كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار فى الألفاظ وحشو القليل منها بالمعانى الكثيرة من ذلك الفن ، وصار ذلك مخلا بالبلاغة ، وعسرا على الفهم ، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة فى الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ ... وهو فساد فى التعليم وفيه إخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد ، وهو من سوء التعليم كما سيأتى ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعانى عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة فينقطع فى فهمها حظ صالح عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم فى تلك المختصرات إذا تم على سداه ولم تعقبه آفة فهى ملكة قاصرة عن الملكات التى تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع فى تلك من التكرار والإحالة المفيدتين لحصول الملكة التامة ، وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقتله كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصودوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٢ - ٥٣٣) .

٢ - التلقين والتلقى ،

لقد انتقد ابن خلدون الطرق التعليمية المتبعة فى عصره ببلاد المغرب حيث يقضى المتعلمون سنوات طويلة تتجاوز الستة عشر عاما دون أن يحصلوا على غايات التعلم وثمرات التعليم ، ويعلل سر ذلك فى اتباع أسلوب الحفظ الآلى لا يربى ملكة ولا ينمى قدرة عقلية (عبد الله : ١٩٨٥ : ١٧٥) وفى ذلك يقول ابن خلدون :

« ... ذهاب الكثير من أعمارهم - الطلاب - فى ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون ، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة ، فلا يحصلون على طائل من ملكه التصرف فى العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة فى علمه إن فاض أو ناظر أو علم وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده ، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك ، وما يشهد بذلك فى المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهى بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هى أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس من تحصيلها فطال أمدها فى المغرب لهذه المدة لأجل عسرهما من قلة الجودة فى التعليم ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٢) .

٢ - الخبرة المباشرة ،

يقصد بالخبرة المباشرة « تلك الخبرة التى يكتسبها المتعلم على أساس من مباشرة التفاعل بنفسه مع عناصر البيئة التى تتضمن تلك الخبرة تتصل بها اتصالا فوريا من ناحية ، وترتبط من ناحية أخرى ارتباطا حسيا بإدراك المتعلم » ، ومن المؤكد أن اكتساب المعلومات وتنمية القدرات والميول والاتجاهات والقيم عن طريق الخبرة المباشرة له مميزات تربوية أهمها « تعنى معنى أدق وأعمق للمعلومات والمفاهيم والحقائق والقوانين - أبقى أثرا فى ذهن المتعلم لأنه يستخدم حواسه وهذا يجعل ما يتعلمه لا ينسى - تعطى المتعلم دورا إيجابيا ونشطا - تقلل إحساس المتعلم بالملل من الدراسة - تنمى القدرة على التفكير السليم ، والملاحظة الدقيقة ، والقدرة على المقارنة والتصميم والتفسير ... » (راشد : ١٩٩٣ : ٨٩ - ٩٠) .

ولقد كان ابن خلدون محررًا لهذا الفكر التربوي منذ زمن بعيد إذ يقول :

- « إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينحلون من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٤١) .

- « ... ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٣٤) .

- « اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري ويكونه عمليا هو جسماني محسوس ، والأحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة ، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل تكون الملكة ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر ... » (المقدمة : ١٩٨١ : ٣٩٩) .

ويضيف ابن خلدون قائلا :

- « هذه المعانى لا تبعد عن الحس كل البعد ولا يتعمق فيها الناظر بل كلها تدرك بالتجربة وبها تستفاد لأنها معان جزئية تتعلق بالمحسوسات وصدقها وكذبها يظهر قريبا في الواقع فيستفيد طالبها حصول العلم بها من ذلك ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذى يسر له فيها مقتنصا له بالتجربة بين الواقع فى معاملة أبناء جنسه حتى يتعين له ما يجب وينبغى فعلا وتركا وتحصل له فى ملابسه الملكة فى معاملة أبناء جنسه » (المقدمة : ١٩٨١ : ٦٠٣) .

- « ... أن صناعة المنطق غير مأمونة الغلط لكثرة ما فيها من الانتزاع ويعدها عن المحسوس » (المقدمة : ١٩٨١ : ٥٤٣) .

٤- الحوار والمناظرة :

معنى الحوار أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر ، عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع أو الهدف ، فيتبادلان النقاش حول أمر معين ، وقد يصلان إلى نتيجة ، وقد

لا يقنع أحدهما الآخر ، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفاً (النحلاوى : ١٩٧٩ : ١٨٥) .

وكان أئمة وعلماء المسلمين يعتمدون اعتماداً كبيراً على طريقة الحوار أو السؤال والمناقشة وطريقة المناظرة ، لإثارة انتباه المتعلمين وتحريك قدراتهم العقلية وقدح فطنتهم وإكسابهم المعلومات والأفكار والاتجاهات والقيم ، وقد ظلت هذه الطريقة مستعملة حتى زمن متأخر من تاريخ الأمة الإسلامية ، وكان وجودها يعتبر على الدوام سمة من سمات الازدهار الفكرى وقوة الملكة العقلية (الشيبانى : ١٩٨٥ : ٤١٩) .

ولهذا انتقد ابن خلدون إهمال هذه الطريقة فى القرن الثامن الهجرى واعتبر هذا الإهمال سبباً لضعف الملكة العلمية بين الطلاب فقال :

- « ... ولم يتصل سند التعليم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق فى العلوم ، وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية ، فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها ، فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتاً لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل مجد ملكته قاصرة فى علمه إن فاوض أو ناظر أو علم وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٣٢) .

- « فاعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم خلافاً لا بد من وقوعه ... كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التى يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد ، إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط وصاحب الخلافات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلتها وهو لعمري علم جليل الفائدة فى معرفة مأخذ الأئمة وأدلتهم ومران المطالعين له على الاستدلال عليه » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤٥٦ - ٤٥٧) .

من الطرق الناجحة في التعليم الأولى حيث يكون الصبي عنده رغبة جامحة في نقل ما يشاهده ويتفاعل معه عندما تتطبع صورته لديه ، واعتبر ابن خلدون التقليد من وسائل التعليم الهامة (النعيمي : ١٩٨٤ : ٨١) ، إذ يقول « وقد يسهل الله على كثير من البشر تحصيل ذلك في أقرب من زمن التجربة إذا قلد فيه الآباء والمشايخه والأكابر ولقن عنهم ووعى تعليمهم فيستغنى عن طول المعاناة في تتبع الوقائع واقتناص هذا المعنى من بينها ومن فقد العلم في ذلك والتقليد فيه أو أغراض عن حسن استماعه واتباعه طال عناؤه في التأديب بذلك فيجرب في غير مألوف ويدركها على غير نسبة فتوجد آدابه ومعاملاته سيئة الأوضاع بادية الخلل ويفسد في معاشه بين أبناء جنسه » (المقدمة : ١٩٨١ : ٤١١) .

وأكد على تقليد الأبناء للآباء حيث يقول : « وانظر ذلك في الأبناء مع آباتهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك إلا لاعتقادهم فيهم ... والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه - الملك - اعتقاد الأبناء بآباتهم والمتعلمين بمعلميهم » (المقدمة : ١٩٨١ : ١٤٧) .

بل اعتبر الاقتداء يحدث على مستوى الجماعات ورأى أن المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ويرجع السبب في ذلك إلى « أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها انقادت إليه أما لنظرة بالكمال بما عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاد فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء » (المقدمة : ١٩٨١ : ١٤٧) .

النتائج والتوصيات

بعد استعراض الجوانب التربوية فى فكر ابن خلدون اتضح أن ابن خلدون كمرب شخصية إنسانية فذة فى عالم الفكر ، وموسوعى المعرفة ، صاحب فكر تربوى بمنتهى الشمول والإحاطة ، وله سبق تربوى فى مجالات تربوية عديدة أشارت إليها نتائج البحث تتمثل فى :

١ - الآراء التربوية :

- نصح ألا يشغل المتعلم نفسه إلا بعلم واحد حتى يتمكن مما يتعلم فإذا فرغ منه انتقل لغيره .
- اعتبر الرحلة فى طلب العلم ولقاء أصحاب الاختصاص يزيد تمكنا وكمالاً فى التعليم .
- يرى أن العلم ملكة لا تتم بالحفظ بل بالفهم ، لذلك رفض الإطالة والتكثير على المتعلمين .
- شجب ظاهرة التلخيصات المخلة بالمعانى ووضوحها .
- اعتبر أن العلم والتعليم عمل اجتماعى خاص بالبشر ولذلك كان نزعة اجتماعية يتلقى بالمحاكاة والمباشرة .
- يرى أن كثرة التأليف تعميق التعليم لأن المتعلم لا يستطيع أن يقرأ بعضها فضلاً عن أن يقرأها كلها .
- يؤكد أن للتعليم دوراً كبيراً فى تنمية وارتقاء الفرد والمجتمع بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية .
- أكد أن للسنوات الأولى من حياة الإنسان ذات أهمية كبيرة فى تشكيل شخصيته ، وأن للعوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية أثراً فى تشكيل شخصية الإنسان وإكسابه الأنماط السلوكية وتكوين الحضارات .
- ميز بين الإدراك الذى هو شعور المدرك بما هو خارج ذاته وبين الفكر الذى هو وسيلة الإنسان إلى التجرد انتزاعاً للصور وتركيبها لها ، وهو يترتب لإكمال الفكر على ثلاث مراتب صعودية يسمى كل واحد عقلاً وهى العقل التمييزى والعقل التجريبي والعقل النظرى .
- اعتبر الفلسفة عارضة فى العمران كثيرة فى المدن وأن ضررها على الدين كثير .

٢ - المبادئ التربوية :

- التدرج من السهل إلى الأقل سهولة في ثلاث تكرارات ، وألا يؤتى بالغايات في البدايات على المتعلم .
- العقاب والشدة على المتعلمين مضره بهم ولاسيما الأطفال .
- التكرار يؤدي إلى رسوخ العلم في عقل المتعلم في أوقات قريبة بعضها من بعض .
- أكد على الفروق الفردية وسببها اختلاف قوة وضعف الملكات والإدراكات والألوان بين الناس .
- نتابع في الدروس وألا يفصل بينهما مدة طويلة لسببين :
- أولاً : أن المتعلم ينسى ما يتلقاه في درس قبل حلول الدرس الآخر .
- ثانياً : أن العلم إنما هو ملكة وأن الملكة تحصل بتتابع الفعل وتكراره .

٣ - المنهاج التربوي :

- اعتبر القرآن هو أصل التعلم وأول ما ينبغي تعليمه للولدان .
- فرق بين العلوم التي هي مقصودة لذاتها كالشرعيات والطبيعيات والإلهيات ، وبين العلوم التي هي وسيلة إليه لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرها للشرعيات وكانطق والفلسفة ، ثم أجاز التوسع في العلوم التي هي غايات في ذاتها وألح على ضرورة الاقتصاد في العلوم التي هي آلات ووسائل للعلوم الأولى .
- قسم المواد الدراسية حسب المرحلة الدراسية على النحو التالي :
- ١ - مرحلة التعليم الأولى وينقسم إلى قسمين : الأول : مواد أساسية ، والثاني : مواد أخرى .

٢ - مرحلة التعليم ما بعد الأولى (العالى) ويشمل :

- (أ) العلوم النقلية وتتضمن [علوم القرآن - علم التفسير - علم القراءات - علم الحديث - أصول الفقه - علم الفقه - علم الكلام والأصول - علم التصوف - علم تعبير الرؤيا] ، وقبل الخوض في العلوم الشرعية تجب معرفة العلوم اللسانية وهي : علم اللغة ، علم النحو ، علم البيان ، علم الآداب .

- (ب) العلوم العقلية : وتتضمن « العلم المنطق - العلم الطبيعي - العلم الإلهي - علم التعاليم » .
- ٤ - الطرق التربوية .
- الخبرة الحسية : بالاعتماد في أول الأمر على الأمثلة الحسية والانتقال من المحسوس إلى المجرد .
- المناقشة والمحاورة : اعتبرها أقصر طرق اكتساب المعرفة والاحتفاظ بها لأطول وقت ممكن وهو فاعل في تنمية الناشئ من جميع جوانبه .
- القراءة : كوسيلة من وسائل تدريس ورواية عمل علمي ليس من إنتاج الأستاذ نفسه في غالب الأحيان ، لكنه عاب طريقة المتون والمختصرات في التعليم .
- التلقين والتلقص : لقد عاب الحفظ الآلي والتلقين لأن ذلك لا ينمي القدرة العقلية ولا يربي الملكة لدى المتعلم .
- التقليد : يعتبره طريقة ناجحة وهامة في التعليم .
- مما تقدم يوصى الباحث بما يلي :
- ضرورة الاستفادة العملية من هذه الآراء والمبادئ والطرق التربوية التي توصل إليها العلماء المسلمون وذلك بعدة إجراءات منها :
- (أ) توجيه طلبة الدراسات العليا والباحثين بإجراء دراسات وأبحاث تجريبية منطلقين في فرضياتهم البحثية من هذه الأفكار التربوية لدى العلماء المسلمين .
- (ب) إجراء مقارنات في الفكر التربوي بين العلماء المسلمين والعلماء الغربيين في قضايا تربوية مركزين على الجانب التربوي .
- (ج) عرض الأفكار التربوية للعلماء التربويين المسلمين في المشكلات التربوية المعاصرة الإقليمية والعالمية كموضوع القيم والتغير الثقافي والاجتماعي والتربية البيئية وغيرها .
- (د) دعوة الجامعات ومراكز البحوث والدراسات العربية والإسلامية للإكثار من الندوات والأيام الدراسية والمؤتمرات التي تركز على المفكرين والعلماء المسلمين .
- (هـ) اعتماد مساق متعلق بالفكر التربوي العربي والإسلامي ببرامج الجامعات وكليات التربية في فلسطين والعالم العربي والإسلامي .

قائمة المراجع

- ١ - ابن خلدون ، دار القلم ، ط ٤ ، لبنان .
- ٢ - أبو العينين ، على (١٩٨٦) ، الفكر التربوي الإسلامي - مصادره - معطياته - حركته ، رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، السعودية ع ١٧ ، ص ٢٧ - ٨٤ .
- ٣ - أبو العينين ، على (١٩٨٨) ، منهجية البحث في التربية الإسلامية ، رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، السعودية ع ١٢٤ ، ص ٣ - ٣٣ .
- ٤ - أحمد ، سعد مرسى (١٩٧٥) ، تطور الفكر التربوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر .
- ٥ - الأنبا ، إحسان ، عبد المنعم ، عبد الله (١٩٩٢) ، مقدمة في التربية وعلم النفس ، مكتبة البازجي ، غزة ، فلسطين .
- ٦ - الأشول ، عادل (١٩٨٥) ، علم النفس الاجتماعي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر .
- ٧ - جرادات ، عزت ، وآخرون (١٩٨٣) ، مدخل إلى التربية ، عمان ، الأردن .
- ٨ - الجابري ، محمد عابد (١٩٩٢) ، فكر ابن خلدون : العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٥ ، بيروت ، لبنان .
- ٩ - الحاج ، خالد (١٩٨٩) ، أعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين ، الناشر المؤلف ، عمان ، الأردن .
- ١٠ - الحميد ، رشيد ، الجباري ، محمود (١٩٨٥) ، أخلاقيات المهنة ، عمان ، الأردن .
- ١١ - الخطيب ، جمال (١٩٨٧) ، تعديل السلوك القوانين والإجراءات ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، الأردن .
- ١٢ - خليل ، عماد الدين (١٩٨٩) ، ابن خلدون : من أعلام التربية العربية الإسلامية ، مج ٤ ، مكتب التربية العربي لدول الخليج .
- ١٣ - الحوري ، أنطوان (١٩٦٤) ، أعلام التربية حياتهم وأثارهم .
- ١٤ - راشد ، على (١٩٩٣) ، مفاهيم ومبادئ تربوية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .
- ١٥ - رضا ، محمد جواد (١٩٩٣) ، العرب والتربية والحضارة الاختيار الصعب ، ط ٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان .
- ١٦ - سلطان ، محمود (١٩٨٣) ، مقدمة في التربية ، ط ٤ ، دار الشروق ، جدة ، السعودية .
- ١٧ - الساعاتي ، حسن (١٩٧٨) ، علم الاجتماع الخلدوني قواعد المنهج ، ط ٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .
- ١٨ - شمس الدين ، عبد الأمير (١٩٨٦) ، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأوزق ، ط ٢ ، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان .
- ١٩ - الشمالي ، عبده (١٩٧٩) ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها ، دار صادر ، ط ٥ ، بيروت ، لبنان .
- ٢٠ - الشيباني ، عمر التومي (١٩٨٦) ، فلسفة التربية الإسلامية ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ط ٥ ، طرابلس ، ليبيا .

- ٢١ - شرف الدين ، خليل (ب . ت) ، ابن خلدون ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان .
- ٢٢ - عبد الله ، عبد الرحمن صالح (١٩٨٦) ، المنهاج الدراسى أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، السعودية .
- ٢٣ - عبد الموجود ، محمد وآخرون (١٩٨١) أساسيات المنهج وتنظيماته ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر .
- ٢٤ - عبود ، عبد الغنى وآخرون (١٩٨٢) ، فلسفة التعليم الابتدائى وتطبيقاته ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، مصر .
- ٢٥ - على ، سعيد إسماعيل (١٩٩١) ، اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، مصر .
- ٢٦ - العادلى ، فاروق (١٩٨٦) ، التربية والتنمية الاجتماعية ، مجلة التربية ، ع ٧٩ ، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ، قطر .
- ٢٧ - عياد ، محمود حسن (١٩٨٥) ، نظرية المعرفة عند ابن خلدون وأثرها فى فكره التربوى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، مصر .
- ٢٨ - فروخ ، عمر (١٩٧٢) ، تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .
- ٢٩ - قمبر ، محمود (١٩٨٥) ، دراسات تراثية فى التربية الإسلامية ، دار الثقافة ، قطر .
- ٣٠ - قمبر ، محمود (١٩٨٧) ، دراسات تراثية فى التربية الإسلامية ، دار الثقافة ، مع ٢ ، قطر .
- ٣١ - القيادى ، لطيفة (١٩٨٦) ، دراسات تربوية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراته ، ليبيا .
- ٣٢ - كرو ، أبو القاسم محمد (١٩٧٠) ، العرب وابن خلدون ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
- ٣٣ - كيلانى ، محمد الصادق (١٩٧٤) ، الفكر التربوى فى مقدمة ابن خلدون ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، المنصورة ، مصر .
- ٣٤ - لاکوست أيف (١٩٧٨) ، العلامة ابن خلدون ، ترجمة ميشال سليمان ، دار ابن خلدون للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت ، لبنان .
- ٣٥ - المرزوقى ، آمال (١٩٩٥) ، مضامين تربوية فى سورة البقرة ، دراسات تربوية ، مع ١٠ ، ج ٧١ ، رابطة التربية الحديثة ، القاهرة ، مصر ، ص ص ١٥٩ - ٢٠٥ .
- ٣٦ - مذکور ، على (١٩٨٩) ، طريقة ابن خلدون فى تدريس النحر وأثرها فى لغة الكتابة لدى تلاميذ الصف الأول المتوسط بالملكة العربية السعودية ، دراسات تربوية ، مع ٤ ، ج ١٧ رابطة التربية الحديثة ، القاهرة ، مصر ، ص ص ٦٣ - ١٠٩ .
- ٣٧ - النورى ، عبد الغنى (١٩٨٨) اتجاهات جديدة فى اقتصاديات التعليم فى البلاد العربية ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر .
- ٣٨ - النحلوى ، عبد الرحمن (١٩٧٩) ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا .
- ٣٩ - النحلوى ، عبد الرحمن (١٩٧٩) ، من أساليب التربية بالقرآن ، التربية بالآيات ، رسالة الخليج العربى ، ع ٣٢ ، مكتب التربية العربى لدى الخليج ، الرياض ، السعودية ، ص ص ٣٥ - ٥٦ .

البيئة الأسرية

وتنمية التفكير الابتكاري للإناث

الدكتور / سليم محمد سليم الشايب (*)

مقدمة :

لما كان الإنسان يرث الطاقات العقلية (الذكاء واستعدادات التفكير الابتكاري وغيرها) ، فإن على البيئة الأسرية أولاً والمجتمع بما فيه من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ثانياً مسؤولية تحقيق وإظهار وتنمية ما يمكن من هذه الطاقات (١ : ٧٤) .

ويقرر محمد خليفة بركات ١٩٧٠ أهمية البيئة الأسرية وما توفره من عوامل تساعد على ذلك فيقول « مع أن التفوق العقلي مبنى على استعداد عقلي طبيعي ، وهبة الله لمن اختارهم من عباده إلا أن ظروف التفوق في مجال ما ترجع إلى البيئة الأسرية (١٥ : ١٦٢) .

وحيث أن الإنسان لا يعيش في فراغ اجتماعي فإن عملية الابتكار وإن كانت تصدر عن أفراد مبتكرين ذوي خصائص معينة تتأثر بتفاعلات الأفراد مع الآخرين وعلاقاتهم بهم ، والابتكار كسلوك يشارك في فرزه وتحقيقه عوامل اجتماعية (بيئة أسرية - بيئة مدرسية - جماعة المرجع) ، وطقس ثقافي يتمثل في التراث الثقافي للمجتمع ، وفي التيارات الفكرية التي تتولد في المجتمع أو تهب عليه من مكان آخر ، ومنها الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تميز المجتمع الذي يعيش فيه الفرد عن غيره من المجتمعات (٦ ، ١٧ : ٧١٠ ، ١٣) ، وتذكر دراساً Norall R et al ١٩٧١ ، Simontan ١٩٧٨ أن الابتكار ينمو في المجتمعات التي تتميز بالآتي :

- ١ - الثروة التي تهيئ الفرصة للأبناء للتجريب دون خوف أو تردد والتي تسمح بشراء الخامات والمتطلبات التي يستخدمونها في التجريب .
- ٢ - التوسع الجغرافي لأن هذا التوسع يسمح بمزيد من الاحتكاك الثقافي والأخذ والعطاء بين الثقافات المختلفة .

(*) مدرس علم النفس - كلية التربية بالعريش - جامعة قناة السويس .

٣ - التحديات الخارجية التي تتحدى الثقافة وتدفعها نحو مزيد من التقدم والتطور ، من هذه التحديات الحروب والانفجار المعرفى .

٤ - النماذج المبتكرة من بين الأجيال التي تصبح كنماذج يلتمس الجيل الحالى خطاهم ، إلا أن تأثير هذه النماذج يكون مشروطا بعاملين أساسيين أولهما : أن تكون النماذج فى نفس المجال الذى يراد فيه تنمية الابتكار ، فالنماذج المبتكرة فى الموسيقى تكون أصلح لمن يعملون أو يحيون الموسيقى ، والابتكار فيها ، أما العامل الثانى فهو أن يجب ألا تقبل آراء هؤلاء النماذج تقبلا سلبيا ، بل تقبلا عقليا من أجل البناء والتطور .

٥ - الطابع العقلى والثقافى للعصر الذى يسمح بتعريض الفرد للعديد من المؤثرات العلمية والثقافية ، وتشجع على نقد وتطوير الأفكار والتوليف بين الجديد والقديم فى كل جديد ، والتي تسمح بالتجريب وتشجع عليه (فى ٥) .

اهمية الدراسة :

إن كل إنسان يعيش فى بيئة من نوع ما طول الوقت « بيت ، أو مدرسة ، أو عمل ، أو ملعب ، أو أشخاص آخريين » وبالطبع توجد فروق فردية عديدة بين أنواع البيئات ، وداخل النوع الواحد من البيئة ، وبعض البيئات قد تيسر الابتكار ، والبعض الآخر قد تكف الابتكار .

وتشير الدراسات التي تناولت الابتكار فى علاقته بالبيئة الأسرية إلى وجود علاقة ما بين هذين المجالين ، وإن اختلف الباحثون فى تحديد طبيعة هذه العلاقة ، فيصورها البعض على أنها أفراد يحيطون بالشخص المبتكر يؤثرون فيه وبشاركونه اهتماماته وهواياته (٢١ : ٤٣٤) ، بينما يرى البعض الآخر أنها نمط خاص وأسلوب متميز فى المعاملة (٢٥ : ٢٩٣) ، وهنا يظهر الاختلاف فى تحديد تلك المعاملة وفى النمط الذى يرتبط أقصى ارتباط فى إطلاق هذه الطاقات ، أهو نمط المعاملة المتسمة بالتسامح والتي تمنح الحرية أم هو التشدد والإفراط فى فرض الرقابة ، أهو الاستقلال الذى يمنحه الآباء لأبنائهم منذ الطفولة المبكرة ، أم هو التوجيه وفرض معايير دقيقة للصواب والخطأ .

لذا تتحد أهمية هذه الدراسة فى تحديد أبعاد البيئة الأسرية الملائمة لإطلاق الطاقات الابتكارية للإنانث والنثى تحقّق التكيف الصحيح .

مشكلة الدراسة :

يقرر ماكينون ١٩٧٥ Mackinnon أن الأسرة تلعب دورا فى تنمية ابتكارية الأبناء ، فقد استخلص من دراسات عديدة أن هؤلاء المبتكرين يميلون إلى إعطاء أبنائهم قدرا من التسامح وقدرا أقل من التشدد والضببط كما توصل أيضا إلى أن هؤلاء الآباء كانوا يشجعون فى أبنائهم السلوك الاستقلالى ، كما كانوا يمنحون أبنائهم الثقة المتناهية فى قدرتهم على التصرف السليم فى المواقف المختلفة والواقع أن المبتكر يحتاج عادة إلى مقدار معين من التسامح فى الأسرة والمجتمع ، قبل أن يحاول التفكير على نحو جديد أو يقترح حلا بديلا غير تقليدى للمشكلات (٢٦) ، وفى رأى روجرز ، Rogers أن هذا يتطلب ضرورة توافر الأمن النفسى الذى يتم فيه تقبل الفرد على أنه قيمة غير مشروطة مع التقليل من مقدار التقويم الخارجى ، وتوفير الفهم القائم على التعاطف والتقمص الوجدانى وتوافر الحرية السيكلوجية التى تتضمن حرية كاملة فى التعبير بالرمز (١٨ : ٣٠٨) ويقرر عبد العزيز القوصى ١٩٧٦ إن أهم سلاح يجب أن نسلح به الطفل هو الثقة بالنفس (١١ : ٣٣٢) ، وأساليب معاملة الوالدين للأبناء التى يغلب عليها طابع الرفض والإكراه والقهر وعدم السماح بالاستقلال فى الفكر والعمل ترتبط بانخفاض قدرات الابتكار لدى الأبناء ، كما أن معاملة الوالدين للأبناء التى يغلب عليها طابع التقبل وعدم الإكراه وإتاحة الشعور بالاستقلال ترتبط بارتفاع قدرات الابتكار لدى الأبناء (١٠ : ٦٢) ، ويقرر مونس Moos ١٩٧٦ أن البيئة الأسرية التى تتصف بالتقبل وإتاحة الحرية للأطفال تسير نمو القدرة على التفكير الابتكارى ، وأن البيئة الأسرية التى تتميز بالسيطرة والتحكم تعوق نمو القدرة الابتكارية (٢٧ : ٣٣٦) .

هذا ويقرر مادي Maddy ١٩٦٥ أن اتسام البيئة الأسرية بالصلابة وشدة التقويم والنقد لا تكف التفكير الابتكارى ، ويعطى أمثلة تاريخية لمبتكرين واصلوا الابتكار رغم اضطهاد البيئة ومعارضتها لأنكارهم بما يتمثل فى أقصى درجات السجن أو القتل ، كما يذهب إلى أن ظروف القلق والاحباط لا تكف الابتكار ، ودليله فى هذا أمثلة المبتكرين

الذين استمروا فى ابتكارهم رغم تعرضهم لخبرات الاحباط والقلق ، والعامل الحاسم فى الابتكار إنما يتمثل مع وجود القدرة على الابتكار فى الحاجة القوية إلى كل من الجودة أو الطرافة وإلى الأداء ذوى المستوى الرفيع (فى ٩ : ٢٤٨) .

ويؤكد هذا التعارض جيلفورد Guilford ١٩٧٢ و Row ١٩٧٥ (٢٤ ، ٣٠) ، ويقرر تيلور و بارون Taylor & Barron ١٩٦٣ أن الغموض مازال يحيط بالبيئة الأسرية التى تيسر أو تعوق نمو القدرة الابتكارية أكثر من أى جانب من الجوانب المرتبطة بالتفكير الابتكاري (٣٢ : ٣٧٣) ، وقد يرجع ذلك إلى كثرة متغيرات البيئة الأسرية وبالتالي تعقدها .

ويذهب الباحثون إطلاق الطاقات الابتكارية للذكور تختلف عنه لدى الإناث ، وإن ما يجب أن يراعى فى تنشئة ذكور مبتكرين يختلف عنه فى تنشئة إناث مبتكرات (فى ٢٠ : ٣٢) .

لذا فمشكلة الدراسة الحالية تتحدد فى السؤال التالى :

ما العلاقة بين متغيرات البيئة الأسرية والتفكير الابتكاري لطالبات الجامعة ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحديد متغيرات البيئة الأسرية كما حددها موس Moos ١٩٧٤ التى تيسر أو تعوق التفكير الابتكاري لدى الإناث وذلك حتى يمكن مستقبلا تنمية التفكير الابتكاري عن طريق البرامج الإرشادية للأسرة .

البيئة الأسرية :

إن المعنى الشائع للبيئة يشير إلى الإستخدام الجغرافى أو ما يتصل بمحل الإقامة ، ولكن هذا الاستخدام للمصطلح ليس كافيا من الناحية النفسية ، وعلى ذلك يرى أن البيئة من الناحية النفسية هى « مجموعة الاستشارات التى يتلقاها الفرد من عالمه الخارجى ، وهى بذلك تتألف من مواقف أو مركبات من المثيرات ، وتشمل الأشياء والأحداث والعلاقات التى تؤثر فى الإنسان ، ومفهوم البيئة الأسرية ينتمى بالطبع إلى هذا المعنى

الواسع ، بحيث يشمل الأشياء والأحداث والعلاقات التي تؤثر على الأبناء داخل الأسرة « (١٤ : ٥١٧) ، وهي بيئة ما بعد الولادة ، وهي امتداد للبيئة قبل الولادة (بيئة الرحم) ، تشمل بيئة ما قبل الولادة تغذية الأم وحالتها الصحية وغير ذلك ، ويصف رشيد الحمد ومحمد سعيد ١٩٧٩ بيئة ما قبل الولادة كما يلي : « أن بيئة الجنين هي إطار يحصل منه على مقومات نموه وهذه البيئة ليست مغلقة بمعنى أنها ليست معزولة عن البيئة الخارجية ، فالجنين يتأثر بغذاء أمه ، فينمو بشكل سليم إذا كان الغذاء متزنًا ، ويلحق به الضرر إذا ما أهملت الأم غذائها ، وتناول المواد الضارة الأذى بالجنين أيضا ، فقد وجد أن نيكوتين السجائر والكحول تضر الجنين ، كما أثبتت الأبحاث أن إحساس الأم الحامل بالقلق والضيق والحزن الشديد والأسى والغضب يؤثر في الجنين تأثيرا ضارا وهذا الإحساس ينشأ في العادة علاقات الأم الاجتماعية ، وبذلك يكون الجنين غير معزول عن بيئته الاجتماعية (في ١٤ : ٥١٨) .

ويحدد موس Moss ١٩٧٤ جوانب البيئة الأسرية في الجوانب الست التالية :

- ١ - المناخ أو الخصائص النفسية الاجتماعية .
- ٢ - العوامل الأيكولوجية والتي تشمل الجوانب الجغرافية والمناخية والمعمارية .
- ٣ - الأحوال السلوكية والتي تشمل مكونات مادية وسلوكية .
- ٤ - البيئة التنظيمية والتي تشمل حجم الضبط ومداه .
- ٥ - الخصائص الشخصية للأفراد داخل البيئة كالعمر والجنس والقدرة .. إلخ .
- ٦ - الأبعاد الوظيفية للمواقف الخاصة وتشمل ظروف التعزيز البيئي والتي تؤدي إلى استمرار سلوك معين (في ١٢ : ١٦) .

هذا وتقرر آمال مختار صادق - فؤاد أبو حطب ١٩٩٤ أن البيئة الأسرية تؤثر في سلوك الأبناء بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، فأما الطريقة المباشرة : أن يتعلم الطفل مباشرة من البيئة ومن محاكاة الكبار والراشدين منها .

أما الطريقة غير المباشرة : أن تتأثر سمات شخصية الطفل وطرقه في استخدام استعداداته وقدراته بدرجة تجذب انتباه الوالدين إليه أو توجه اتجاهاتها نحوه (٣ : ٢٢) .

ويصف ليدز Lidz مكونات الوظيفة الأسرية الصحيحة بالخصائص التالية :

- ١ - تمييز بذلك النوع من التوازن الذي يمكنها من التكيف مع التغيير ، بل والترحيب به .

- ٢ - هناك اتصال وارتباط بين جميع أفراد الأسرة .
- ٣ - يستطيع كل فرد في الأسرة معالجة جميع المشكلات التي تحدث بينهما ، وتشجيع الاختلاف بين الأفراد .
- ٤ - يتمتع أفراد الأسرة بالاستقلالية الفردية .
- ٥ - يستطيع كل فرد في الأسرة أن يتصرف بمـلء إرادته وباستخدام أنظمة تفكير وأنظمة وجدانية مع الأفراد الآخرين في الأسرة .
- ٦ - تعطى للحفاظ على المناخ الانفعالي الإيجابي الأولوية على عمل ما يجب عمله وما هو صائب .
- ٧ - يمكن لأفراد الأسرة أن يتخذوا من بعضهم البعض مصدرا للتغذية الرجعية والتعلم ولا يجعلوهم أعداء لهم .
- ٨ - هناك إدراك تام لما يحصل عليه الفرد من نفسه وما يحصل عليه من الآخرين (في ٨) .

وتأثير متغيرات البيئة الأسرية على الابتكار غير منتظم ، فإولا لا يكون لنفس المنزل بل لنفس النوع من سلوك الوالدين أثر واحد في الأطفال المختلفين ، والوالدان قلما يعاملان طفلين ، بطريقة واحدة ، ولكننا نميل إلى تجاهل هذه الحقيقة (٤ : ١٧٦) ، ولكن الكيفية التي يدرك بها الأبناء أكثر أهمية (٢٤ : ٢١) ، ويقرر أدلر Adler أن البيئة المنزلية ليست واحدة بالنسبة لطفلين في أسرة واحدة وأن لكل واحد منهما أطفالا للمصاحبة وأن الطفل الأصغر له أخ أكبر ولا شك أن هذا أمر مختلف (في ١٣ : ٣١٢) والخبرات الخاصة التي يمر بها الفرد والتي لا يشترك معه فيها بنفس الشكل وبنفس القدر غيره ، وخاصة في مرحلة الطفولة وأيضا عضوية الفرد في الجماعات غير الرسمية .

هذا والدراسات التي تناولت متغيرات البيئة الأسرية في علاقاتها بالابتكار متعددة بتعدد متغيرات الدراسة من حيث البنية الثقافية - الجنس (وفي الغالب من الذكور) - السن ، تعدد متغيرات البيئة الأسرية ، والنتائج متعارضة (٨) ، (٩) ، (٢٠) ، (٢٣) ، (٢٩) ، (٣٣) .

فرض الدراسة :

لا توجد علاقة بين متغيرات البيئة الأسرية والقدرة على التفكير الابتكاري لطلبات الجامعة .

الدراسة الميدانية :

أولا : العينة :

إستخدام الباحث عينة من طالبات الفرقة الرابعة بكلية التربية بالعريش فى نهاية العام الجامعى ٩٥ / ٩٦) ، ويوضح الجدول رقم (١) عينة الدراسة :

التخصص الدراسى	العدد
اللغة العربية	٢٢
اللغة الإنجليزية	٢١
الرياضيات	٢٥
المجموع	٦٨

جدول رقم « ١ » عينة الدراسة

- ثانياً: مقياس البيئة الأسرية لـ « موس » Moos ١٩٧٤ : Family Environment scall ويقس مقياس البيئة الأسرية عشرة أبعاد فرعية للبيئة الأسرية .
- ١ - النظام، أى مدى أهمية النظام فى تكوين الأنشطة الأسرية والتخطيط المالى ، والوضوح فيما يتعلق بالقواعد والمسئوليات الأسرية .
 - ٢ - السيطرة ، مدى انتظام الأسرة بطريقة هرمية وصرامة القواعد الأسرية .
 - ٣ - الاستقلال ، درجة تشجيع أفراد الأسرة على أن يكونوا مكتفين ذاتيا وأن يتخذوا قراراتهم بأنفسهم .
 - ٤ - التوجيه التحصيلي ، درجة وضع الأنماط المختلفة من الأنشطة فى إطار توجيه تحصيلي أو تنافسي .
 - ٥ - التوجيه الثقافي ، درجة اهتمام الأسرة بنشاط من الأنشطة الترويحية والرياضية المختلفة .
 - ٦ - الأنشطة الترويحية ، درجة مشاركة الأسرة بنشاط فى الأنشطة الترويحية والرياضية المختلفة .

- ٧ - الاهتمامات الدينية والخلقية، درجة مناقشة الأسرة للأمور الدينية والأخلاقية والقيم .
- ٨ - التماسك؛ هو درجة اهتمام أفراد الأسرة بأسرتهم والتزامهم نحوها ، ودرجة مساندة أفراد الأسرة لبعضهم البعض .
- ٩ - حرية التعبير؛ الدرجة التي يسمح بها لأفراد الأسرة للتعبير ، ويشجعون معها على التصرف بحرية ، وعلى التعبير عن مشاعرهم بشكل مباشر .
- ١٠ - الصراع؛ درجة اتصاف أفراد الأسرة بالتعبير الحر عن الغضب وتفاعلات الصراع (٨) .

صدق وثبات المقياس :

قام معد قياس البيئة الأسرية للاستخدام في البيئة المصرية بحساب الصدق عن طريق الاتساق الداخلي ، وحساب الثبات بطريقة إعادة الاختبار على عينة مكونة من ... طالبة من طالبات كلية التربية - جامعة أسيوط وكان الفاصل الزمني أسبوعان .

يوضح جدول رقم (٢) الاتساق الداخلي والثبات للمقياس العشرة الفرعية .

م	الأبعاد	الاتساق الداخلي	الثبات
١	التماسك	٧٤ر	٨٣ر
٢	وضوح التعبير	٧٠ر	٧٠ر
٣	الصراع	٧٦ر	٨٣ر
٤	الاستقلال	٦٥ر	٦٣ر
٥	التوجيه التحصيلي	٦٧ر	٧١ر
٦	التوجيه الثقافي	٦٧ر	٧١ر
٧	الأنشطة الترويحية	٦٣ر	٧٥ر
٨	الاهتمامات الدينية	٧٥ر	٧٨ر
٩	التنظيم	٧٦ر	٧١ر
١٠	السيطرة	٦٩ر	٧٣ر

جدول رقم ٢، اتساق وثبات مقياس البيئة الأسرية

وإستخدام أسلوب التباين لحساب ثبات المقياس وكان معامل الثبات ٧٧٧ ، وهو معامل ثبات مرتفع يمكن الوثوق به (٨) ، وكذلك استخدم أكثر من أسلوب لحساب الصدق (صدق المحكمون والصدق التمييزي والفروق دالة عند مستوى ٠ ، ٠٠٥ ، والصدق الذاتي للمقياس (٧) .

٢ - اختبارات تورانس Torrance للتفكير الابتكاري (الأشكال) :

استخدم الباحث اختبار الأشكال الناقصة ، واختبار الدوائر ، واختبار الخطوط المتوازية ، ويصح كل اختبار في ضوء ثلاث قدرات (الطلاقة - المرونة - الأصالة) .

ثبات وصدق الاختبارات :

اختبارات تورانس للتفكير الابتكاري الأشكال لها ثبات وصدق مقبول (٢) ، (٧) ، (١٣) ، (١٩) .

نتائج الدراسة :

لا توجد علاقة بين البيئة الأسرية والتفكير الابتكاري لطالبات كلية التربية بالعريش .

فرض الدراسة :

أولاً : حساب معامل الارتباط بين مقياس البيئة الأسرية الفرعية وقدرات التفكير الابتكاري (الطلاقة - المرونة - الأصالة) اختبار الأشكال الناقصة .

يوضح جدول رقم (٣) معاملات الارتباط والدلالة الإحصائية بين المقاييس الفرعية لمقياس البيئة الأسرية والطلاقة والمرونة والأصالة (اختبار الأشكال الناقصة) .

الأصالة		المرونة		الطلاقة		العدد	قنوات التفكير الابتكاري البيئي المقاييس الفرعية لمقياس الأسرة
الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط		
غيردال	ر ١٥٣	غيردال	ر ٠١٧	ر ٠٥	ر ٢٩	٦٨	التماسك
غيردال	ر ١٣٤	غيردال	ر ٠٠٤-	ر ٠٥	ر ٢٩١-		حرية التعبير
غيردال	ر ٠١٩-	غيردال	ر ١٧٤-	غيردال	ر ١١٢-		الصراع
غيردال	ر ٠١٦-	غيردال	ر ٠٠٤-	غيردال	ر ١		الاستقلال
غيردال	ر ٠٢٨-	غيردال	ر ١٣٨	غيردال	ر ١٨١		التوجيه التحصيلي
غيردال	ر ١٢٥	غيردال	ر ٠٨٨	غيردال	ر ٠٤٧-		التوجيه الثقافي
غيردال	ر ٠٧٩-	غيردال	ر ٠٥٤	غيردال	ر ٠٢٣-		الأنشطة الترويحية
ر ٠٥	ر ٢٦	غيردال	ر ١٣٨	ر ٠١	ر ٤١٦		الاهتمامات الدينية
غيردال	ر ٠٧٧	غيردال	ر ٠٠٨	ر ٠٥	ر ٢٦		النظام
غيردال	ر ٠٢٠	غيردال	ر ١٨-	غيردال	ر ١٢-		السيطرة

جدول رقم ٢٠، معاملات الارتباط بين البيئة الأسرية وقدرات التفكير الابتكاري

- ١ - يوضح جدول رقم (٣) وجود علاقة موجبة بين الطلاقة وكل من التماسك ، والاهتمامات الدينية ، والنظام ، دالة على التوالي عند مستوى ٠,٥ ، ٠,١٠ ، ٠,٥ .
ووجود علاقة سالبة بين الطلاقة وحرية التعبير دالة عند مستوى ٠,٥ . ولا توجد علاقة بين الطلاقة وكل من الصراع والاستقلال ، التوجيه التحصيلي ، التوجيه الثقافي ، والأنشطة الترويحية ، والسيطرة .
- ٢ - لا توجد علاقة بين المقاييس الفرعية لمقياس البيئة الأسرية والمرونة (أشكال ناقصة) .
- ٣ - وجود علاقة موجبة بين الأصالة والاهتمامات الدينية والخلقية دالة عند مستوى ٠,٥ ، ولا توجد علاقة بين الأصالة وكل من التماسك ، حرية التعبير ، الصراع ، والاستقلال ، التوجيه التحصيلي ، التوجيه الثقافي ، الأنشطة الترويحية ، والنظام والسيطرة (أشكال ناقصة) .

ثانياً: حساب معاملات الارتباط بين المقاييس الفرعية لمقياس البيئة الأسرية وقدرات التفكير الابتكاري (الطلاقة - المرونة - الأصالة) اختبار الدوائر .
يوضح جدول رقم (٤) معاملات الارتباط والدلالة الإحصائية بين المقاييس الفرعية لمقياس البيئة الأسرية وقدرات التفكير الابتكاري (اختبار الدوائر) .

الأصالة		المرونة		الطلاقة		العدد	قدرات التفكير الابتكاري البيئي
الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط		المقاييس الفرعية لمقياس الأسرة
غيردال	٠٠٩	غيردال	١١٣	٠١	٣٢١	٦٨	التماسك
غيردال	٠٢٩-	غيردال	٠٩٢-	٠١	٤٢٩-		حرية التعبير
غيردال	٩٤-	غيردال	١١٧-	٠٥	٢٨٣-		الصراع
غيردال	١٧	غيردال	١٧١	٠٥	٣-		الاستقلال
غيردال	١٨٢-	غيردال	٠١٥-	٠١	٣٨-		التوجيه التحصيلي
غيردال	١٢٨-	غيردال	٠٠٦-	غيردال	٠٠٤		التوجيه الثقافي
غيردال	٠٠٩-	غيردال	٠٩٦	غيردال	١١٣-		الأنشطة الترويحية
غيردال	٠٨١	٠٥	٢٥٤	غيردال	١٤١-		الاهتمامات الدينية
غيردال	٠١	غيردال	١٢١	غيردال	١٩٨-		النظام
غيردال	١١٨-	غيردال	٠٣٤-	٠١	٣٤٥-		السيطرة

جدول رقم ٤، معاملات الارتباط بين مقياس البيئة الأسرية وقدرات التفكير الابتكاري (اختبار الدوائر)

١ - يوضح جدول رقم (٤) وجود علاقة موجبة بين الطلاقة والتماسك دالة عند مستوى ٠٠١ ، ووجود علاقة سالبة بين الطلاقة وكل من حرية التعبير ، الصراع ، الاستقلال ، والتوجيه التحصيلي ، السيطرة ، دالة على التوالي عند مستوى ٠٠١ ، ٠٠٥ ، ٠٠٥ ، ٠٠١ ، ٠٠١ ، ولا توجد علاقة بين الطلاقة وكل من التوجيه الثقافي ، الأنشطة الترويحية ، الاهتمامات الدينية والخلقية ، النظام .

٢ - توجد علاقة موجبة بين المرونة والاهتمامات الدينية دالة عند مستوى ٠,٠٥ ، ولا توجد علاقة بين المرونة وكل من التماسك ، حرية التعبير ، الصراع ، الاستقلال ، التوجيه التحصيلي ، التوجيه الثقافي ، الأنشطة الترويحية ، النظام السيطرة .

٣ - لا توجد علاقة بين الأصالة وكل من التماسك ، حرية التعبير ، الصراع ، الاستقلال ، التوجيه التحصيلي ، التوجيه الثقافي ، الأنشطة الترويحية ، الاهتمامات الدينية والحلقية ، النظام ، السيطرة .

ثالثاً: حساب معاملات ارتباط بين المقاييس الفرعية للبيئة الأسرية وقدرات التفكير الابتكاري (طلاقة ، مرونة ، أصالة) اختبار الخطوط المتوازية .

يوضح جدول رقم (٥) معاملات الارتباط والدلالة الإحصائية بين المقاييس الفرعية للبيئة الأسرية والطلاقة والمرونة والأصالة (اختبار الخطوط المتوازية) .

الأصالة		المرونة		الطلاقة		العدد	قدرات التفكير الابتكاري البيئي المقاييس الفرعية لقياس الأسرة
الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط		
٠,٥	٢٤٣,	غير دال	٠,٢٢-	غير دال	٠,٤٧	٦٨	التماسك
غير دال	٠,٩٤-	غير دال	٣٤٤-	غير دال	١٦٧-		حرية التعبير
غير دال	١٢-	غير دال	٠,٣٣-	غير دال	٠,٦٢-		الصراع
غير دال	١١١	غير دال	٠,٢٥-	غير دال	٠,٠٤-		الاستقلال
غير دال	١٤٥-	غير دال	١٢٨-	غير دال	١٣٢-		التوجيه التحصيلي
غير دال	٠,٧٩	غير دال	٠,٧٩-	غير دال	١٢٥-		التوجيه الثقافي
غير دال	٠,٤٥-	غير دال	٠,٤٣	غير دال	٠,١٤		الأنشطة الترويحية
غير دال	٠,٣٧-	غير دال	٠,٢٤-	غير دال	٠,٠٩-		الاهتمامات الدينية
غير دال	٠,٥٣-	غير دال	٠,٠٢	غير دال	٠,٣٢-		النظام
غير دال	٠,٧٥	غير دال	٠,٥٥	غير دال	٠,٣٧		السيطرة

جدول رقم ٥، معاملات الارتباط بين المقاييس الفرعية لقياس البيئة الأسرية وقدرات التفكير الابتكاري

- ١ - يوضح جدول رقم (٥) عدم وجود علاقة بين الطلاقه وكل من التماسك ، حرية التعبير، الصراع ، الاستقلال ، التوجيه التحصيلي ، التوجيه الثقافي ، الأنشطة الترويحوية ، الاهتمامات الدينية والخلقية ، النظام ، السيطرة .
- ٢ - لا توجد علاقة بين المرونة وكل من المقاييس الفرعية للبيئة الزسرية .
- ٣ - توجد علاقة موجبة بين الأصالة والتماسك ودالة عند مستوى .٠٥ ، ولا توجد علاقة بين الرصالة وكل من حرية التعبير ، الصراع ، الاستقلال ، التوجيه التحصيلي ، التوجيه الثقافي ، الأنشطة الترويحوية ، الاهتمامات الدينية والخلقية ، النظام ، السيطرة .

تفسير النتائج :

من العرض السابق للنتائج يتضح الآتي :

- ١ - وجود علاقة موجبة بين التماسك وكل من المرونة والأصالة دالة على التوالي عند مستوى .٠٥ ، .٠٥ ، وقد يرجع ذلك إلى أن تماسك الأسرة يعطى الأثنى الأمان والحاجة للأمن من الحاجات النفسية الزساسبية للإنسان وإشباع هذه الحاجة للأثنى يبسر على القدرة على التفكير الابتكارى .
- ٢ - وجود علاقة سالبة بين حرية التعبير والطلاقه دال عند مستوى .٠٥ ، .٠١ ، وقد يرجع ذلك إلى أن حرية الأثنى فى التعبير محكومة بقيم اجتماعية ، ولا تتيح للأثنى التعبير عن كل ما فى داخلها من أفكار وخروج الأثنى عن الدور المحدد لها فى التعبير عن رأيها يعوق التفكير الابتكارى وهذا قد يكون عكس الذكور حيث أن تمتع الذكور بحرية التعبير يبسر القدرة على التفكير الابتكارى وهذا يؤكد تعارض النتائج باختلاف الجنس .
- ٣ - وجود علاقة سالبة بين الصراع والطلاقه دالة عند مستوى .٠٥ ، وقد يرجع ذلك إلى أن وجود الصراع بين أفراد الأسرة ، يشنت طاقاتهم وهذا يعوق نمو القدرة على التفكير الابتكارى للأثنى .

٤ - توجد علاقة سالبة بين الاستقلال والطلاق دالة عند مستوى ٠.٠٥ ، وقد يرجع ذلك إلى أن بنية الثقافة تفرض على الأنثى أن تكون تابعا وخروج الأنثى عن الدور المحدد لها يعوق نمو القدرة على التفكير الابتكاري .

٥ - توجد علاقة سالبة بين التوجيه التحصيلي والطلاق دالة عند مستوى ٠.٠٥ ، وقد يرجع ذلك إلى أن نظامنا التعليمي قائم على الانتقاء في جميع مراحل على أساس مجموع التحصيلي الدراسي ونظام الامتحان يعتمد على الحفظ ، ولذلك تعمل الأسرة على توجيه الأبناء إلى إتباع الطرق الميسرة للحصول على أكبر مجموع تحصيل دراسي ممكن ، وهذا يعوق نمو القدرة على التفكير الابتكاري .

٦ - وجود علاقة موجبة بين الاهتمامات الدينية وكل من الطلاق والأصالة دالة على التوالي عند مستوى ٠.٠١ ، ٠.٠٥ ، وقد يرجع ذلك إلى أن اهتمام الأنثى بالاهتمامات الدينية والخلقية يتفق مع بنية الثقافة العربية التي تمحض على التمسك بالفضيلة والعفة ... إلخ. وقد يؤدي ذلك إلى عمق النظر والتفكير في ما وراء الحياة وهذا ييسر نمو القدرة على التخيل وبالتالي ييسر نمو القدرة على التفكير الابتكاري .

٧ - وجود علاقة موجبة بين النظام والطلاق دالة عند مستوى ٠.٠٥ ، والنظام من أهم القيم التي تحرص الأسرة على إكسابها للأنثى ، والنظام في عمل ما ييسر العمل اللاحق وهذا ييسر القدرة على التفكير الابتكاري .

٨ - وجود علاقة سالبة بين السيطرة والطلاق دالة عند مستوى ٠.٠١ ، وفي الأسرة المصرية خاصة في المناطق الصحراوية يكون الأب والأخوة الذكور هم المسيطرون على الأسرة والدور للإناث هو الخضوع لسيطرة الذكور وبالتالي تعوق القدرة على التفكير الابتكاري للإناث .

البرنامج الإرشادي:

يرى الباحث أنه من خلال نتائج الدراسة يمكن إعداد برنامج إرشادي للأسرة لتنمية التفكير الابتكاري لدى الإناث .

المراجع

- ١ - أحمد عبد العزيز سلامه - عبد السلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعى ، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٧٥ .
- ٢ - أحمد محمد شعبان : دراسة عاملية للقدرات الابتكارية لتلاميذ مرحلة التعليم الأساسى ، دكتوراه غير منشورة - كلية التربية - جامعة الإسكندرية ١٩٨٤ .
- ٣ - آمال مختار صادق - فؤاد أبو حطب : علم النفس التربوى ، ط ٣ القاهرة، الأنجلو المصرية ١٩٩٤ .
- ٤ - إنجلش : علم النفس التربوى : فى انستازى وآخرون وشراف جيلفورد ، ترجمة أحمد زكى صالح وآخرون ، إشراف يوسف مراد ، مبادىء علم النفس النظرية ، المجلد الأول، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٥ .
- ٥ - حسين عبد العزيز الدرينى : الابتكار ، تعريفه ، وتنميته ، حولية كلية التربية - جامعة قطر ، السنة الأولى ، العدد الأول ١٩٨٢ .
- ٦ - روبرت سولسو ، ترجمة محمد نجيب الصيوه وآخرون : علم النفس المعرفى ، الكويت، شركة دار الفكر الحديث ١٩٩٦ .
- ٧ - سليم محمد سليم الشايب : العلاقة بين الابتكار وبعض المتغيرات الشخصية والبيئية ، دكتوراه غير منشورة - معهد الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس ١٩٩١ .
- ٨ - صيره محمد على : العلاقة بين التفكير الابتكار والبيئة الأسرية وغو الأنا ، فى بحوث ودراسات سيكوجية ج ٤ كلية التربية ، جامعة أسيوط ١٩٨٣ .
- ٩ - عبد الحليم محمود السيد : السياق النفسى للإبداع ، دراسة تجريبية لظروف التنشئة الاجتماعية فى الأسرة وعلاقتها بإبداع الأبناء ، دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٤ .
- ١٠ - عبد الحليم محمود السيد : الإبداع، سلسلة كتابك، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٧ .
- ١١ - عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية ، ط ٣ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ .
- ١٢ - فائقه محمد بدر الدين : العلاقة بين خصائص البيئة المدرسية وقدرات التفكير الابتكارى عند تلميذات المرحلة الابتدائية بالمملكة العربية السعودية ، دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ١٩٨٣ .
- ١٣ - فؤاد أبو حطب ، عبد الله محمود سليمان : تقنين اختبارات نوارس للتفكير الابتكارى ، (الأشكال) الصورة أ ، ب ، فى بحوث فى تقنين الاختبارات النفسية ، فؤاد أبو حطب محرر ، المجلد الأول ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٧٧ .
- ١٤ - فؤاد أبو حطب : القدرات العقلية ، ط ٥ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٩٦ .
- ١٥ - محمد خليفة بركات ، محمد أبو العلا أحمد : علم النفس العام ، القاهرة ، مكتبة عين شمس ١٩٧٠ .
- ١٦ - محيى الدين أحمد حسين وآخرون ، أشرف مصطفى سويف : المحاور الأساسية لتنشئة الفتيات الجامعيات فى الأسرة ، فى بحوث فى السلوك والشخصية ، أحمد محمد عبد الخالقة محرر ، المجلد الثانى ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٢ .

- ١٧ - مصرى عبد الحميد حنورة ، تقديم مصطفى سويف : الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الرواية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب . ١٩٩٠ .
- ١٨ - موبيا تايسون ، ترجمة فؤاد أبو حطب : الابتكار ، آفاق جديدة فى علم النفس ، ل . م فوس محرر القاهرة ، عالم الكتب ١٩٧٢ .
- ١٩ - ناده عبده عواد أبو دينا : تنمية القدرة على التفكير الابتكارى ، دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ١٩٨٦ .
- ٢٠ - ناهد سعد رمزي : عوامل التنشئة الاجتماعية بوصفها متغيرات سوسيولوجية فى علاقتها بالقدرة الإبداعية لدى الأناث ، دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٦ .
- Anastasi : Differential psychology, 4 rd, ed, New York Macillan Company 1965.
 - Arieti : Creativity, the Magic Synthesis, New York, Basic Books 1976.
 - Dacey, John. S : Discriminating Characteristics of the Families of High Creative, Journal of Creative Behaviour, V23, No. 4 P263-71.
- 24 - Guilford. j. P : Creativity in Interpersonal Relation in C.w. Taylor, ed Climate for creativity, New York Pergman Press 1972.
- Meckinnon, D.w : The Nature and Nurture of Creativity Talent in Anastasi ed Individual Differences, New York, John Wiley and Sons Inc 1965.
 - Mackinnon : I.P.A.s, Contribution to the conceptualization and study of creativity Chicago, Aldine Publishing Company 1975.
 - Moos, R.H : The Human Context Environment Determinats of Behavior, New York, John Wiley and Son Inc 1976.
 - Olszewski Poulas et al : The Influence of the Family Environment on the Development of Talent, Aliterature Review, journal for the Education of the Gifted, V11, N 1 P 628 1987.
 - Raw James S and Morjur banks Kevin : Family and achool correlates of Adolescents, Creativity, Morality and Self Concept. Education Studies V 17 N.2 P 183-190 1991.
- 30 - Roe A : Painters and Painting In I.A Tayor and J.W Getzels ed perspectives in Creativity, New York, Pergman Press 1972.
- A.J. Tanninbeum, Gifted Children, New York, Mecmillan Publishing Co. Inc 1983.
 - Taylor C.W and Barron F : Creativity Development In Taylor C.W and Barron F. ads Scientific Creativity New York, John Wiley and Sons Inc 1963.
 - Wright, Chery L : Nurturing Creative Potential, An Interactive Model for Home School, Creative Child and Adult Quarterly, V 12, N. 1., P 31-38 1987.

البناء القيمي للعمال المشتغلين فى مجتمع المصنع

دراسة سوسيولوجية لنموذجين صناعيين

(نموذج قطاع الأعمال - ونموذج القطاع الخاص)

الدكتور / خالد البدواى محمد البدواى (*)

موضوع الدراسة :

أفلحت ظاهرة القيم فى استقطاب اهتمام الباحثين والعلماء على اختلاف انتماءاتهم العلمية والأيدولوجية ، وما زال هذا الاهتمام يتعاظم يوماً بعد يوم كلما اشتدت الحاجة إلى الكشف عن طبيعة القيم وملاحمها ودورها كمتغير له أهميته فى كل مناحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وينبغى تحليلية فى كل هذه المجالات الحياتية .

ومن ثم يمكن القول أن النسق القيمي فى مجتمع المصنع يعد امتداداً وإفرازاً طبيعياً للإطار القيمي المجتمعى العام السائد فى المجتمع ، وبناءً عليه لا يمكن فهم طبيعة هذه البناء القيمي فى أى تنظيم صناعى بمعزل عن رصد فى ضوء الإطار الثقافى المجتمعى العام القاطن بداخله هذا التنظيم .

فكل عنصر أو موضوع أو حادثة فى مجتمع المصنع يعد جزءاً أساسياً من النسق الاجتماعى القيمي ، فالأدوات المادية والظروف الفيزيقية والأجور وساعات العمل ليست ظواهر قائمة بل لا بد من تفسيرها بوصفها موضوعات تنطوى على قيمة اجتماعية ، تلك التى يخلعها الأعضاء على هذه الموضوعات تتحدد من خلال الموقف الاجتماعى الذى تظهر فيه ، ومن ثم يرتبط البناء القيمي فى مجتمع المصنع بالقيم التى يستند إليها هذا البناء « قيم التكامل أم قيم الصراع » .

(*) مدرس علم الاجتماع - كلية تربية العريش - جامعة قناة السويس .

وجدير بالإشارة إلى أن قيم التكامل داخل مجتمع المصنع إنما تنشأ عن مدى التكامل بين النسق القيمي للمجتمع العام والنسق القيمي لمجتمع المصنع من ناحية أخرى ومدى التناغم بين القيادات التنظيمية داخل مجتمع المصنع وما تستند إليه من قيم من ناحية أخرى .

وتختلف القيم باختلاف المستويات التنظيمية اختلافا كبيرا وبالتالي يصعب التسليم بوجود نسق قيمي عام بينهما « الإدارة العليا ، الطبقة الإشرافية ، طبقة العمال المشتغلين » ، ومهما يكن من أمر هذه التباينات وتوجهاتها الأيديولوجية ، أنه مما لا جدال فيه أن البناء القيمي في مجتمع المصنع موضوع دراستنا يحمل في طياته عديد من القيم كالحرية ، الانتماء ، الهيبة ، المشاركة ، والتوحد والحرك الاجتماعي وارتباطه بالأقدمية والإنجاز ومستوى التعليم والمكانة ولقد اختار الباحث ثلاثة قيم هي :

١ - قيمة الحرية داخل مجتمع المصنع (تجاه ظروف العمل ومشكلات العمل والتنظيمات النيابية داخل مجتمع المصنع .

٢ - قيمة الحراك الاجتماعي داخل مجتمع المصنع وارتباطه بالإنجاز والأقدمية والهيبة ومستوى التعليم والمكانة .

٣ - قيمة الانتماء إلى مجتمع المصنع (المشاركة) وترتبط بمدى الانسجام والتوحد بين الأهداف الشخصية والأهداف التنظيمية ومدى مشاركة الأعضاء في إدارة التنظيم الصناعي .

هدف الدراسة :

يهدف البحث التعرف على مدى التناغم والتنافر تجاه البناء القيمي لطبقة العمال المشتغلين في تنظيمين صناعيين إحدهما لقطاع الأعمال (شركة مصر للأغذية بسكو مصر مصنع القاهرة) باعتباره أحد الوحدات للشركة القابضة للصناعات الغذائية ونموذج آخر يمثل القطاع الخاص (شركة المنصورة أسبانيا للملابس الجاهزة) كأحد مشروعات الاستثمار الخاضعة للقانون ١٥٩ لسنة ١٩٨١ م .

ويرجع اختبارنا لطبقة العمال المشتغلين لأنهم المتلقين لكافة الأوامر والقرارات والتوجيهات من كافة المستويات التنظيمية المختلفة داخل مجتمع المصنع .

منهج الدراسة :

لقد استعان الباحث فى دراسته بالمنهج المقارن للمقارنة بين العمال المشتغلين فى (شركة بسكو مصر) والعمال المشتغلين بشركة (المنصورة - أسبانيا) تجاه البناء القيمي للتعرف على مدى التناغم والتنافر داخل مجتمع المصنع وكذلك استعان الباحث بمنهج البحث الاجتماعى بالعينة وتقدر ١٦٠ فرد عينة توازى ١٠ ٪ من مجموع مجتمع الدراسة (شركة بسكو مصر) مصنع القاهرة الذى يبلغ ١٨٦٢ عاملاً وباستبعاد العمالة المؤقتة والإجازات بدون مرتب وغير الحاصلين على مؤهل دراسى (يقرأ ويكتب) يبلغ مجتمع الدراسة ١٦٠٠ فرد عينه .

وأيضاً ١٧٥ فرد عينه من مجتمع الدراسة (شركة المنصورة - أسبانيا) بنسبة ٥٠ ٪ . ويبلغ عدد مجتمع الدراسة ٣٥٠ فرد عينه ، وهكذا تصبح العينة (١٦٠ + ١٧٥) = ٣٣٥ فرد عينه ولقد استعان الباحث بعدد من المعالجات الإحصائية .

- ١ - المتوسط الحسابى : عمال (بسكو مصر) وعمال (المنصورة أسبانيا) .
- ٢ - الانحراف المعياري : عمال (بسكو مصر) وعمال (المنصورة أسبانيا) .
- ٣ - اختبار حرف T : بين العمال المشتغلين (بسكو مصر) والعمال المشتغلين (المنصورة أسبانيا) .
- ٤ - درجة الحرية : بين العمال المشتغلين (بسكو مصر) والعمال المشتغلين (المنصورة أسبانيا) .

أدوات الدراسة :

لقد استعان الباحث بالوثائق والمستندات (بيان التنظيم الوظيفى ، بيان بعدد المؤهلات العليا والمتوسطة وأقل من المتوسط ، وبدون مؤهل) الوثائق الخاصة بتنظيم

التسلسل، والخرائط التنظيمية لهيكل التدرج الإنتاجى، وهيكـل التدرج الإدارى،
والخرائط التنظيمية لمصنع القاهرة (بسكو مصر) .

وأيضاً الوثائق والمستندات الخاصة (شركة المنصورة أسبانيا) بيان بالمؤسسون
والمساهمون ونسبة الملكية فى رأس المال وبيان بقرار التأسيس والاكـتتاب العام طبقاً
لأحكام القانون ١٥٩ لسنة ١٩٨١ م، وبيان بالطاقة الإنتاجية للتشغيل وبيان بالبيع
المحلى والتصدير، وبيان بالطاقة الآلية للنشاط الإنتاجى والمعتمدة بالأصول الثابتة وبيان
بالمجموعات الوظيفية لشركة المنصورة أسبانيا وهذا أولاً .

ثانياً : استثمار الاستبيان :

وتشمل الاستثمارة على عدد من المحاور :

- ١ - بيانات أولية .
- ٢ - بيانات عن قيمة الحرية داخل مجتمع المصنع تجاه ظروف العمل ومشكلاته
والتنظيمات النيابية داخل التنظيم الصناعى .
- ٣ - قيمة الحراك الاجتماعى داخل مجتمع المصنع وارتباطه بالإنتاج والأقدمية والهيبة
ومستوى التعليم والمكانة .
- ٤ - قيمة الانتماء، للتنظيم (المشاركة) وترتبط بالانسجام والتوحد بين الأهداف
الشخصية وأهداف الشركة ومدى مشاركة العمال المشتغلين فى التنظيم الصناعى فى
إدارة التنظيم .

مفاهيم الدراسة :

وتدور الدراسة حول بعض المفاهيم الأساسية التى تؤلف فيما بينها إطاراً وموقفاً
نظرياً يقود عمليات التفسير ومشاهدة وحصر المتغيرات الأساسية التى يتعين أن تتناولها
الدراسة وتعرض فيما يلى المفهومات الإجرائية التى تتبناها الدراسة .

١- مفهوم القيم:

عبارة عن تصورات ومفاهيم دينامية صريحة أو ضمنية تميز الفرد أو الجماعة وتحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعياً، ومؤثر في اختيار الأهداف والطرق والأساليب والوسائل الخاصة بالفعل، وتتجسد مظاهرها في اتجاهات الأفراد والجماعات وأنماطهم السلوكية ومثلهم ومعتقداتهم ومعاييرهم ورموزهم الاجتماعية وترتبط ببقية مكونات البناء الاجتماعي تؤثر فيها وتتأثر بها .

٢- البناء القيمي:

عبارة عن نموذج منظم ومتكامل من التصورات والمفاهيم الدينامية الصريحة أو الضمنية ، يحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعياً ويؤثر في اختيار الأهداف والطرق والأساليب والوسائل الخاصة بالفعل في جماعة أو مجتمع ما وتتجسد مظاهره في اتجاهات الأفراد والجماعات وأنماطهم السلوكية ومثلهم ومعتقداتهم ومعاييرهم ورموزهم الاجتماعية ويرتبط ببقية مكونات البناء الاجتماعي يؤثر فيها ويتأثر بها .

٣ - مفهوم الحرية داخل التنظيم:

الحرية في المجتمع الحديث هي حرية نسبية أن الإرادة الخاصة لدى الفرد ورغباته الذاتية قد تتعارض مع إرادة ورغبات غيره من الأفراد بحيث إذا تصرف كل فرد بوحى من هذه الإرادة لأدى ذلك للصراع والتناحر وانعدام الاستقرار في المجتمع وضرورة وجود ضوابط للحرية .

وتعنى الحرية داخل مجتمع المصنع مدى الفرص المتاحة كرئيس فى إصدار الأوامر والتعليمات المنظمة للعمل لتحقيق أعلى معدل إنتاجى من خلال لائحة حوافز مرنة تتناسب مع ظروف العمل ، وكمؤس الحرية فى التقدم بأى شكوى وسرعة حلها طالما أنها ذات صفة موضوعية والمشاركة فى إدارة التنظيم عن طريق ممثلين للعمال فى التنظيم النقابى ومجلس الإدارة بدون أى ضغوط .

٤ - مفهوم الحراك الاجتماعي :

يعنى التعرف على الأوضاع الاجتماعية للأفراد والجماعات فى صورتها الدينامية الحراك الرأسى والأفقى ، فالحراك الرأسى يعنى حركة الأفراد داخل النسق الاجتماعى إلى أعلى WORD وإلى أسفل DOWN WORD فقد يكتسب الفرد خلال حركته مكانة أو مرتبة اجتماعية جديدة أو قد يفقد مرتبة اجتماعية كان يتمتع بها ، وهناك الحراك الأفقى وهو مسئول عن مظاهر التغيير فى الأنشطة والوظائف ويعنى الحراك الاجتماعى داخل التنظيم الصناعى حركة الفرد داخل تنظيم التسلسل من خلال عملية الترقى داخل التنظيم وفقاً للأسس الموضوعية (كالأقدمية ، المؤهل الدراسى ، الكفاءة) وسهولة الاتصال بين المستويات التنظيمية (المستوى الأعلى والأسفل) وترتب على الحراك أن يشغل الفرد مكانة وظيفية يكتسب من خلالها هبة اجتماعية وقد يحدث حركة أفقية يترتب عليها تغيير نوع الوظيفة أو النشاط الذى يمارسه الفرد داخل التنظيم .

الانتماء داخل التنظيم :

ويعنى مدى الانسجام والتوحد بين الأهداف الشخصية والأهداف التنظيمية ومدى مشاركة الأعضاء فى إدارة التنظيم ومدى اقتناعه بأن عمله الحالى يمثل مستقبلاً مهنيًا ومدى إحساسه بالارتباط بينه وبين التنظيم فى ضوء الرغبة فى الاستمرار فى عضوية التنظيم ، ومدى إحساسه بإمكانية تحطيم الحواجز الكامنة فى التسلسل الرئاسى ، وإمكانية تذويب الصراعات داخل التنظيم .

تساؤلات الدراسة :

- ١ - ما هى القيم التى يستند إليها البناء القيمى فى مجتمع المصنع ؟
- ٢ - هل هى القيم التى يتبناها المدبرون ؟
- ٣ - أم هى تلك القيم التى يتبناها أعضاء مجلس الإدارة ؟
- ٤ - أم هى تلك القيم التى يتصورها غالبية العمال المشغولين ؟
- ٥ - أم هى تلك القيم التى تعبر عنها اللوائح التنظيمية ؟

الإطار النظرى للدراسة من المنظور الاجتماعى :

أن المطلع على الاتجاهات الحديثة فى النظرية السوسولوجية يلاحظ بوضوح أن إسهامات دور كايم وتوماس وزنانيكى وفيرر بالنسبة لدراسات القيم لم تحظ باهتمام كافى من جانب علماء الاجتماع المعاصرين كذلك لم تتطور أى نظرية سوسولوجية شاملة للقيم - بل أن علماء الاجتماع قد سايروا الاتجاه القائل بأن القيم (غير علمية) ومن ثم تقع خارج نطاق البحث السوسولوجى (BENDIX 1956, P. 58) .

والحق أن الصراع الدائر فى النظرية السوسولوجية المعاصرة بين علم الاجتماع المعيارى وعلم الاجتماع العلمى قد ساهم فى نحو الدراسات الخاصة ولهذا فإن ما قدمه علماء الاجتماع المعاصرين ما هو إلا دراسات تعتبر كحلول جزئية فقط لمشكلة القيم ، وغالبا ما تتميز هذه الدراسات بأنها تنظر إلى القيم فى علاقتها بعوامل أخرى (BLAU & SCOTT, 1963, P. 77) .

وما زال بعض علماء الاجتماع مصرين على أن القيم لا تنتمى لمجال البحث السوسولوجى من أجل تجنب القيم وإقامة على اجتماع أكثر موضوعية قد ذهب إلى أن عالم الاجتماع يجب عليه أن يعالج الظواهر الاجتماعية بنفس مصطلحات العلوم الطبيعية والموضوعية ولا بد أن يضعوا - علماء الاجتماع - نتائجهم فى مقياس كمية على الأقل فرضيا إن لم يكن واقعا (FRIEDMAN, 1955, P. 28) .

ولقد ذهب لندبرج إلى أن ألفاظ مثل الإرادة والغايات والدوافع والقيم والواقع المطلق والجوهر هى فروض غير قابله للتحقيق ولا يمكن التوصل لفهمها بواسطة المناهج المقبولة والمعترف بها من العلم ومن ثم فهذه الألفاظ تقع خارج علم الاجتماع وبناء على ذلك فإن المفاهيم فى علم الاجتماع يجب أن تعرف إجرائيا حتى يصل الملاحظين إلى نفس التحليل والتنبؤ (MARTINDALE, 1967, P. 28) .

وإذا كان الموقف النظرى فى علم الاجتماع يعاصر اتجاهين أساسيين هما المادية التاريخية إحدى مكونات النظرية الماركسية والبنائية فإن رؤيا كل منهما انطبعت على

محاولتهما فى تحديد معنى القيمة وبعد تعريف « كلاكهون » للقيم أبرز بل واضح مثالا وظيفيا لتعريف القيم ويقول : « أنها تصور أو إدراكا واضحا أو ضمنيا يميز للفرد - الجماعة - المرغوب فيه الذى يؤثر فى انتقاء الطرق الممكنة والوسائل وغايات العقل (KUCK HOHM, 1967, P. 64) .

وإذا سلمنا مع « كلاكهون » بأن القيم مستوى أو معيارا للانتقاء من بين البدائل وممكنات فى الموقف الاجتماعى ، فإن ما يفرق بين الاتجاه الوظيفى والاتجاه الماركسى أن المواقف والانتقاء فى المادية التاريخية يرتبط بالظروف التاريخية للمجتمع ، والوضع الطبقي الذى يحدد الإمكانيات المتاحة أمام الشخص وبالوعى الاجتماعى للفرد ، بأن وظيفة القيم تختلف باختلاف الظروف التاريخية أى باختلاف المرحلة التى يمر بها المجتمع (رأسمالية كانت أو اشتراكية) وبعبارة موجزه تعد القيم ظاهرة بين ظاهرات الوعى الاجتماعى السائد فى المجتمع وتتلون بلون مكونات البناء الفوقى للمجتمع .

وحقيقة الأمر فإن عملية الانتقاء عملية عقلية معرفية يقوم بها الشخص بمضاهات وموازنة الأشياء فى ضوء المعيار أو المقياس الذى يضعه لنفسه والذى يحدد بظروفه الاقتصادية والاجتماعية (أى وضعه الطبقي) وهذه العملية تبدأ بالعرض والمضاهات وتنتهى بالقبول أو الرفض على أن عملية الانتقاء تخضع أيضا للبدائل والإمكانيات المتاحة وتنتهى بالقبول أو الرفض ومن ثم فهو ليس انتقاء حر طليقا وإنما مشروط بوضع الشخص وفرصته ، وكلما ارتفع الشخص فى السلم الاجتماعى ، تعددت وتنوعت فرص انتقائه وبالتالي كانت احتمالات تحقيقه لمصلحته أكبر وأقوى وأما البدائل والممكنات فهى مجموعة الوسائل والأهداف التى تتجه نحو تحقيق مصالح الإنسان المتعددة .

وأخيرا يمكن أن يكون الشخص الاجتماعى فردا أو جماعة أو طبقة أو مجتمعا برمته وهذا المفهوم يؤكد على أن القيم الاجتماعية مرتبطة بالبناء الاجتماعى للمجتمع والظروف التاريخية التى يمر بها ويعايشها من خلال مسار تطوره الاجتماعى الاقتصادى ، وقد كان التركيز الأساسى فيه ما يميز القيمة عن غيرها وليس بالتركيز على ما تشابه به مع غيرها (Ibid, P. 68) .

وعند التعرض لفكر كونت وقانون المراحل الثلاثة ارتبطت كل مرحلة من المراحل الثلاثة ببناء قيمي يحكم مسارها ، ففي المرحلة اللاهوتية وتمثل الخبرة الإنسانية والخيال المصدر الذى يدفع الإنسان إلى التحرك نحو البحث عن الحقائق وفى وقت لم يتم فيه تراكم لل معرفة الإنسانية وهذا يمثل البناء القيمي السائد فى هذه المرحلة ، أما المرحلة الميتافيزيقية تمتاز بالتأمل العقلى والبحث عن المعانى والدلالات والكشف عن الجوهر والتفكير فى ضوء الميثاليات والأشكال ، بل أن الإنسان يسيطر عليه تصور معين (للحقيقة المطلقة) والتفكير المثالى وهو البناء القيمي الموجه لهذه المرحلة .

أما المرحلة الوضعية مرحلة المجتمع الرأسمالى تنهض على محور أساسى وهو فكرة الاتفاق القيمي وتبنى مجموعة قيم واحدة متفق عليها وتكمن أهمية الاتفاق العام فيما يحققه من وحدة وتضامن اجتماعيين حقيقيين (جون ركس ، ١٩٧٣ ، ص ٨٨) .

ونجد اتجاهها مغايراً عند هربرت سبنسر حينما شيد نموذجين ، النموذج العسكرى والنموذج الصناعى وهو عكس المجتمع العسكرى فالتعاون فيه اختياري والتعاون كقيمة سائدة فى هذا النموذج (الصناعى) نوعان :

النوع الأول :

التعاون التلقائى الخاص ، والذى يتعلق بأمر لا تؤثر على الجماعة كوحدة إلا بطرق غير مباشرة .

النوع الثانى :

التعاون المقصود الذى يتصل بالأنشطة العامة فى الجماعة ككل وهذا النوع الأخير من التعاون هو الذى يؤدى إلى إيجاد نسق السلطة ويحافظ على وجودة ويمثل هذان النوعان البناء القيمي السائد فى هذا النموذج (المجتمع الصناعى) بالإضافة إلى مبدأ الحرية التعاقدية ، والقوة الأساسية التى تكمن وراء هذا النموذج هى « الإحساس بالمجتمع » وهو إحساس يستند إلى التراث الاجتماعى الهائل الذى يتبلور فى شكل عادات وتقاليد وقيم مستقرة .

وتمثل فكرة التضامن الآلى والتضامن العضوى المدخل لفهم رؤية دور كايم لمفهوم البناء القيمى ، فالمجتمع الذى تسوده ظاهرة التضامن الآلى ينتج عن ظاهرة التمثيل أو التشابه بين الناس بصورة ملحوظة وهو تماثل يعبر عن وجود عواطف مشتركة ومن مشاعر مشتركة ومن مشاركة عامة فى القيم والمعايير السائدة فى المجتمع وهذا النموذج يسود المجتمعات التقليدية ويرتبط بتنظيم اجتماعى معين يسوده الشعور الجماعى ، فى هذا البناء القيمى يستند النموذج الآلى إلى العرف والتقاليد ، أما التضامن فهو يرجع إلى أن الإجماع أو المجتمع مصدر التباين والاتفاق والاختلاف والسبب الأنساق السائدة بين الأعضاء ، الأمر الذى جعل دور كايم يطلق على هذا النوع من التضامن أنه (عضوى) ويسود هذا النموذج المجتمعات الصناعية الحديثة التى يزداد فيها تقسيم العمل كأساس للتنظيم وسمح هذا النموذج (العضوى) بتعدد الآراء بناء على مبدأ الحرية والتعددية (DURK HEIM, 1951, P. 95) .

ويؤكد ميشلز تصورا آخر لطبيعة المجتمع الإنسانى وينظر إليه من زاوية تنظيمية قائمة على أساس أن التنظيمات قد تنشأ نشأة ديموقراطية قائمة على المساواة ثم تتحول بمرور الوقت إلى تنظيمات خاضعة لحكم قلة من الأفراد (صفوة) يتحكمون فى مواردها لخدمة أغراضهم الخاصة .

ويعتقد ميشلز أن كل تنظيم يشهد بالضرورة اتجاهات بيروقراطية وأوليغاركيه بسبب نمو حجمه ، وتعدد وظائفه ، وتخصص أعماله ويبدأ قادة التنظيم فى تأكيد أهمية الخبرة الفنية ، ثم يستخدمونها كوسيلة لطبع سلطانهم بطابع شرعى ثم يتكون فى نهاية الأمر انطباع عام لدى العاملين بأن القادة هم أكفأ العناصر القادرة على إدارة التنظيم وتمثل الدوافع الكامنة وراء الاحتفاظ بالسلطة ومحاولة طبعها بطابع الشرعية تلك المبررات يمكن أن تمثل البناء القيمى الكامن خلف بناء التنظيم التى هى جزء لا يتجزأ من النسق القيمى السائد فى المجتمع (WHYTE, 1959, P. 78) .

ومما هو جدير بالذكر أن الصفوة قارس تأثيرا هاما فى تشكيل القيم وتحديد الاتجاهات العامة فى المجتمع ككل ولقد نظر الدارسون الأوائل من أمثال باريتو وموسكا

وميشلز إلى الصفوة كجماعة حاكمة، ولذلك نجدهم يهتمون بالتمييز بين الحكام والمحكومين أو بين الأقلية ذات السلطة وبين الجماهير أو الأغلبية التي لا تتمتع بمثل هذه السلطة حينما يتحدثون عن الصفوة وألا صفوة .

ومثل إسهام سمنر W. G. Sumner فى دراسة القيم فى مدخلة الوظيفة ، المجتمع بالنسبة له هو عملية خلق بها يتحقق التحكم فى البيئة بواسطة تنمية وتعلم وتغيير القيم العامة وهذا الضبط أو التحكم بصاحب بظغوط القيم على أعضاء المجتمع وهكذا فإن الفرد يميز نفسه بانتماؤه للمجتمع من خلال مشاركته فى أنشطة ذلك المجتمع وقبول قيمة بكلمات أخرى فإن سمنر كان مهتما بالدور الضبطى الذى تلعبه القيم والعادات والتقاليد فى الفعل الاجتماعى .

والحقيقة أن نظرية سمنر قد انتقدت من عدة زوايا وما يهمنا هو أن تصنيف سمنر قد أهمل العملية التى بها تتحول هذه المعايير والقيم لتغرس فى الفرد والمجتمع والثقافة ، وكما ذهب بيرجس Burgess - بحق - فإن تحليل سمنر لدور القيم فى التغيير الاجتماعى مستمدة من دراسته للمجتمع الثابت للشعوب البدائية حيث يقع التغيير الاجتماعى ببطء إن لم يكن منعوما (السيد الحسينى / ١٩٨١ / ص ١٩٤) .

وهناك محاولة أخرى حاولت إقامة علاقة حية بين الأفراد فى الجماعات وبين القيم النظامية Institutional values وهى محاولة شارلز كولى Coaly فى التحليل المنظم لمعالجة القيم والتقييم آثار الانتباه حول أهمية التقييم فى النظم الاجتماعية فقد كان اهتمامه الأساسى هو التكامل بين الأفراد أو الجماعات والبناء النظامى فى الحياة الاجتماعية بالنسبة لكولى ، هى عملية نظامية مستمرة من خلالها ينتمى الأفراد إلى بعض عن طريق القيم والمثل والاتجاهات الأساسية التى تشكل التضامن الاجتماعى والالتزام الأخلاقى فى أى نسق اجتماعى ولهذا تبنى كولى محاولة اكتشاف كيف تكون القيم بمثابة عمليات فى تجربة التقييم للأفراد ، وكيف تحدد نظاميا فى المجتمع .

ويرى كولى أن الأفراد والجماعات يتصرفون طبقاً لميزان أو سلم القيم ، تعتمد القيم والتنظيم الاجتماعى على بعضها البعض ، والقيم بحق تعبيراً عن التنظيم الاجتماعى . وقد ذهب كولى إلى أنه : « أينما نجد نسقاً من القيم فإن هناك دائماً تنظيمًا عقلياً أو اجتماعياً ، يتناسب بطريقة ما مع النسق القيمي » فالقيم عند كولى « مطلقة نسبياً » « فالناس يفكرون فى القيم على أنها تنتمى إلى نظام مختلف كلية ، ولكن التجربة تبين أنها ليست كذلك » (Coly, 1955, P 114) .

ويعد أن أكد كولى على الجانب الاجتماعى للقيمة شرع فى بيان جانبها الفردى ، فالقيم بالنسبة له دوافع « Matives » يمكن أن نصنفها حسب دوافع الإنسان الاقتصادية والأخلاقية والجمالية وهكذا ويعد أن ادعى أن نسق القيم هو مجموعة من الأفكار العملية أو الدوافع السلوكية انتقل بعد ذلك ليعرف العملية التى من خلالها نصل إلى أن القيم واحدة فى « التنافس الاجتماعى أو العقلى ، والاختيار والتنظيم » ، وكما يبدو من خلال هذه الألفاظ فإن الوظائف العامة للقيم هى توجيه طاقات الفرد والكل الاجتماعى الذى يعمل فيه الأفراد ، ويشير كولى إلى نوعية من القيم أعنى القيم الخاصة بالطبيعة الإنسانية والقيم النظامية (Ibid, P. 117) .

ويبين لنا بارسونز فى كتابه (بناء الفعل الاجتماعى) أن التوجيه المعيارى للفعل يعمل كضابط للاختيار فى مجرى الفعل وكذلك على امتثال فعل فرد ما للأنماط المشتركة بين كل أعضاء المجتمع ، والمعبر عنها فى نسق عام للقيم - لما هو مرغوب فيه - وبكلمات أخرى فإن هذه الأنماط أو توجيهات القيمة هى نفسها موجهة بالمقاييس المعيارية للمجتمع (Parsons, 1968, P. 75) .

وفى كتابة النسق الاجتماعى لم يكن التركيز على فعل فرد ولكن على أنساق الفعل والتى يمكن أن تميزها - كما يرى بارسونز - إلى ثلاثة أنواع :

١ - أنساق الشخصية .

٢ - الأنساق الاجتماعية .

٣ - الأنساق الثقافية .

وهذه الأنساق الثلاثة بالنسبة لبارسونز لها جوانب أو وسائل هي :

١ - الإدراكي ٢ - الإنفعالي ٣ - التقييمي .

ويؤكد بارسونز على توجيهات القيمة موجودة في هذه الجوانب الثلاثة وهذه التوجيهات ليست عقوبة ولكنها تميل إلى تشكيل نسق توجيهي للقيم ، الذى يجعل الفرد يلتزم ببعض مجموعات القواعد المنظمة .

وعلى أى حال فإن بارسونز يميز بين جوانب التوجيهات القيمية فى الأنساق الثقافية وحددها بثلاث جوانب هي :

الأول : نسق الأفكار والمعتقدات (الإداراكي) .

الثانى : نسق رموز الخبرة (الإنفعالي) .

الثالث : نسق القيم (التقييمي) .

(Parsons, 1962, P. 79)

ويتناول فيبير العلاقة بين القيم والأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية بغية الكشف عن طبيعة التأثيرت التبادلية بين القيم الدينية والتنمية ، ولم يهدف فيبير إلى وضع قوانين عامة تفسر من خلالها نشأت النظام الرأسمالى الصناعى ، كما لم يتجه نحو دراسة التناقضات بين تطور القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج ، كما ذهب إلى ذلك ماركس إنما كانت القضية التى استحوذت على اهتمامه فى صياغة إطار تحليلى يستطيع من خلاله الوقوف على ماهية العلاقة بين القيم الدينية ونمو النظام الرأسمالى الحديث .

فقد انطلقت الدراسة من منظور مثالى ذهبت من خلاله إلى أن القيم والمعتقدات الدينية (القيم الدينية البروتستانتية) لعبت دورا فى نشأة ونمو الرأسمالية الحديثة باعتبار أن القيم تمثل متغيرا له إسهاماته فى تشكيل البناء كما أنها قد تكون عائقا أمام النشاطات الاقتصادية (كمال التابعى / ١٩٨٥ ، ص ٢١٢) .

ويشير فيبر إلى تأثير القيم التقليدية كمعوق لنمو الرأسمالية الحديثة ، ويخلص إلى أن القيم التقليدية التي كانت سائدة في ظل النظام الرأسمالي التقليدي ، كانت تقف عائقا أمام كل المحاولات الرأسمالية الرشيدة وهذا يعني أنه كما للقيم تأثير إيجابي كقوة معجلة للتنمية تعضد كل ما هو جديد ، فإن هناك تأثيرا سلبيا لبعض القيم التقليدية التي تقف حجرة عثرة أمام النشاطات الإبداعية والجهود الرامية إلى تحديث المجتمع ، ولقد أصاب فيبر كبد الحقيقة عندما كشف عن أهمية البعد القيمي في التنمية ، موضحا أن القيم تعد دعامة رئيسية للتنمية إلى جانب دعائم أخرى (المصدر السابق ص ٢٢٨) .

ولا شك أن فيبر اتجه إلى جوهر علم الاجتماع عن طريق اهتمامه بثلاث مسائل أساسية للقيمة وهي :

أولاً : القيمة كموضوع .

ثانياً : المنهج في دراسة القيمة .

ثالثاً : الاتجاه المثالي في دراسة القيمة .

القيمة كموضوع : وما يهمنا هنا أن مفهوم الفعل الاجتماعي عند فيبر يعني أي سلوك إنساني يعطيه الفرد معنى Meaning فالفعل بالنسبة لفيبر يختلف عن النشاط من زاوية أن الفعل يتضمن فكرة هادفة وله معنى ، والحقيقة أنه في هذه النقطة أظهر اهتماما واضحا بالقيم والمعايير ونسق المعنى Meaning system الذي يشكل الفعل الاجتماعي .

باختصار أن ما يريد فيبر أن يعبر عنه هو أنه من أجل تفسير الفعل الاجتماعي فإننا يجب أن نصل هذا الفعل بالمعنى أو النسق ، وهكذا تعتبر دراسة المعنى أو نسق القيمة جوهر علم الاجتماع .

المنهج في دراسة نسق القيم :

لاستيعاب المعنى وراء الفعل الاجتماعي قدم لنا فيبر مفهومه الشهير (الفهم) ويقصد فيبر بالفهم أنه فهم لأنساق المعاني الثقافية ، وكذلك المعاني الواقعية والمقصودة

من الفرد الفاعل فى مواقف معينة، وهذا يعنى أن الفهم ما هو إلا وسيلة للبحث السوسولوجى والذى يهدف إلى تقديم علاقة عليه بين القيم والفعل فى موقف معين ويفسر لماذا يستمر اتباع هذا النمط من الفعل على أية حال ، فقد طور فيبر طريقتين للوصول إلى هذا الفهم لمعنى الفعل الاجتماعى .

الطريقة الأولى :

وسمىها فيبر المشاركة عن طريق التقمص ويصفها فيبر بأنها " من أجل الرغبة فى التحقق التفسيرى لمعنى الظاهرة فإنه مما يساعد على ذلك إلى حد كبير أن يكون الشخص قادرا على وضع تصور يأتى مقام الفاعل وبهذا التقمص فإنه يستطيع أن يشارك فى تجربته".

الطريقة الثانية :

وهى النموذج المثالى Ideal type وما يجب أن يلاحظ هنا أن النموذج المثالى ليس هدفا للبحث الاجتماعى ولكن مجرد أداة ليس لها وجود فى حد ذاتها ، فالنموذج المثالى دائما نتيجة لتجريد الواقع إنه محاولة لمعالجة مشكلة التغير وأنساق القيم المقارنة والحق أن أعمال فيبر الإمبريقية ما هى إلا إيضاحات وتطبيقات استنتاجية للنموذج المثالى .

الاتجاه المثالى فى دراسة القيم :

ينهض هذا الاتجاه على قضية أساسية مؤداها أن القيم والمعايير والأخلاقيات هى الدعامة الرئيسية للبناء الاجتماعى ، وأن تغيير القيم والاتجاهات يعد من المتطلبات الرئيسية لخلق مجتمع حديث ويعتبر فيبر هو رائد هذا الاتجاه ، ولقد لهتم فيبر بالكشف عن القيم والاتجاهات السيكولوجية التى أدت إلى نمو النظام الرأسمالى موضحا أنها مفتاح فهم التطور الاقتصادى وليس أسلوب الإنتاج .

غير أن المتتبع لتراث علم الاجتماع بإمكانه أن يجد تباينا بين نظرياته والاتجاهات الفكرية لكل نظرية فيها ، الأمر الذى ترتب عليه تنوع فى المفاهيم التى هى فى جوهرها

تصورات للظواهر الاجتماعية ، وإذا كان هذا أمرا عاما ، وحقيقة بديهية فهو ينسحب على أى مفهوم من المفهومات ومن بينها مفهوم القيمة والقيم الاجتماعية وبالإمكان مثلا التمييز بين أكثر من محاولة فى علم الاجتماع تتناول مفهوم القيم أشرنا إليها سلفا فى التعرف على الإسهام السوسولوجى فى دراسة القيم والبناء القيمى .

وصف مجتمع الدراسة والعينة :

أولا: مصنع القاهرة (شركة مصر للأغذية بسكو مصر) =

يقع المصنع على شارعى السواح والشركات بمنطقة الأميرية وبواجهة حوالى ١٢٠ متر وعمق مجاور لجراج هيئة النقل العام من ناحية وشركة مصر للألبان من الناحية الأخرى ٢٩ ٥م وبذلك تكون مساحة الموقع الكلية حوالى ١٢٠ × ٢٩٥ = ٢٥٤٠٠ متر مربع تقريبا تعادل ٨,٤ فدان ، الموقع مجموعة من الإنشاءات يمكن حصرها فى الآتى إدارات وأقسام الإدارة العامة المركزية - صالة التشغيل اليدوى والآلى - صالة الخبز والبسكويت - صالة الويفر - قسم الكورن فليكس - الأرز القصى - صالة المعاجن - مجموعة معامل مراقبة الجودة والبحوث - وحدات التبريد - وحدات السيللوز - مخازن الخدمات الرئيسى ، مبنى مخازن الإنتاج الجاهز ، مبنى الشون المسقوفة - مبنى المحولات ومخزن قطع الغيار والورش ، ومبنى الجراج .

الطاقة الكهربائية :

يتم تغذية المصنع بالطاقة الكهربائية عن طريق الشبكة العمومية من خط تغذية يمتد من شركة ميفيس للأدوية قدرة ٣ ميجاوات (٣٠٠٠ ك وات أى ٣ مليون وات) بالإضافة إلى خط احتياطى بنفس القدرة (٣ ميجاوات) ضمنا لعدم انقطاع التيار الكهربى المغذى ، ويعتمد المصنع على غلايتين فقط .

١ - غلاية سعة ٢ طن بخار / ساعة .

٢ - غلاية سعة ٢,٢ طن بخار / ساعة .

ويستخدم البخار بصفة رئيسية فى تغطية احتياجات خط الخبز وغلاية الشيكولاته.

الطاقة الإنتاجية : تنحصر خطوط الإنتاج بالمصنع :

- (أ) خط (الويفر) إنتاج ألمانيا الغربية .
- (ب) خط (التغطيس الناعم) إنتاج فرنسى .
- (ج) خط (البسكوت الحاف) إنتاج ألمانى .
- (د) خط الكورن فليكس .
- (هـ) خط الأرز الفضى .
- (و) مجموعة المعاجن (ألمانيا) .
- (ز) مجموعة التبريد .
- (ح) مجاميع التغليف .
- (ط) مجاميع التدبيس .

الإشراف والتبعية : ولضرورة التنظيم الإدارى السليم يسير التوزيع لوحدة

الشركة على النحو الآتى :

الوحدة الأولى تضم :

- (أ) المركز الرئيسى للشركة (شركة مصر للأغذية بسكو مصر) .
- (ب) مجمع الإدارات المركزية .

المقر الرئيسى السواح منطقة الأميرية القاهرة .

الإشراف الكلى لرئيس مجلس الإدارة (المفروض العام) ورؤساء القطاعات

«الإدارات المركزية» القطاع التجارى ، الإدارى ، المالى ، الفنى ، قطاع الشئون القانونية ، الإدارة العامة للتخطيط والمتابعة ، الإدارة العامة للأمن ، والإدارة العامة لشئون مجلس الإدارة .

الوحدة الثانية : تضم مصنع القاهرة المفر الرئيسى منطقة السواح - القاهرة .

الوحدة الثالثة : تضم مصنع إيكسا (الإسكندرية) .

الوحدة الرابعة : تضم مصنع إرابسكو (الإسكندرية) .

الوحدة الخامسة : تضم مصنع السيوف (الإسكندرية) .

ثانياً: (شركة المنصورة (سبانيا للملابس الجاهزة) :

تمثل الشركة إحدى المشروعات الصناعية التى تهدف أساساً للمشاركة فى تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى إطار السياسة العامة للدولة وذلك بإقامة صناعة قوية متميزة قادرة على المساهمة فى تلبية احتياجات المواطن من الملابس الجاهزة ذات المستوى الرفيع وذلك بدلاً من الاعتماد على الإستيراد فى هذا المجال وتتجاوز أهداف الشركة ذلك إلى ضرورة الإنتاج بمستوى عالمى للتصدير هذا باعتبار أن الشركة من المشروعات التصديرية بالنقد الأجنبى وإمكان تنفيذ ذلك فكان لابد من الاستعانة بالخبرة العالمية المتخصصة سواء من حيث الإشراف والدعم الفنى الكامل للمشروع ونقل المعرفة والخبرة الفنية الرفيعة بواسطة شركات عالمية متخصصة مع أحد أكبر بيوت الخبرة الأوربية فى أسبانيا للإشراف الفنى الكامل على المشروع وإدارته من كافة الوجوه الفنية وكذا الإنتاج تحت إشرافهم وباستخدام علاماتهم التجارية .

ولقد صدر قرار وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية رقم ٣٢١ لسنة ١٩٨٥ بالترخيص بتأسيس شركة المنصورة أسبانيا ل الملابس الجاهزة (شركة مساهمة مصرية) اكتتاب عام طبقاً لأحكام القانون رقم ١٥٩ لسنة ١٩٨١ بلغ رأس المال المرخص به والمصدر ستة مليون

جنيه تم سداده بالكامل بقيمة أسمية للسهم عشرة جنيهات، ووافقت الجمعية العامة غير العادية للشركة فى ١٤-٣-١٩٩١ على ما يلى :

- ١ - زيادة رأس المال المصرح به ليصبح ١٢ مليون جنيه بدلا من ٦ مليون جنيه .
- ٢ - زيادة رأس المال المصدر ليصبح ١٠ مليون جنيه بدلا من ٦ مليون جنيه .

بيان الطاقة الإنتاجية للتشغيل (فى الوردية الواحدة) :

٦٠٠,٠٠٠ (ستمائة ألف قطعة) ملابس أطفال أسبور صيفى وشتوى أولاد من

٤ سنوات إلى سن ١٤ سنة مقسمة كالتالى :

٢٠٠,٠٠٠ سويتز	١٠٠,٠٠٠ قميص	٣٠٠,٠٠٠ بنطلون
---------------	--------------	----------------

بالإضافة ٤٠٠,٠٠٠ (أربعمائة ألف قطعة) ملابس شباب صيفى وشتوى مقسمة

كالتالى :

١٠٠,٠٠٠ سويتز	١٠٠,٠٠٠ قميص	٢٠٠,٠٠٠ بنطلون
---------------	--------------	----------------

الإجمالى ١,٠٠٠,٠٠٠ (مليون قطعة سنويا من الملابس غير التقل يديّة)

الطاقة الآلية للنشاط الإنتاجى المملوكة للشركة والمقيدة بالأصول الثابتة .

البيان	م
ماكينة خياطة ماركة فات الألمانية	١
ماكينة خياطة ماركة دير كوب الألمانية	٢
ماكينة خياطة ماركة يونيون اسبيشال الألمانية	٣
ماكينة خياطة مساعدة ماركة روان الأسبانية	٤
ماكينة خياطة مساعدة ماركة ليسور لقص الحشو	٥
ماكينة لطباعة التكت ماركة أورفاك	٦
ماكينات للقص ورفع رولات الأقمشة ماركة كليمسرا	٧
ماكينات تركيب زراير ماركة استركد الألمانية	٨
ماكينات لتجفيف ماركة رخينا	٩
ماكينات مكوى من سلك الإيطالية	١٠
ماكينات مكوى من ايبيرتسكس الأسبانية	١١
ماكينة لصق حشو من برازر اند ستريال	١٢
ماكينة فورم جيوب من تايسيسا	١٣
ماكينة قص ماركة أو تكس	١٤
ماكينات غسيل وقلب البنطلون ماركة سلسو الأسبانية	١٥
ماكينات تركيب سوست ماركة يوشيدا	١٦
مكبس تركيب زراير وكبسول معدنى	١٧
ماكينة عصر أقمشة سلك الإيطالية	١٨

ثالثاً: وصف العينة :

تم اختيار عدد ١٦٠ فرد عينة وفقاً للعينة العشوائية الطبقية حيث أن مجتمع الدراسة (مصنع القاهرة بسكو مصر) مقسم إلى قطاعات كما تشير الخرائط التنظيمية ومن واقع كروت التوقيع (الساعة الميقاتية) داخل المصنع .

القطاع التجارى ٢٥ مفرده عينه القطاع المالى ٣٠ مفرده عينه

القطاع الإدارى ٢٥ مفرده عينه القطاع الإنتاجى ٨٠ مفرده عينه

ويبلغ مجتمع الدراسة ١٨٦٢ باستبعاد العمالة المؤقتة والإجازات بدون مرتب وغير الحاصلين على مؤهل دراسى (يقرأ ويكتب) يبلغ (١٦٠٠) وتم اختيار ١٠٪ (١٦٠) مفرده عينه وفقاً لإمكانيات الباحث .

وعلى مستوى شركة المنصورة أسبانيا للملابس الجاهزة لقد تم تقسيم المصنع إلى قطاعين القطاع الأول ذات الطابع الإنتاجى ٨٠ مفرده عينه، القطاع الثانى ذات الطابع الإدارى ٩٥ مفرده عينه بإجمالى ١٧٥ مفرده عينه ، ٥٠٪ من مجموع مجتمع الدراسة البالغ ٣٥٠ مفرده يصبح إجمالى العينة للعمال المشتغلين (١٦٠ + ١٧٥) = ٣٣٥ مفرده عينه .

جدول رقم ١٠، يوضح توزيع أفراد العينة حسب هئات السن

شركة المنصورة أسبانيا		شركة المنصورة للأغذية بسكو مصر مصنع القاهرة						شركة المنصورة للأغذية بسكو مصر مصنع القاهرة	
العمال المشغلين		العمال المشغلين						العمال المشغلين	
الإداري	الإنتاجي	إداري	مالي	تجاري	إنتاجي	إنتاجي	إنتاجي	إنتاجي	
/	/	/	/	/	/	/	/	/	
-	١٠,٥٣	١٠	-	-	-	-	-	-	
٧٠	٦٨,٤١	٦٥	٩	٢١,٦٧	٨	٤٠	١٠	٣٨,٧٥	
٢٥	١٠,٥٣	١٠	٦	٣٠,٠٠٠	٩	٢٤	٦	٢٣,٧٥	
٥	١٠,٥٣	١٠	٦	٢١,٦٧	٨	٢٤	٦	٢٣,٧٥	
-	-	-	٤	١٦,٦٦	٥	١٢	٣	١٣,٧٥	
١٠	٨٠	١٠	٩٥	١٠	٢٥	١٠٠	٣٠	١٠	٨٠

اختبار حروف T	درجة الحرية	الاتجاهات المعيارى	التوسط الحسابى	البيان
بسكو مصر X المنصورة أسبانيا	بسكو مصر X المنصورة أسبانيا	المنصورة أسبانيا	بسكو مصر	المنصورة أسبانيا
١٠,٠٠٠٥ -	٢٢٣٠	٠,٦٢٤٨	١,٠٧٨٦	٢,٠٢٤٠
				٣,١٩٤

جدول رقم ٢٠٠ يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة التعليمية

شركة المنصورة أسبانيا		شركة المنصورة للاغذية بسكو مصر		شركة المنصورة للآغذية بسكو مصر مصنع القاهرة		شركة المنصورة للاغذية بسكو مصر مصنع القاهرة		شركة المنصورة للاغذية بسكو مصر مصنع القاهرة		شركة المنصورة للاغذية بسكو مصر مصنع القاهرة		شركة المنصورة للاغذية بسكو مصر مصنع القاهرة		شركة المنصورة للاغذية بسكو مصر مصنع القاهرة		شركة المنصورة للاغذية بسكو مصر مصنع القاهرة		شركة المنصورة للاغذية بسكو مصر مصنع القاهرة		شركة المنصورة للاغذية بسكو مصر مصنع القاهرة			
العمال المشتغلين				العمال المشتغلين				العمال المشتغلين				العمال المشتغلين				العمال المشتغلين				العمال المشتغلين			
الإدارى	الإنتاجى	إدارى	مالى	تجارى	إنتاجى	إدارى	مالى	تجارى	إنتاجى	إدارى	مالى	تجارى	إنتاجى	إدارى	مالى	تجارى	إنتاجى	إدارى	مالى	تجارى	إنتاجى		
٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪		
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-		
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-		
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-		
-	٨,٤	٨	-	-	-	-	-	-	٣٢,٥	٢٦	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-		
٢٥	٦٤,٢١	٦١	٦٥	٥٦,٦٧	١٧	٦٤	١٦	٣٨,٧٥	٣١	٢٥	٢٥	١٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠		
٧٥	٢٧,٣٧	٢٦	٤٠	٤٣,٣٣	١٣	٣٦	٩	٧٨,٧٥	٢٣	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥		
١٠٠	١٠٠	٩٥	١٠٠	١٠٠	٣٠	١٠٠	٢٥	١٠	٨٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠		

اختيار حرف T		درجة الحرية		الانحراف المعياري		المتوسط الحسابى		البيان	
عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة أسبانيا	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر
٤,١٦٥	٢٣٣	٥٤٤١	٦٩٠,٢	٤,٤٦٣	٤,١٨١				

وتتناسب النتائج على مستوى العمال المشتغلين مع طبيعة العمل حيث قسمت العينة لأربعة قطاعات « الإنتاجى - تجارى - إدارى مالى » ويمثل المؤهال المتوسط شرط أساسى لشغل وظيفة فى القطار « التجارى - المالى - الإدارى » أما القطار الإنتاجى المؤهال المتوسط يمثل أعلى نسبة من العاملين فى هذا القطار الإنتاجى المؤهال المتوسط يمثل أعلى نسبة من العاملين فى هذا القطار إلا أن هناك نسبة من حاملى شهادات أقل من المتوسط « إبتدائى - إعدادى » .

أما نموذج القطار الخاص « المنصورة أسبانيا » يتضح من بيان العاملين أن جميع العمال المشتغلين فى القطار الإنتاجى أو الفنى من حاملى مؤهال « الشهادات المتوسطة » أما القطار الردارى فهناك موظفين من حاملى الشهادات المتوسطة والشهادة الجامعية أيضا .

جدول رقم ٣، يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية

شركة المنصورة أسبانيا		شركة المنصورة للأغذية بسكو مصر مصنع القاهرة						البيان			
العمال المشتغلين		العمال المشتغلين									
الإدارى	الإنتاجى	إدارى	مالى	تجارى	إنتاجى						
%	%	%	%	%	%						
٤٠	٣٢	٣٦	٣٠	٩	٤٠	١٠	٣٣,٧٥	٧٧			
٥٥	٤٤	٤٤	٢٦,٣٢	٦٤	١٦	٧٠	٢١	٦٠	١٥	٢٦,٢٥	٥٣
٥	٤	٤	-	-	-	-	-	-	-	-	-
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١٠٠	٨٠	٨٠	١٠٠	١٠٠	٢٥	١٠٠	٣٠	١٠٠	٢٥	١٠٠	٨٠
										الإجمالى	

اختيار حرف T		درجة الطرية		الانحراف المعيارى		التوسط الحسابى		البيان	
عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة أسبانيا	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر	عمال بسكو مصر	السنن
٤,٢٨٦٠	٣٣٣	٥٣٩٠	٤٧٦٥	١,٤١٧	١,٦٥٦				

تناسب النتائج مع الحالة التعليمية « شهادة متوسطة » والفترة العمرية « ٢٠ سنة إلى ٣٠ سنة » والزواج المبكر فى المناطق الشعبية « الأميرة » وكذلك انتشار الزواج المبكر فى المناطق الريفية لقرى « شركة المنصورة الخاص » « من قرى محافظة الدقهلية ».

جدول رقم ٤٠، يوضح توزيع أفراد العينة حسب مهنة الخدمة

شركة المنصورة أسبانيا		شركة المنصورة للأغذية بسكو مصر		شركة المنصورة للقاهرة		شركة المنصورة للأغذية بسكو مصر		شركة المنصورة للقاهرة		شركة المنصورة للأغذية بسكو مصر		شركة المنصورة للقاهرة			
العمال المشغلين				العمال المشغلين				العمال المشغلين				العمال المشغلين			
الإدارى		الإنتاجى		إدارى		مالى		تجارى		إنتاجى		الإجمالى			
%		%		%		%		%		%		%			
٥٠	٤٠	٨٠	٧٦	١٠	٣	١٦	٤	-	٥	٤	٥	٤	أقل من ٥ سنوات		
٢٥	٢٨	٢٠	١٩	٢٠	٦	٢٠	٥	٤٠	١٠	٣٣,٧٥	٢٧	٢٧	من ٥ إلى ١٠ سنوات		
٥	٤	-	-	٢٠	٦	٢٠	٥	١٦	٤	٣٣,٧٥	١٩	١٩	من ١١ إلى ١٥ سنوات		
١٠	٨	-	-	١٦,٦٧	٥	٨	٢	٢٠	٥	٥	٤	٤	من ١٦ إلى ٢٠ سنوات		
-	-	-	-	٢٦,٦٦	٨	٢٨	٧	٢٤	٦	٢٨,٧٥	٢٣	٢٣	من ٢١ إلى ٢٥ سنوات		
-	-	-	-	٦,٦٧	٢	٨	٢	-	-	٣,٧٥	٣	٣	من ٢٥ سنة فأكثر		
١٠٠	٨٠	١٠٠	٩٥	-	-	١٠٠	٢٥	١٠٠	٢٥	١٠	٨٠	٨٠	الإجمالى		
اختيار حرف T		درجة الخبرة		الانحراف المعياري		التوسط الحسابى		البيان							
عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة أسبانيا	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر	عمال أسبانيا	عمال المنصورة أسبانيا	عمال أسبانيا	عمال المنصورة أسبانيا						
١٥,٤٥٦ -	٣٣٣	٣٣٣	٧٥٢٦	٧٥٢٦	١,٤٢٤٧	١,٤١٧	٣,٣١٩	٣,٣١٩							

جدول رقم ٥٥، يوضح توزيع أفراد العينة حسب الدخل الشهري

شركة المنصورة آسيابيا		شركة المنصورة للأغذية بسكو مصر مصنع القاهرة						البيان
العمال المتعلمين		العمال المتعلمين						
الإداري	الإنتاجي	إداري	صالي	تجارى	إنتاجي			
%	%	%	%	%	%	%		
-	-	-	-	-	-	٥	٤	
٢٠	١٦	٥٦,٨٤	٥٤	٢٦,٦٦	٨	٣٦	٢٧	
٤٥	٣٦	١٢,٦٣	١٢	٣٠	٩	٤٠	٧	
٢٥	٢٠	٨,٤٢	٨	٦,٩٧	٢	٨	١٦	
-	-	١٥,٧٩	١٥	٣٠	٩	٢٤	١٥	
١٠	٨	٦,٣٢	٦	٦,٩٧	٢	٨	١١	
١٠٠	٨٠	١٠٠	٩٥	١٠٠	٣٠	١٠٠	٨٠	
اختيار حرف T		درجة الخبرة		الانحراف المعياري		التوسط الحسابي		البيان
عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة آسيابيا	عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة آسيابيا	عمال المنصورة آسيابيا	عمال بسكو مصر	عمال المنصورة آسيابيا	عمال بسكو مصر	السن
٢,٧١٦	٢٣٣	١,٢١٠,٣	١,٤٤٩١	٣,٠٨٠	٣,٤٧٥			

جدول رقم ٢١، يوضح توزيع أفراد العينة حسب نوع العمل

شركة المنصورة أسبانيا		شركة المنصورة للأغذية بسكو مصر مصنع القاهرة						البيان
العمال المتعلمين		العمال المتعلمين						
الإداري	الإنتاجي	إداري	مالي	تجاري	إنتاجي			
%	%	%	%	%	%	%		
-	-	-	-	-	-	٨٠	فنية	
٢٥	-	-	-	-	-	-	مهارات	
٢٠	-	-	-	١٠٠	٢٥	-	تجريبية	
٥٥	-	١٠٠	٢٥	-	-	-	إدارية	
١٠٠	٨٠	١٠٠	٢٥	٣٠	١٠٠	٨٠	الإجمالي	

اختيار حرف T		درجة الخبرة		الانحراف المعياري		المتوسط الحسابي		البيان
عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر X	عمال المنصورة أسبانيا	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر	عمال المنصورة أسبانيا	عمال بسكو مصر	السن
٦٢٢	٢٢٣	١,٢٨٢٣	١,١٣٥	٢,٠٥١	١,٩٦٩			

جدول رقم ٧، يوضح توزيع أفراد العينة حسب المركز الذي يشغله في الشركة

شركة المنصورة أسبانيا		شركة المنصورة للأغذية بسكو مصر مصنع القاهرة						البيان			
العمال المنتظمين		العمال المنتظمين									
الإدارى	الإنتاجى	إدارى	مالى	تجارى	إنتاجى						
%	%	%	%	%	%						
-	-	٥٦	١٤	٦٠	١٨	٤٨	١٢	٣٩٠,٢٥	٢٩	رئيس القسم مشرف « رئيس عممال » ملاحظ و خطط و خطابات عممال أو فنى أعمال كتابية « إدارى » خدمات و معاملات الإجمالى	
-	٣٠,٥٣	٢٩	-	-	-	-	-	١٧٠,٥	١٤		
-	١٧,٨٩	١٧	-	-	-	-	-	٨,٧٥	٧		
-	٥١,٥٨	٤٩	-	-	-	-	-	٣٧,٥	٣٠		
٨٠	-	٤٤	١١	٤٠	١٢	٥٢	١٣	-	-		
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-		
٨٠	١٠٠	٩٥	١٠٠	٢٥	١٠٠	٣٠	١٠٠	٢٥	١٠٠		٨٠
اختيار حرف T		درجة الخبرة		الانحراف المعيارى			المتوسط الحسابى		البيان		
عمال بسكو مصر X	عمال بسكو مصر X	عمال	عمال المنصورة أسبانيا	عمال	عمال بسكو مصر	عمال المنصورة أسبانيا	عمال	عمال بسكو مصر	السن		
٨,٧٤٥	٣٣٣	١,١٠٨٥	١,٦٧٥٥	٤,٠٣٤	٢,٦٨٧						

نتائج البحث :

أولاً : قيمة الحرية في مجتمع المصنع تجاه ظروف العمل ومشكلات العمل والتنظيمات
النقابية :

حاولت الدراسة التعرف على مدى الحرية المتاحة داخل التنظيم ورؤية العمال
المشتغلين لمضمون هذه الحرية ومفهومهم لها واتجاهاتهم تجاه هذه القيمة داخل التنظيم وقد
صاغ الباحث مجموعة من الأسئلة ليهبط بهذه القيمة إلى الواقع المعاش داخل التنظيم
الصناعي :

١ - في رأيك إدارة الشركة علشان تضبط عملية الإنتاج والشغل في الأقسام والإدارات
لازم نعمل إيه ؟

٢ - إذا كان الشغل بتنظمه اللوائح رأيك إيه بالنسبة ليها ؟

٣ - في رأيك علشان تحقق الشركة زيادة في الإنتاج توزع المسئولية على مين ؟

٤ - في رأيك عملية توزيع المسئوليات دية ممكن تساعدك وفي أي ناحية من النواحي ؟

٥ - في رأيك الشكاوى اللي بتقدم لإدارة الشركة بتكون دايماً بسبب إيه ؟

٦ - يا ترى الشكاوى دية بتقدم لمين ؟

٧ - إيه الحاجات اللي ممكن تكون سبب في المشاكل الشخصية للعاملين في الشركة ؟

٨ - في رأيك إيه هي الموضوعات المهمة اللي لازم يهتم بيها أعضاء مجلس الإدارة
المنتخبين في مجلس الإدارة ؟

٩ - في رأيك ليه أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين بعض العمال غير راضين عنهم ؟

١٠ - في رأيك إيه الحاجات اللي ممكن تساعد اللجنة النقابية في تحقيق دورها في
الشركة ؟

١١ - في رأيك إيه الحاجات اللي بتخلي اللجنة النقابية في الشركة ضعيفة أمام الإدارة
العليا في الشركة ؟

١٢ - في رأيك إيه النواحي اللي ممكن يتعاون فيها أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين مع
اللجنة النقابية ؟

وقد أسفرت الدراسة إلى النتائج الآتية تجاه هذا المحور « قيمة الحرية داخل مجتمع

المصنع » :

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>١ - ترتبط القواعد التنظيمية بتغطيتها لخطوات العمل لارتباطها بالإنتاجية ومعدلات الإنتاج التي على أساسها يتم تحديد الأجر والحوافز والمكافآت فأى غموض فى القواعد أو قصور فى أى جانب من جوانبها يؤثر على استيعاب العمال لهذه اللوائح التنظيمية يؤدي إلى عدم الفهم مما يؤثر على معدلات الأداء الفردى ويؤثر على تحقيق الأهداف المرجوة وهنا تظهر مدى الحرية المتاحة داخل التنظيم فى تعديل هذا القواعد بشكل قوى .</p>	<p>١ - يربط للوصول لأعلى معدل إنتاجى ضرورة وجود انسجام بين المستويات التنظيمية وحتمية تفويض السلطات للإدارة الإشرافية لضبط العملية الإنتاجية وإعطاء حرية اتخاذ القرار وتجسيد مبدأ تقييم الأداء فليس الجميع سواء فى الحوافز سواء كانت مادية أو معنوية .</p>
<p>٢ - ارتبطت القواعد التنظيمية من وجهة نظر العامل بمدى تغطيتها لخطوات العملية الإنتاجية ومدى تناسبها مع المستوى التعليمى والسن ونوع العمل وضرورة تفويض السلطات للرؤساء المباشرين لهم وإعطائهم الحرية فى حل مشكلات العمل من خلال هذه القواعد ولا تكون قيوداً تحد من حريتهم وتكبلهم .</p>	<p>٢ - ارتبطت عملية توزيع الاختصاصات برؤساء الأقسام أو الملاحظين والمشرفين على وجه التحديد فى القطاعات الإنتاجية كمصدر للخبرة والتعلم واحتكاكهم المباشر بظروف العمل ومشكلاته وتفسير الأوامر والتعليمات الصادرة من الإدارة العليا فأى اختصاصات لابد أن تقابلها سلطة تفويض لصاحب هذا الاختصاص (السلطة الإشرافية) .</p>
<p>٣ - ارتبطت عملية توزيع الاختصاصات بالطبقة الإشرافية مديرى الإدارات ورؤساء الأقسام كرؤساء مباشرين ومدى الحرية المتاحة لهم فى اتخاذ القرار وأثر ذلك على هيبة الرئيس المباشر.</p>	<p>٣ - ارتبطت عملية توزيع الاختصاصات برؤساء الأقسام كرؤساء مباشرين ومدى الحرية المتاحة لهم فى اتخاذ القرار وأثر ذلك على هيبة الرئيس المباشر.</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش يسكو مصر »
<p>٣ - ارتبطت نوعية الشكاوى فى نموذج القطاع الخاص بنمطين الأول الشكوى من تدخل الرؤساء فى شغل بعضهم البعض ويرجع ذلك لمدى الترابط بين خطوات العملية الإنتاجية واعتمادها على بعضها (إدارة الإنتاج، إدارة الجودة، والإدارة الهندسية) والثانى المطالب الشخصية للعمال (توزيع الحوافز والمكافآت).</p>	<p>٤ - تمثل الشكوى من ظروف العمل والمطالب الشخصية أعلى نسبة على مستوى العمال المشتغلين كمظهر من مظاهر الحرية و تؤكد النتائج أن المطالب الشخصية لا تقل أهمية عن ظروف العمل ومشكلاته وإهمال أى جانب يؤثر على إنتاجية العمال وانتمائهم للتنظيم ويمكن أن يشكل مصدر من مصادر الصراع داخل التنظيم .</p>
<p>٤ - يرجع عدم وجود العلاقات الإنسانية أن نموذج القطاع الخاص تحكمه المنافسة والريحية والجودة والجدية فى علاقات العمل وهذا يؤدي إلى تدنى الجانب الإنسانى فالأجر المرتفع لا بد أن تقابله إنتاجية مضاعفة .</p>	<p>٥ - تعكس أنماط الشكاوى الأسباب التى وراء المشكلات الشخصية فتأخر الترقية وعملية توزى ع الحوافز والمكافآت على العاملين تندرج تحت المطالب الشخصية ، وأما عدم وجود علاقات إنسانية بين الرؤساء والمرؤوسين تمثل جانباً من ظروف العمل ومشكلاته والحرية المتاحة للمستويات التنظيمية والتعبير عنها.</p>

تابع قيمة الحرية داخل مجتمع المصنع

التنظيمات النيابية داخل التنظيم

نموذج قطاع الأعمال (بسكو مصر) :

٦ - ارتفاع قيمة التعليم والثقافة كصفات يجب توافرها فى عضو مجلس الإدارة المنتخب واللجنة النقابية وافتقاده هذه الصفة يشكل فجوة بين الأعضاء المنتخبين والأعضاء المعينين لتتناسب مع المتغيرات الجديدة التى طرأت على قطاع الأعمال والاتجاه نحو التخصصية .

٧ - تعكس أهم الموضوعات التى يجب على أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين الاهتمام بها من وجهة نظر العمال وارتباط هذه الموضوعات بطبيعة وظروف العمل ونوعيته فالقطاع الإنتاجى ارتبط بمشاكل العمال وظروفهم حيث يعتبرون أنفسهم العمال الحقيقيين أما القطاعات الإدارية والتجارية ارتبطت بالموضوعات بعملية توزيع الحوافز والمكافآت والرغبة فى المساواة بالقطاع الإنتاجى حيث يحصلون على ٧٠ ٪ فقط وهذا يرجع للأهمية التى يخلعها التنظيم على القطاع الإنتاجى ولهذا يعطى هذا القطاع المشاركة فى اتخاذ القرارات فى الشركة الخاصة بالعملية الإنتاجية أهمية لا تقل عن أهمية الحوافز وأن تتيح لهم الإدارة العليا مساحة لإبداء الرأى والشكوى .

٨ - وتعكس النتائج أن الأسباب وراء عدم فاعلية أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين، فحرص الأعضاء المنتخبين من الاستفادة من الفترة الانتخابية للحصول على الترقية أو شغل وظيفة أفضل مما هو يشغلها ، التقرب والارتباط بأحد الأعضاء المعينين للحصول على المكاسب المادية من الحوافز والمكافآت والبدلات وهنا يغلب المصالح الشخصية على المصالح العمالية أو على الأقل تسير جنباً إلى جنب ولتغطية هذا الموقف أمام العمال المشتغلين نجد كثير من الأعضاء المنتخبين يرتبطون بأعمال

إدارية خالصة ليضيفوا صفة المشاركة فى إدارة الشركة والمشاركة فى اتخاذ القرار أمام العمال المشتغلين لتغطية مصالحهم الشخصية التى تهدف توثيق الصلة بينهم وبين أعضاء مجلس الإدارة المعينين .

٩ - يمثل العمال المستفيد الأول والأخير من اللجنة النقابية كممثلين لهم ومصالحهم وتعكس آراء العمال المحك الأساسى لنجاح هذا التنظيم حيث عكست النتائج أن دور النقابة أصبح اجتماعياً أكثر منه تنظيمياً سياسياً يتمتع بسلطة مستمدة من تمثيله للعمال وما يتمتعون به من أغلبية عددية ودورهم البارز فى العملية الإنتاجية لاحتكاكهم المباشر بخطوط الإنتاج .

١٠ - تشير النتائج رؤية العمال المشتغلين فى تأثير اللجنة النقابية السلبى داخل التنظيم لانصراف اللجنة النقابية تجاه النقابة العامة والاتحاد العام لتعزيز موقفها أمام سلطة الإدارة العليا ورغبة التنظيم النقابى فى كسب ثقة الإدارة العليا للمحافظة على المكاسب التى يحصل عليها أعضاء اللجنة النقابية مثل الترقية على أساس الاختيار وليس الأقدمية أو وظيفة ذات اختصاصات أكبر من الوظيفة الحالية التى كان يشغلها قبل انتخابه كعضو اللجنة النقابية هذا بالإضافة للحوافز والمكافآت والبدلات .

قيمة الحراك الاجتماعى داخل مجتمع المصنع :

ولقد صاغ الباحث عدد من الأسئلة فى محاولة للتعرف على رؤية العمال المشتغلين داخل قطاع الأعمال (شركة بسكو مصر) ونموذج القطاع الخاص (شركة المنصورة أسبانيا).

- ١ - فى رأيك على أساس إيه يتم الترقية لوظيفة أعلى فى الشركة .
- ٢ - فى رأيك علشان الواحد يحقق أعلى إنتاجية فى الشركة محتاج إيه .
- ٣ - فى رأيك علشان إدارة الشركة تقدر تحقق إنتاج كبير لازم تعمل إيه .

- ٤ - فى رأيك إيه الحاجة اللى الشركة بتهتم بيها أكثر .
 - ٥ - فى رأيك إيه الموضوعات اللى يهتم بيها الواحد اللى بيشتغل فى الشركة .
 - ٦ - فى رأيك منزلة الواحد فى الشركة بتكون على أساس إيه .
 - ٧ - فى رأيك إيه الحاجات اللى بترفع من قيمة الواحد فى نظر زملاؤه فى الشركة .
 - ٨ - فى رأيك علشان الإدارة فى الشركة تكون ناجحة لازم تعمل إيه ؟
- وقد أسفرت الدراسة إلى النتائج الآتية تجاه هذا المحور (الحراك الاجتماعى داخل مجتمع المصنع) .

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>١- ارتبطت الترقية بالأقدمية والكفاءة والإنجاز وأكدت النتائج أن الأقدمية تعنى مدة الخدمة أو الخبرة المكتسبة فى القطاع العام حيث يمثل المصنع مركز جذب للملا حظين والمشرفين ورؤساء الأقسام من شركات القطاع العام (شركة الدقهلية للغزل والنسيج وشركة دمياط للغزل والنسيج) إلا أن الكفاءة والإنجاز تمثل العامل الأساسى فى الاستمرارية داخل التنظيم أما الترقى فالهيكل الوظيفى لا يسمح بذلك لمحدوده العدد.</p>	<p>١ - ارتبطت الترقية بالأقدمية والتقرير السنوى حيث يشترط للترقية الحصول على تقريران ممتاز السنيتين الأخيرتين على الترقية وارتفاع نسبة الأقدمية بالنسبة للوظائف العمالية والدرجات العمالية (الرابعة - الثالثة - الثانية - الأولى) .</p>
<p>٢ - ترتبط الإنتاجية على مستوى القطاع الخاص بالخبرة وتقسيم العمل ومتابعة الإنجاز (معدلات الإنتاج) والتدريب المستمر وتوفير الرعاية الاجتماعية والصحية وتوجيه الرئيس للمرؤوسين عند حدوث خطأ شائع ومعايشته لمشاكل العمل وهذه الأشياء مرتبطة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالجانب المادى الذى يتمثل فى الأجر المرتفع إذا ما قورن بقطاع الأعمال .</p>	<p>٢- يتضح من النتائج أن الإنتاجية ارتبطت بالجانب المعنوى وأثره على العاملين فمثلا مراعاة الظروف الشخصية والحالة النفسية ، والعلاقات الإنسانية ، وروح الأسرة والشعور بالانتماء ، أما الجانب المادى فهو مقيد باللوائح والقوانين المنظمة لقطاع الأعمال بأكمله وتعديلها يخرج عن سلطة مجلس الإدارة وحتى الحوافز لا يمكن فتحها على الإطلاق فهذه ترتبط بينود الميزانية .</p> <p>٣ - يلاحظ من النتائج أن اتساع نطاق الإشراف من وجهة نظر العمال المشتغلين ارتبطت بالسلمات الشخصية لأصحاب الإدارة العليا وليس للظروف التنظيمية أو لترايط خطوات العملية الإنتاجية واعتمادها على بعضها البعض</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>٣ - ارتبطت عملية نطاق الإشراف من وجهة نظر عمال الإنتاج بالسماوات الشخصية للإدارة العليا وأن يكون صاحب الرأى الأول والأخير وأن يكون فى الصورة وأن يعرف كل كبيرة وصغيرة ، أما القطاع الإدارى ارتبط نطاق الإشراف بعامل اجتماعى، وهو الرغبة من قبل مديرى الإدارات فى الظهور أمام زملاء وأنهم أصحاب مشورة وأهل ثقة وأن طبيعة عملهم ذو أهمية هذا من ناحية وضرورة التنسيق بين الوظائف المختلفة لارتباط القرار بقواعد تنظيمية تفرض الرجوع للرئيس الأعلى من ناحية أخرى .</p>	<p>أو لطبى عة المركز الذى يشغلونه ، وإنما لسلوك المسئولين وأن يكون صاحب الرأى الأول والأخير وأن يعرف كل صغيرة وكبيرة .</p> <p>٤ - نتيجة لتوحد الظروف التى يمر بها التنظيم والمنافسة الشديدة من قبل القطاع الخاص والاتجاه نحو التخصص أوجدت نوع من التوحد بين مصالح الإدارة العليا وال إدارة الإشرافية والعمال المشتغلين على الرغم من التباين الواضح من حيث المركز الذى يشغلونه والسلطات المتاحة ومدة الخدمة والحالة التعليمية ونوع العمل والدخل الشهرى .</p>
<p>٤ - تمثل عملية التحفيز للعمال فى القطاع الخاص عاملا هاما فى تحقيق أعلى إنتاجية من خلال ربطها بالإنتاج ووضع نظام للحوافز يميز العمال من حيث الإنتاجية وهذا يتوافق مع طبيعة القطاع الخاص حيث يسعى للحصول على أفضل العناصر داخل سوق العمل وعدم تحميل المشروع بأى عمالة زائدة أو ذات مهارات منخفضة ولا سيما أن نموذج الدراسة يعتمد على العقود المؤقتة تجدد كل ستة</p>	<p>٥ - تشير استجابات العمال حول الجوانب التى تهتم بها الشركة لنقطتين تقسيم العمل ووضوح القواعد الأولى ترتبط بضبط العملية الإنتاجية و لضبط الموقف فى إطار عملية الإنتاج الصناعى يؤسس نظام تقسيم العمل الآليات اللازمة لضبط العملية الإنتاجية قائم على اعتماد خطوات العملية الإنتاجية بعضها على البعض ، أما النقطة الثانية ضرورة وضوح القواعد وتبلورها وصياغتها صياغة دقيقة</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>أشهر وهذا يتوقف على كمية الطلب على السلعة المنتجة فكلما زادت هذه الكمية زاد الطلب على العمالة .</p>	<p>بحيث تستطيع مواجهة الأغراض التي أنشئت من أجلها ومن الطبيعي أن يفرض ذلك على التنظيم مطلباً يتعين عليه مواجهته وهو ضمان وضوح القواعد لدى الأفراد حتى يطمئن إلى أن هؤلاء الأفراد قد استوعبوا .</p>
<p>٥ - تماثل استجابات العمال حول الجوانب التي تهتم بها الشركة من وجهة نظر العمال (شركة المنصورة أسبانيا) وعمال بسكو مصر وهذا يرجع لتوحد فئة العمال المشتغلين من حيث السن ، ونوع العمل ، والمؤهل الدراسي ، والمستوى الاجتماعي الاقتصادي ، والمركز الذي يشغلونه والدخل .</p>	<p>٦ - تشير النتائج لأهم الموضوعات التي يهتم بها الفرد أولاً المستقبل المهني للفرد داخل التنظيم وقضية الحراك الاجتماعي داخل التنظيم وصعوده لوظيفة أعلى يتمتع الفرد من خلالها باختصاصات وسلطات أكبر وما يرتبط بهذا المركز من مكانة اجتماعية وهذا يمثل الجانب المعنوي وهناك الجانب المادي الحقوق المادية (الأجر والحوافز والمكافآت) .</p>
<p>أما على مستوى القطاع الخاص يمثل الجانب المادي أولوية بالنسبة للعمال المشتغلين من الأجر والحوافز ويتميز العمال المشتغلين بأنهم حاملو المؤهلات المتوسطة ومن فئة الشباب ويسعون للاعتماد على أنف سهم في بناء حياتهم الخاصة (الزواج) ولهذا يشكل الجانب المادي الأهمية القصوى بالنسبة للأفراد ويرتبط الجانب المعنوي للعمال المشتغلين بأن يكون ذو منزلة بين زملائه وهذا نتيجة لطبيعة المنافسة بين الأفراد لارتباط الأجر بالإنتاج</p>	<p>٧ - تتحقق مكانة الفرد داخل التنظيم من وجهة نظر عمال (بسكو مصر) من خلال مدى ثقل الوظيفة التي يشغلها الفرد داخل التنظيم بالمقارنة بالوظائف الأخرى والعائد المادي الذي يحصل عليه من حوافز ومكافآت ولقد أشرنا في موضع سابق أن نوعية العمال (عمال الخدمات المعاونة والحرفيين والعمال الفنيين) مؤهل</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>ومحاولة تعلم مهن التفصيل وإتقانها الاستفادة منها فى ممارسة مهنة التفصيل لحسابه الخاص ولا سيما معظمهم من حاملى الثانوية التجارية والصناعية وتم تدريبه على مستوى عالى واستطاعوا اكتساب خبرة لم تكن تتاح لهم ولا تمثل الوظيفة الحكومية أملا بالنسبة لهم .</p>	<p>متوسط وأقل من المتوسط، هذه النوعية تمثل المستوى الوظيفى الثانى- الدرجة الثانية - بالنسبة لهم نهاية مطاف للترقية هذا يمثل جانبا هاما بالنسبة للعمال المشتغلين ورغبة منهم فى فتح الطريق للترقى أمامهم ولكن طبيعة الهيكل الوظيفى والتنظيم الوظيفى الذى يحدد شروط معينة لشغل وظائف قيادية لا تتوافر فى فئة العمال المشتغلين ويلى هذا الجانب أهمية بالنسبة للعمال المشتغلين الحصول على الحوافز والمكافآت (الجانب المادى) .</p>
<p>٧ - تمثل العلاقات الشخصية (قريب جدا من الناس الكبار أو المسئولين) - (لأنه محبوب وعلاقته كويسه بالآخرين) بين العاملين العامل الأساسى الغالب فى شغل مكانة متميزة بين زملاء ويرجع ذلك أن العاملين يعيشون فى مناطق ريفية تعتمد على العلاقات الأولية أو علاقة الوجه بالوجه على الرغم من ارتباطهم بتنظيم صناعى وتقسيم عمل ومنافسة وعلاقات إنتاجية إلا أننا لا يمكن أن نتجاهل تأثير البيئة الريفية وأثرها على تشكيل علاقات الأفراد والتنظيم الغير رسمى الذى يشكل سلم القيم لدى الأفراد التى يتحدد على أساسها سلوكياتهم مثل التعاون فى العمل وعلاقته الطيبة بزملائه .</p>	<p>٨ - تشير النتائج أن الأسباب التى تجعل للفرد قيمة واحترام بين زملائه قد ارتبطت تلك الأسباب بالجانب الأخلاقى إلا أن هناك نقطة لا يمكن تجاهلها (التجسس) على الزملاء والدوافع وراء ذلك يمكن أن يكون بسبب الرغبة فى التقرب من الرؤساء أو لاتساع نطاق الإشراف على مستوى مديرى الإدارات أو لارتباط الترقية بالتقرير السنوى أو لارتباط عملية توزيع الحوافز على الرئيس المباشر .</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>٨ - تشير النتائج أن الأسباب التي تجعل للفرد قيمة واحترام بين زملائه على مستوى العمال المشتغلين من حيث السن ومدة الخدمة (الخبرة) والمؤهل الدراسي والمركز الذي يشغله ونوع العمل والمستوى الاجتماعي والاقتصادي (الدخل الشهري) وترجع هذه الأسباب لطبيعة القطاع الخاص الاستثماري والرغبة في الوصول لأعلى ربحية والاستغلال الأمثل للعمالة أو الطاقة العاملة وعدم تحميل المشروع بأى عمالة زائدة ليس في حاجة لها وهذا يفرض التعاون وتكوين علاقات طيبة مع الزملاء لمواجهة قسوة النظام الاستثماري على مستوى العمال المشتغلين .</p>	<p>٩ - يرتبط نجاح الإدارة بثلاث عوامل : التوازن بين الحقوق والواجبات ، وجود نظام حوافز ومكافآت يكون دافع على تحفيز الأفراد وليس زيادة في الدخل، وأخيرا العلاقات الإنسانية بين العاملين وسهولة الاتصال بين العمال المشتغلين والإدارة تعنى من وجهة نظر العمال (الإدارة العليا والإدارة الوسطى) وترتبط العلاقات الإنسانية بالإدارة الإشرافية بحكم المتابعة اليومية وكروساء مباشرين ومصدر للخبرة وحلقة الوصل بين العمال والإدارة العليا وعلى الإدارة أن تصيغ أهداف تتناسب مع الإمكانيات المتاحة ولكن عليها أن تصيغ الأهداف بشكل واضح وأن تتأكد أن الأفراد قد استوعبوا هذه الأهداف وهنا يمكن للإدارة أن تحاسب العمال حينما تنجح في تحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات وهنا يظهر أهمية الجانب المادي للأفراد والحوافز والمكافآت على ما يقوموا به كشواب للمجد وليس زيادة في الدخل .</p>
<p>٩ - يرتبط نجاح الإدارة من وجهة نظر العمال المشتغلين (المنصورة أسبانيا) ترتبط بتوزيع الاختصاصات ووضوح الأهداف ونظام الحوافز والمكافآت (أى لائحة توازن بين الثواب والعقاب والحقوق والواجبات) .</p>	

قيمة الانتماء فى مجتمع المصنع :

ولقد صاغ الباحث عددا من الأسئلة فى محاولة التعرف على رؤية العمال المشتغلين داخل نموذج قطاع الأعمال (بسكو مصر) مصنع القاهرة ، ونموذج القطاع الخاص (المنصورة أسبانيا) تجاه هذه القيمة .

- ١- فى رأيك أية الخلافات اللى ممكن تحصل بين العاملين فى الشركة والإدارة ؟
- ٢ - فى رأيك إدارة الشركة بتعمل أية علشان تحل الخلافات دية ؟
- ٣ - فى رأيك هل حصل فى الشركة أى نوع من الصراعات دية ؟
- ٤ - فى رأيك أية الحاجات اللى تخليك راضى عن نفسك وشغلك فى الشركة ؟
- ٥ - فى رأيك أية الإحساس اللى بيحس بيه العمال لما الإدارة بتضغط على العمال فى الشغل ؟
- ٦ - فى رأيك أية اللى بيخلى الواحد فى الشركة ما يتعاونش مع إدارة الشركة ؟
- ٧ - فى رأيك أية اللى بيخلى فرص الترقية أمام العمال فى الشركة محدودة ؟
- ٨ - فى رأيك إزاي تخلى الواحد فى الشركة يحس أن شغله فى الشركة بيساهم فى نجاح الشركة ؟
- ٩ - فى رأيك أية أحسن طريقة تحل مشاكل العمال فى الشركة ؟
- ١٠ - فى رأيك إشراك العمال فى مجلس الإدارة أية اللى تحقق من وراءه ؟

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>١- لا يتيح الهيكل الوظيفي أى عملية ترقية بالنسبة للعمال لارتباط الأجر بالإنتاج وارتباط الكثير منهم بعقود مؤقتة وهذه النقطة هي التي يمكن أن تمثل نقطة الصراع أو خلاف بين الإدارة والعمال فتثبيت العامل يمثل استقرارا نفسيا واجتماعيا واقتصاديا وبصفة خاصة على مستوى القطاع الإنتاجي ربما يمكن أن يلفت النظر نسبة (عدم استجابة الإدارة لبعض المطالب المعقولة للعمالين) وبصفة خاصة على مستوى القطاع الإنتاجي وذلك يمكن أن يمثل بؤرة صراع مما يؤثر على قيمة الانتماء داخل التنظيم ولا يحدث التوحد بين الأهداف الشخصية وأهداف التنظيم .</p>	<p>١ - تشير النتائج مدى التوافق بين المستويات التنظيمية الإدارة العليا والإدارة الإشرافية العمال المشتغلين حول الأسباب وراء حدوث خلافات بين العاملين والإدارة في الشركة فقد حظيت عملية الترقية والجوانب المادية بأعلى نسبة فعلمية الترقية ترتبط بالمؤهل الدراسي والمجموعة الوظيفية ومدى توافر الدرجات المالية ونسبة الأقدمية ونسبة الاختيار والكفاءة والإنجاز كلا من هذه الأسباب يمكن أن يكون سببا في تأخير الحصول على الترقية أما الجوانب المادية فهذه ترتبط بقواعد تقيس معدلات الإنتاج ومدى تحقيق الأهداف الإنتاجية وضرورة تجاوز هذه الأهداف .</p>
<p>٢ - هناك توافق على مستوى القطاع الإنتاجي في حل الخلافات ، فالقطاع الإنتاجي يلجأ إلى التهديد باستخدام اللاتحة والاستخدام الفوري للاتحة بدون مناقشة وهذا يتفق وطبيعة القطاع الخاص وما يتميز به من سرعة اتخاذ القرار ولهذا يلجأ إلى التهديد باستخدام لاتحة</p>	<p>٢ - تحدد نوعية العمل رد فعل الإدارة فالقطاع الإنتاجي وما له من أهمية للإدارة كقطاع مسئول عن تحقيق الأهداف المرجوة وارتباطهم بالإدارة الوسطى الإشرافية وهيبة الرئيس المباشر التي هي جزء لا يتجزأ من هيبة الإدارة وأن أي تهاون أو موقف يمكن أن يؤدي إلى تسيب وإهمال</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>الجزءات ، وإن كانت الأخطاء مقصودة ومتكررة يلجأ على الفور إلى استخدام لائحة الجزاءات بدون مناقشة .</p>	<p>ما يترتب عليه من مشكلات وخسارة مادية للشركة ولهذا تلجأ للاستخدام الفوري للائحة الجزاءات أو التهديد بها</p>
<p>٣ - ارتبطت أنماط الصراع على مستوى القطاع الإنتاجى بعدم وضوح الاختصاصات والمسئوليات وأيضاً سلطة إصدار الأوامر والتعليمات ، أما القطاع الإدارى ترتبط بؤرة الصراع بالجانب المادى بالإضافة إلى عدم وضوح الاختصاصات والمسئوليات بمبدأ عدم المناقشة .</p>	<p>أما القطاع الإدارى ترتبط بالموظفين أصحاب الموهلات المتوسطة والارتباط الوثيق بالقواعد التنظيمية التى يمكن من خلالها اللجوء إلى الإقناع .</p>
<p>٤ - يمثل المستقبل المهنى أكثر المواقف إلحاحاً على عينة العمال المشغولين التى تجعل الفرد يشعر بذاته لارتباط العمال المشغولين بعقود مؤقتة تجدد كل ستة شهور وحرص كثير من فئة العمال لاكتساب خبرات فنية وتعلم مهنة (التفصيل والحياكة) واعتماد هذه الصناعة على مدة الخدمة الطويلة (الخبرة المكتسبة) من شركات قطاع الأعمال (شركة الدقهلية للغزل والنسيج - شركة دمياط للغزل والنسيج) واستقطاب شركة (المنصورة أسبانيا) لهذه العناصر</p>	<p>٣ - فيما يتعلق بأنماط الصراع على مستوى العمال المشغولين ارتبطت بنمطين الأول : يرجع لعدم وضوح القواعد أو عدم وضوح الاختصاصات أو لترايط العملية الإنتاجية واعتماد خطواتها بعضها على بعض أو نسق المكانة اعتماد على المعرفة العلمية وليس التسلسل الوظيفى . النمط الثانى : الصراع بسبب الحوافز يشكل سبباً من أسباب المشكلات ال شخصية وأيضاً كأحد الأسباب لحدوث خلافات بين العاملين والإدارة فهذا يمكن أن يمثل بؤرة صراع داخل التنظيم .</p>
<p>٤ - ارتبطت المواقف التى تجعل الفرد يشعر بذاته على مستوى القطاع الإنتاجى بموقف فرضته طبيعة العمل فى الشركة</p>	<p>٤ - ارتبطت المواقف التى تجعل الفرد يشعر بذاته على مستوى القطاع الإنتاجى بموقف فرضته طبيعة العمل فى الشركة</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش يسكو مصر »
<p>وإعطائهم امتيازات وبصفة خاصة الفئحة الإشرافية على مستوى القطاع الإنتاجي .</p> <p>٥ - على الرغم من التباين الواضح بين الفئتين الإدارية العليا والعمال المشتغلين داخل التنظيم (شركة المنصورة أسبانيا) من حيث المركز الذي يشغلونه والدخل والمستوى التعليمي ، ونوع العمل، إلا أن هناك توحيد في الظروف المحيطة بالتنظيم، المنافسة، وقوة مجلس الإدارة، والعضو ال منتدب، والمساهمين ، وهذا يمثل عامل ضغط على إدارة التنظيم من جانب وينعكس ذلك الضغط على العمال المشتغلين في التهديد باستخدام لائحة الجزاءات أو الاستخدام الفوري للائحة الجزاءات دون مناقشة .</p>	<p>حيث تخصصت في صناعة العجائن والحلويات وهذه تمثل صنعه يمكن للأفراد أن يستفيدوا منها في العمل في القطاع الخاص الذي يعمل في هذا المجال وهذا الموقف يمثل دافع لأفراد القطاع الإنتاجي في الاستمرار والعضوية داخل التنظيم أما القطاعات الإدارية فنجد أن الموقف الذي يجعل الفرد يشعر بذاته هو الترقى في السلم الوظيفي وشغل مكانة وظيفية وكما أشرنا هذا يتوقف على المؤهل الحاصل عالية والأقدمية والمجموعة الوظيفية ومدى توافر درجات مالية .</p> <p>٥ - ترتبط المواقف التي تشكل مظهر من مظاهر الضغط على العاملين بنوعية الخلافات التي تحدث بين الإدارة والعاملين في الشركة وأسلوب الإدارة لحل هذه الخلافات بالتهديد باستخدام لائحة الجزاءات (بعدم صرف الحوافز والمكافآت والتحويل إلى التحقيق) أو (استعمال لائحة الجزاءات في الحال بدون مناقشة) ولهذا يلجأ العمال إلى أداء ما عليهم فقط حتى لا يصطدم بالإدارة أو يجازا هذا من</p>
<p>٦ - أعطت الإدارة العليا هيبه الإدارة المرتبة الأولى والرئيس المباشر لتحقيق الضبط داخل القطاعات الإنتاجية والإدارية والانحياز إلى الرؤساء المباشرين ثم يتم محاسبة الرئيس المباشر من قبل الإدارة العليا على انفراد وليس أمام العمال ، فالرئيس المباشر هو حلقة الوصل</p>	<p>حتى لا يصطدم بالإدارة أو يجازا هذا من</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>بين الإدارة العليا والعمال المشغولين الذى تصل عن طريقة الأوامر والتعليمات إلا أن هذا الموقف وإن ساعد على تحقيق الضبط إلا أنه خلق نوع من عدم الترابط بين الرؤساء والمرؤوسين فى العمل .</p>	<p>ناحية ومع روتينية العمل وما يترتب عليه من إحساس بالملل وانعدام فرص الترقى أمام العمال .</p>
<p>٦ - العلاقات الإنسانية جانب ذات أهمية لتحقيق الترابط بين المرؤوسين والرؤساء على مستوى العمال المشغولين إلا أن هناك ظروف خاصة فرضت نفسها على التنظيم بعض التشدد المخصصة وطرح جزء من أسهم هذه الشركات بالكامل أو بيع جزء من الأسهم للعاملين فى الشركة وكذلك دخول القطاع الخاص فى منافسة شديدة فى إنتاج الحلويات والعجائن مما فرض نوع من الضغط على التنظيم وعلى الإدارة العليا وما يترتب على ذلك من ضغط على فئة العمال المشغولين فى الشركة .</p> <p>٧ - بالنسبة للقطاع الخاص بصفة عامة يتسم بصغر حجم التنظيم وعدم تحميل المشروع أى عمالة زائدة حتى لا يؤثر ذلك على التكلفة، ارتباط العامل بالأجر والخوافز والمكافآت أكثر من ارتباطه بالترقيات ، فالأجر يماثل أربعة أمثال قطاع الأعمال وكذلك الخوافز فى حالة تجاوز معدلات الإنتاج أما على مستوى القطاع الإدارى لارتباطه بالقواعد التنظيمية وما يترتب على ذلك من ضرورة التخصص (المؤهل الدراسى) بالإضافة للخبرة أو مدة الخدمة لهذا فأى ترقية على مستوى القطاع الإدارى ترتبط بهذين العاملين (المؤهل الدراسى + الخبرة - مدة الخدمة فى هذا المجال) .</p>	<p>٦ - العلاقات الإنسانية جانب ذات أهمية لتحقيق الترابط بين المرؤوسين والرؤساء على مستوى العمال المشغولين إلا أن هناك ظروف خاصة فرضت نفسها على التنظيم بعض التشدد المخصصة وطرح جزء من أسهم هذه الشركات بالكامل أو بيع جزء من الأسهم للعاملين فى الشركة وكذلك دخول القطاع الخاص فى منافسة شديدة فى إنتاج الحلويات والعجائن مما فرض نوع من الضغط على التنظيم وعلى الإدارة العليا وما يترتب على ذلك من ضغط على فئة العمال المشغولين فى الشركة .</p>
<p>٨ - ارتباط إحساس الفرد أن عمله يسهم فى نجاح الشركة بقضية أهمية</p>	<p>٧ - أشرنا تفصيلا للعوامل التى تعوق فرص الترقى أمام فئة العمال المشغولين إلا أن هناك نقطة أشار إليها العمال المشغولين وهى ضرورة التمييز بين العمال على خطوط الإنتاج وعمال الخدمات المعاونة وحول هذه النقطة أنها</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>القطاع الإنتاجى فالقطاع الخاص يمثل الجانب الإنتاجى الأهمية القصوى بالنسبة له التى تعنى أعلى ربحية والإنتاج الكثيف والوقوف أمام المنافسة الداخلية والخارجية (صناعة الملابس الجاهزة) وعلى وجه الخصوص دول جنوب شرق آسيا وأيضاً أن هذه الصناعة تمثل صناعة كثيفة العمالة وهذه الكثافة أعطت العمال إحساس بالأهمية وأن دورهم ليس قاصراً على الشغل فقط ولكن لهم دور فى الظروف والمشكلات المحيطة بالعملية الإنتاجية وهذا يفرض وجود اتصال بين العمال والملاحظين والمشرفين والإدارة داخل التنظيم.</p>	<p>تخالف الواقع الحقيقى حيث هناك تمييز واضح من حيث المجموعة الوظيفية (مجموعة الخدمات المعاونة) ، (مجموعة الحرفيين) ، (مجموعة الفنيين المساعدة). ٨ - مدى إحساس الفرد أن عمله يساهم فى نجاح الشركة ارتبط بقضية هامة ارتفاع مكانة أصحاب الوظائف الإنتاجية بالمقارنة بأصحاب الوظائف الإدارية لارتباط الجانب الإنتاجى بالأهداف المرجوة والهدف من التنظيم بتحقيق خطة الإنتاج وتجاوزها يعنى الثقة فى إدارة التنظيم ومدى نجاحها هذا أولاً. ثانياً : وجود قنوات اتصال بين الفئات التنظيمية (الإدارة العليا، الوسطى، والعمال) .</p>
<p>٩ - يلاحظ اتفاق العمال المشتغلين حول أفضل الأساليب لحل مشاكل العمال واختيار أسلوبين متمثلين (المشرف أو الرئيس المباشر هو أحسن واحد يحل مشاكل العمال لأنه أدرى الناس بيهم) الثانى (مدير الإدارة هو المسئول عن حل مشاكل العمال فى إدارته) على الرغم من اختلاف الطرفين (الإداريين والإنتاجيين)</p>	<p>٩ - تشير أفضل الأساليب لحل مشاكل العمال مدى الثقة التى أعطاها العمال للإدارة الإشرافية ، لذا أشار العمال إلى أن مدير الإدارة ورؤساء الأقسام كأقدر شخص على حل مشاكل كل العمال دون الرجوع للعمال هذا على مستوى القطاع الإنتاجى أما القطاع الإدارى</p>

نموذج القطاع الخاص « شركة المنصورة أسبانيا »	نموذج قطاع الأعمال « ش بسكو مصر »
<p>من حيث المركز الذى يشغلونه ونوع العمل والاختصاصات والسلطات والمستوى الاجتماعى والتعليمى والدخل والسن إلا أن هناك ظرف عام وحد بينهم هو طبيعة القطاع الخاص حيث تحكمهم علاقة عمل بين أصحاب رأس المال والرغبة فى تحقيق أعلى ربحية والمنافسة الشديدة وفق قوانين قوى السوق واتفاقية التجارة الحرة (الجات) مما يمثل نوع من الضغط من قبل صاحب رأس المال على العاملين فى الشركة هذه الظروف وحدة بين الطرفين .</p>	<p>أشارت النتائج أن مدير الإدارة هو المسئول عن حل مشاكل العمال فى إدارته وهذا يعكس عدم الرغبة فى تصعيد المشكلات للإدارة العليا فهذا يؤثر على مكانة الإدارة بين الإدارات مما يؤثر على حقوقهم وامتيازاتهم فى الحوافز والمكافآت والعلاوات التشجيعية ويمثل مدير الإدارة بحكم موقعه المصدر الأساسى الذى يمكن الرجوع إليه فى تفسير القواعد فى حالة عدم وضوحها.</p>

المراجع العربية

- ١ - السيد الحسيني ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨١ .
- ٢ - جون ركس ، مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية ترجمة د. محمد الجوهري وآخرون ، الطبعة الأولى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٣ .
- ٣ - كمال التابعى ، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨٥ .

المراجع الأجنبية

- 1 - Bendix, p., work and Authority in industry (N. Y., Wiley 1956).
- 2 - Blau p., p. scott., Formal organization, Acomparatins Approach (London 1963).
- 3 - Coly G., D., M., Studies in class stucture (landon 1955).
- 4 - Durkheim, E : Suicide : Astudy in sociology, the free press glencoe illinois, 1951.
- 5 - Friedman, G., Industrial society, N. Y. free press 1955.
- 6 - Kluck hohm, C., th study of values in D. N. Barrett (ED) volues in America indiana university of nature dame press 1967.
- 7 - Martindale, D., Nature and types of Sociological theory (london, 1967).
- 8 - Parsons., T., Action Theory and the Haman condition N. Y. FREE PRESS, 1968.
- 9 - Parsons, T., the Structure of Sociol Action N. y. MC. Grow Hill 1962.
- 10 - Whyte, w. f., an interaction Approach to the theory of organization in Haire (ed) modern organization theory (N. Y. Wiley 1959).

استمارة الاستبيان

البناء القيمي للعمال المشتغلين فى مجتمع المصنع

دراسة سوسيولوجية لنموذجين صناعيين

نموذج قطاع الأعمال ... و ... نموذج القطاع الخاص

عزيزى العاهل :

فيما بلى مجموعة من الأسئلة تعبر عن بعض القيم السائدة فى مجتمع المصنع عليك بقراءة كل عبارة قراءة جيدة وتوضيح مدى موافقتك عليها وأنها معبرة تماما عن رأيك .

أعلم أنه ليست هناك عبارات صحيحة وأخرى خاطئة وإنما جميع العبارات تعبر عن مظهر من مظاهر القيم السائدة فى مجتمع المصنع ، وبياناتك وآرائك لن يطلع عليها أحد غير الباحث وإنما لغرض البحث العلمى .

مع خالص الشكر والتقدير

د . خالد البدراوى محمد

بيانات أولية : ضع علامة () أمام الحالة التي تناسبك :

س ١ - السن :

- ١ - أقل من ٢٠ سنة ()
٢ - من ٢١ إلى ٣٠ سنة ()
٣ - من ٣١ إلى ٤٠ سنة ()
٤ - من ٤١ إلى ٥٠ سنة ()
٥ - من ٥١ إلى ٦٠ سنة ()

س ٢ - الحالة التعليمية :

- ١ - يقرأ ويكتب ()
٢ - شهادة ابتدائية ()
٣ - شهادة إعدادية ()
٤ - شهادة متوسطة ()
٥ - شهادة فوق متوسطة ()

س ٣ - الحالة الاجتماعية :

- ١ - أعزب ()
٢ - متزوج ()
٣ - مطلق ()
٤ - أرمل ()

س ٤ : مدة الخدمة :

- ١ - أقل من ٥ سنوات ()
٢ - من ٥ إلى ١٠ سنوات ()
٣ - من ١١ إلى ١٥ سنة ()
٤ - من ١٦ إلى ٢٠ سنة ()
٥ - من ٢١ إلى ٢٥ سنة ()
٦ - من ٢٥ سنة فأكثر ()

س ٥ : الدخل الشهري كاملاً (متوسط الدخل الشهري مع

الحوافز والمكافآت والأرباح) :

- ١ - أقل من ١٠٠ جنيه ()

- ٢ - من ١٠١ إلى ٢٠٠ جنيه ()
 ٣ - من ٢٠١ إلى ٣٠٠ جنيه ()
 ٤ - من ٣٠١ إلى ٤٠٠ جنيه ()
 ٥ - من ٤٠١ إلى ٥٠٠ جنيه ()
 ٦ - من ٥٠٠ فأكثر ()

س ٦ : نوعية العمل :

- ١ - فنية ()
 ٢ - مالية ()
 ٣ - تجارية ()
 ٤ - إدارية ()

س ٧ : الوظيفة التي تشغلها في الشركة :

- ١ - رئيس قسم ()
 ٢ - مشرف (رئيس عمال) ()
 ٢ - ملاحظ (خط الإنتاج) ()
 ٤ - عامل أو فني إنتاج ()
 ٥ - أعمال كتابية وإدارية ()
 ٦ - خدمات معاونة ()

ثانيا : قيمة الحرية داخل مجتمع المصنع تجاه ظروف العمل
 والمشكلات والتنظيمات النيابية داخل التنظيم :

س ٨ : في رأيك إدارة الشركة عشان تضبط عملية الإنتاج

والشغل في الأقسام والإدارات لازم تعمل إيه ؟

- ١ - استحواذ اللاتحة على حرية أكثر للمشرفين والملاحظين ()
 ٢ - لازم يكون المسئولين عن الإنتاج في الشركة يكون بينهم تفاهم في الشغل . ()
 ٣ - زي ما فيه لاتحة جزاءات جزاء وعقاب لازم يكون في لاتحة ثواب للناس ()
 اللي شغالة .

- ٤ - لازم يكون فيه حوافز للناس اللي تشتغل مش كل زي بعضه والكل بياخذ ()

س ٩ : إذا كان الشغل بتنظمه اللوائح رأيك إيه بالنسبة ليها؟

- ١ - لازم اللوائح اللي بتنظم الشغل نكون واضحة ليه ()

- ٢ - لازم أحسن إن اللوائح دية بتغضى كل الشغل اللى بقوم بيه ()
 ٣ - لازم أحسن إن اللوائح دية تدى الرئيس بتاعى حرية وما تكونش بتقيده لأنه ()
 هو أقرب الناس ليه فى الشغل

س ١٠: فى رأيك علشان تحقق الشركة زيادة فى الإنتاج
 توزع المسئولية على مين ؟

- ١ - توزع المسئولية على مدير الإدارة وهو ينظم إدارته ()
 ٢ - وزع المسئولية على رؤس الأقسام والمشرفين والملاحظين ()
 ٣ - توزع المسئوليات بين مديرى الإدارات ورؤساء الأقسام وينظمها هما ()
 الاثنين مع بعض .
 ٤ - لا توزع المسئوليات وتكون فى يد المدير العام وحده ()

س ١١: فى رأيك عملية توزيع المسئوليات دية ممكن
 تساعدك وفى أى ناحية من النواحي ؟

- ١ - بحس إن المسئوليات فى القسم اللى شغال فيه والإدارة اللى أنا تابع لها ()
 واضحة ليه
 ٢ - بحس أن عملية توزيع المسئوليات بتعطى لينا فرصة نقول رأينا فى الشئ ()
 اللى ممكن يحسن ظروف عملنا لأن إحنا اللى واقفين أمام الماكينة
 ٣ - بحس أنها بتدى الرئيس بتاعى قيمة فى نظر العمال اللى شغالة معاه ()
 س ١٢: فى رأيك الشكاوى اللى بتقدم لإدارة الشركة بتكون

دائما بسبب إيه ؟

- ١ - الشكاوى بسبب ظروف العمل الصحية- نقص الخدمات (الإضاءة -) ()
 الصيانة - التهوية - عطل فى الآلات)
 ٢ - الشكاوى من تدخل الرؤساء فى شغل بعضهم البعض وكل واحد بيصدر ()
 أوامر
 ٣ - الشكاوى لأن القواعد والتعليمات اللى بتنظم الشغل مش واضحة لينا ()
 ٤ - الشكاوى لأن ليه مطالب وحقوق بطالب بيها (تأخير الترقية - الحوافز -) ()
 المكافآت - العلاوات التشجيعية - التقرير السنوى - ضم مدة خدمة
 سابقة ()

س ١٢: يا ترى الشكوى دية بتقدم مين ؟

- ١ - الملاحظ أو المشرف ()
٢ - رئيس القسم ()
٣ - مدير الإدارة التابع لها القسم ()
٤ - قسم الشكاوى والاقتراحات ()
٥ - اللجنة النقابية ()
٦ - مدير عام الإدارة ()
٧ - عضو مجلس الإدارة المنتخب ()
٨ - رئيس القطاع ()
٩ - الأخصائى الاجتماعى أو مكتب الرعاية الاجتماعية ()

س ١٤: أى الحاجات التى ممكن تكون سبب فى المشاكل

الشخصية للعاملين فى الشركة ؟

- ١ - تأخير الترقية ()
٢ - التقرير السنوى ()
٣ - لأن الإدارة مش بتهتم كثير برأى الرؤساء بتوعنا (الملاحظين والمشرفين) ()
فى النواحي الفنية وظروف العمل والعمال
٤ - لأن ما فيش علاقات إنسانية بين الرئيس والعمال اللى شغالة معاه ()
٥ - لأن ما فيش رعاية اجتماعية أو صحية كافية للعمال الشغالين ()
٦ - عملية توزيع الحوافز والمكافآت على العمال لازم يكون فيها عدل ()
٧ - لأن فيه نظام الشللية والأحزاب بين العمال ()

س ١٥: فى وأيك إيه الصصات اللى لازم تكون موجودة فى

عضو مجلس الإدارة المنتخب عن العمال ؟

- ١ - أن يكون أمين فى نقل رأى العمال لإدارة الشركة ()
٢ - أن يكون حريص على مصلحة العمال مش مصلحته الشخصية ويس ()
٣ - لازم يكون على مستوى من العلم عشان يعرف يتكلم فى مجلس الإدارة ()
ويناقش مشاكل العمال فى الشركة
٤ - لازم يكون محل ثقة العمال لأنه أحسن واحد يمثلهم فى المجلس ()
٥ - لازم يعيش مشاكل العمال ونحس بوجوده معنا دايما ()

س ١٦: في رأيك إيه هيه الموضوعات المهمة اللى لازم يهتم

بيها أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين في مجلس الإدارة ؟

- ١ - تحسين الصلة بين العمال والإدارة ()
- ٢ - توضيح أفكار وآراء العمال لأعضاء المجلس المعينين ()
- ٣ - مناقشة مشاكل وظروف العمل ()
- ٤ - مناقشة مشاكل العمال وظروفهم ()
- ٥ - مشاركة إدارة الشركة في اتخاذ القرارات في الشركة ()
- ٦ - مناقشة الحوافز والمكافآت ()
- ٧ - مناقشة خدمات الرعاية للعاملين وزيادتها ()

س ١٧: في رأيك ليه أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين بعض

العمال غير راضيين عنهم ؟

- ١ - حرص بعض أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين على الارتباط بالمسؤولين الكبار في الشركة أكثر من ارتباطهم بأهداف العمال ()
- ٢ - بعض أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين بتشغلهم مصالحهم الخاصة وتكون أهم من مصالح العمال ()
- ٣ - بعض أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين نسيوا الهدف الأصلي (مصالح العمال) ويهتمون بنواحي إدارية بعيدة عن الهدف من انتخابهم ()
- ٤ - عض أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين يكون مستواه ضعيف في العلم وما يتقدرش يناقش في مجلس الإدارة مشاكل العمال ويكون له رأى ()
- ٥ - الدور الكبير لأعضاء مجلس الإدارة المعينين (رؤساء القطاعات) في تصريف أمور الشركة ()
- ٦ - بعضهم ينسى نفسه ويتكبر ويتعالى علينا ()

س ١٨: في رأيك إيه اللى ممكن يساعد اللجنة النقابية في

تحقيق دورها في الشركة ؟

- ١ - مشاركة العمال في حل مشاكلهم في العمل ()
- ٢ - الاهتمام بالناحية الاجتماعية والإنسانية للعمال ()
- ٣ - الدفاع عن حقوق العمال ()
- ٤ - زيادة وعى العمال لزيادة الإنتاج بصيانة الآلات ()
- ٥ - أن يكون فيه برنامج يرفع مستوى العمال لأن كثير منهم مكملش تعليمه ()

س ١٩: هي رأيك إيه الحاجات اللي بتتخلى اللجنة النقابية

فى الشركة ضعيفة أما الإدارة العليا فى الشركة ؟

- ١ - لأن الإدارة العليا مش ممتنعة بمثللى العمال واستخفافها بهم ()
- ٢ - لأن الإدارة العليا فى إيدها كل الأمور فى الشرك ()
- ٣ - الإدارة العليا معندهاش استعداد حد يشاركها فى اختصاصاتها أو نفوذها
علشان تحافظ على مكاسيها فى الشركة ()
- ٤ - لأن اللجنة النقابية بالشركة مهتمية أكثر بالنقابة العامة والاتحاد العام
للعمال أكثر من مشاكل العمال فى الشركة ()
- ٥ - لأن اللجنة النقابية ليسوا على مستوى المسئولية ()
- ٦ - لأن أعضاء اللجنة النقابية لهم مصالح مع الإدارة خايفين عليها وبالتالي
هم الأضعف ()

س ٢٠: هي رأيك إيه النواحي اللي ممكن يتعاون فيها

أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين مع اللجنة النقابية ؟

- ١ - إزاي يخلوا الصلة طيبة بين العمال وبعضهم ()
- ٢ - إزاي يخلو الصلة طيبة بين العمال وإدارة المصنع ()
- ٣ - إزاي يحسنوا ظروف العمل ويحلوا مشاكل الإنتاج ()
- ٤ - مناقشة نظام الحوافز والمكافآت ()
- ٥ - مناقشة حركة الترقبات ()
- ٦ - الرعاية الاجتماعية والطبية وغيرها ()
- ٧ - توصيل أفكار وآراء العمال إلى المسئولين الكبار فى الشركة ()
- ٨ - تنفيذ القرارات التي تصدر برفع الحد الأدنى للأجور أسوة بالعمالين فى
الدولة ()

ثالثاً : الحراك الاجتماعى داخل التنظيم وارتباطه بالإنجاز

والأقدمية والهيبة و مستوى التعليم والمكانة :

س ٢١: هي رأيك على أساس إيه بيتم الترقيية لوظيفة

أعلى فى الشركة ؟

- ١ - الأقدمية ()
- ٢ - الشهادة الحاصل عليها ()

- ٣ - التقرير السنوى ()
 ٤ - القرابة أو المصاهرة ()
 ٥ - الوصولية ()
 ٦ - الخدمات والمصالح لبعض المديرين ()
 ٧ - الكفاءة والإنجاز ()
 ٨ - وجود درجات مالية للترقية ()

س ٢٢: فى وأيك عشان الواحد يحقق أعلى إنتاجية فى

الشركة محتاج إيه ؟

- ١ - إن العمل اللى بيقوم بيه يناسب الشهادة الحاصل عليها أو خبرته الطويلة فى الشغل ()
 ٢ - إن عمله له قيمة فى القسم اللى شغال فيه مش واحد ضمن الشغالين ويس ()
 ٣ - إن العمل اللى بيشتغله بيحقق من وراءه عائد يتناسب مع العمل اللى بيعمله ()
 ٤ - إن العمل اللى بيقوم به ليه تقدير عند الرئيس بتاعه وزملائه ()
 ٥ - لازم يشعر أنه محبوب من الآخرين ()

س ٢٣: فى وأيك عشان إدارة الشركة تقدر تحقق إنتاج كبير

لازم تعمل إيه ؟

- ١ - لازم يكون فيه نظام حوافز يميز الناس اللى بيشتغلوا مش كل واحد يأخذ حوافز آخر الشهر ()
 ٢ - لازم يكون لكل قسم وكل إدارة فى الشركة كمية شغل مسئولة عنها وتتحاسب على أساسها ()
 ٣ - لازم يكون فيه اهتمام كبير بجودة الإنتاج ويكون على أحسن صورة ()
 ٤ - لازم الإدارة تهتم شوية أكثر بمشاكل العمال ()
 ٥ - لازم الإدارة تكون حريضة على توفير الرعاية الاجتماعية والصحية للعمال ()
 ٦ - لازم الإدارة تكون حريضة على الصلة بين الرئيس والعمال وتكون فيها إنسانية ()
 ٧ - ربط الأجر بالإنتاج لأنه بيخلى كل واحد ينتج أكثر ()

س ٢٤: هي وأيك إيه الحاجة اللي الشركة بتهتم بيها أكثر؟

- ١ - تقسيم العمل بين الإدارات عشان نضبط عملية الإنتاج ()
- ٢ - كل واحد يكون في تخصصه عشان ده بيكون أساس أى خبره لأى واحد ()
موجود فى الشركة
- ٣ - لازم تكون اللوائح واضحة وبسهل الشغل لينا ويلتزم بها كل الأقسام ()
والإدارات
- ٤ - لازم تكون فيه وسيلة اتصال سهلة بين الرؤساء والعاملين فى الشركة من ()
غير تعقيد
- ٥ - إمكانية نقل العمال اللي مش على مستوى الكفاءة والالتزام بالعمل ()

س ٢٥: هي وأيك إيه الموضوعات اللي بيهتم بيها الواحد

اللى بيشتغل فى الشركة؟

- ١ - أن يحصل على الترقية فى ميعادها ()
- ٢ - أن تكون له منزلة كبيرة بين زملاءه فى الشغل ()
- ٣ - أن يكون له سلطة ونفوذ كبير ()
- ٤ - لأن يحصل على حوافز ومكافآت ويوصله حقه بالكامل ()

س ٢٦: هي وأيك منزلة الواحد فى الشركة بتكون على

أساس إيه؟

- ١ - لأنه بيشتغل مركز كبير فى إدارة الشركة ()
- ٢ - لأن الوظيفة اللي بيقوم بيها ليها ثقل كبير ومن الوظائف المهمة فى الشركة ()
- ٣ - لأن العمل اللي بيقوم بيه بيحصل من وراه على مبلغ كبير من الحوافز ()
والمكافآت
- ٤ - لأنه قريب حد من الناس الكبار أو المسئولين ()
- ٥ - لأنه محبوب وعلاقته كويسة بالأخرين ()

س ٢٧: هي وأيك إيه الحاجات اللي بترفع من قيمة الواحد

هي نظرياً مزاجه فى الشركة؟

- ١ - إنتاجه كبير فى الشغل ()
- ٢ - تعاونه فى العمل ()
- ٣ - علاقته طيبة بزملائه أخلاقه طيبة ()

- ٤ - ما بينقلش الأخبار للرئيس بتاعه (التجسس) ()
 ٥ - متدين ()
 ٦ - شخص فى حاله ()
 ٧ - يعرف يأخذ حقه من الإدارة (جري) ()
 ٨ - مستوى التعليم (الشهادة الحاصل عليها) ()

س ٢٨ : فى رأيك عشان الإدارة فى الشركة تكون ناجحة

لازم تعمل إيه ؟

- ١ - لازم توزع المسؤوليات وما تكونش فى أيد عدد قليل يكون مسئول عن كل كبيرة وصغيرة ()
 ٢ - لازم تربط بين الإدارات وبعضها ويكون لكل إدارة هدف واضح وتكون مسئوله عنه ()
 ٣ - لازم يعرف كل واحد فى الشركة أن ليه رئيس مباشر ويعرف إن رئيسه نفسه مسئول أمام رئيس أعلى منه ()
 ٤ - وجود نظام حوافز ومكافآت يعطى للناس اللي بتشتغل حقها ()
 ٥ - لازم كل واحد يعرف اللى عليه فى الشغل قبل ما يطالب بحقه ()
 ٦ - لازم تراعى العمال وظروفهم ومشاكلهم ()
 ٧ - لازم يكون فيه وعى كامل من العمال باللائحة المنظمة للعمل ()
 ٨ - لازم تكون فيه علاقات إنسانية بين العاملين فى الشركة وسهولة الاتصال وابعأ : الانتماء للتنظيم (المشاوكة) وتوتبط بالانسجام والتوحد بين الأهداف الشخصية وأهداف الشركة ومدى مشاركة العاملين فى المشوكة :

س ٢٩ : فى رأيك إيه الخلافات اللى ممكن تحصل بين

- العاملين فى الشركة والإدارة ؟ ()
 ١ - تأخير الحصول على الترقية فى الميعاد ()
 ٢ - التقرير السنوى ()
 ٣ - بسبب أن الإدارة بتكلفنا بعمل أكثر من طاقتنا ()
 ٤ - لأنه بيشتغل شغله ملهاش دعوة بالشهادة اللى حاصل عليها ولا خبرته اللى تعلمها من الشغل ()

٥ - بسبب النواحي المادية والمكافآت والعلاوات التشجيعية وضم مدة خدمة ()
سابقة

٦ - عدم مشاركة الإدارة للعاملين فى الأنشطة الاجتماعية والترفيهية ()

٧ - لأن الإدارة ما بتستجيب لبعض المطالب المعقولة للعاملين ()

٨ - لأنه فى صراع بين الإدارة واللجنة النقابية ()

٩ - لأنه فى صراع بين الإدارة وأعضاء مجلس الإدارة المنتخبين ()

س ٣٠ : هـى رأيك إدارة الشركة بتعمل إيه علشان تحل

الخلافات دية ؟

١ - التهديد المستمر باستخدام لائحة الجزاءات (بعدم صرف الحوافز والمكافآت)
والتحويل إلى التحقيق ()

٢ - ستعمل لائحة الجزاءات فى الحال وبدون مناقشة ()

٣ - بتحاول تقنع صاحب المشكلة بقرار الإدارة ()

٤ - تحاول تشرك العمال فى حل المشاكل وحل الخلافات عن طريق ممثلى العمال ()

(مجلس الإدارة واللجنة النقابية)

س ٣١ : هـى رأيك هل حصل فى الشركة أى نوع من

الصراعات دية ؟

١ - صراع بين العمال بعضهم البعض ()

٢ - صراع بين العمال وأعضاء اللجنة النقابية ()

٣ - صراع بين العمال وأعضاء مجلس الإدارة المنتخبين ()

٤ - الصراع بين الإدارات وبعضها بسبب أنهم بيدخلوا فى شغل بعضهم ()

٥ - صراع بسبب الحوافز والمكافآت والعلاوات التشجيعية ()

٦ - صراع بسبب كل واحد غايز يكون له نفوذ وسلطة أكثر من غيره فى الشركة ()

٧ - صراع بين العمال والإدارة ()

٨ - صراع بين اللجنة النقابية والإدارة ()

٩ - صراع بين أعضاء مجلس الإدارة وبعضهم ()

س ٣٢ : هـى رأيك الحاجات اللى تخليك راضى عن نفسك

وشغلك فى الشركة ؟

١ - أحس أن فرصتى كبيرة فى الترقية ()

- ٢ - أحس باقتناع إيه سبب عدم ترقيتي فى المصنع ()
 ٣ - أحس أن العمل اللئى يقوم به ممكن يحقق ليه مستقبل فى الشركة ()
 ٤ - أحس بعد المدة الطويلة فى المصنع إنى مرتبط بيها وإنى ممكن استمر فيها لغاية نهاية الخدمة ()
 ٥ - أحس إنى اتعلمت حاجة (صنعه) ممكن أزود بيها دخلى ()

س ٣٣ : فى رأيك إيه الإحساس اللئى بيحس بييه العمال لما

الإدارة بتضغط على العمال فى الشغل ؟

- ١ - إحساسه الدائم بالملل ومالوش نفس يشتغل ونفسه تتسد ()
 ٢ - إحساسه دايما أن فرصته قليلة فى الشركة وحظه قليل فيها ()
 ٣ - بيحاول دايما أن يبعد عن الإدارة فى حل مشاكله الشخصية ويحاول حلها بنفسه أو مع زملائه ()
 ٤ - بيحس من جواه أن كل حاجة عنده زى بعضها ()
 ٥ - بيحس أنه بيشتغل اللئى عليه ويس علسان محدش يقول ليه كلمة ()
 ٦ - بيحس بالكراهية والإحباط ()
 ٧ - بيحس أنه مش عارف سبب الضغط عليه ()

س ٣٤ : فى رأيك إيه اللئى بيخلى الواحد فى الشركة ما

بيتعاونش مع إدارة الشركة ؟

- ١ - لأن الإدارة ما بتهتمش بمشاكل العمال ومحاول تحلها ()
 ٢ - لأن الإدارة أهم حاجة عندها تصدر الأوامر والتعليمات ويس أهم من حل مشاكل الإنتاج ومراقبة جودة الإنتاج ()
 ٣ - لأن الإدارة دايما تقف مع الرؤساء لما يحصل خلاف بين الرئيس المباشر والعامل أهم من وصول الحق لصاحبه ()
 ٤ - لأن الإدارة ما بتهتمش بالنواحي الإنسانية وده بيكون ليه تأثير على الواحد فى الشركة ()
 ٥ - لأنه لم يحس بأى فائدة من أى تعاون سابق ()
 ٦ - لأن الإدارة لا تشجعه على ذلك ()
 ٧ - لأن الإدارة بتهمل رأيه ولا تأخذ به ()

س ٢٥ : فى رأيك إيه الذى بيخلى فرصة الترقية أمام العمال

فى الشركة محدودة ؟

- ١ - لأن العمال معروف أنهم فى آخر السلم الوظيفى ()
- ٢ - لأن العامل لازم يمر بنفس الخطوات اللى مر بيها رئيسه ()
- ٣ - لأن الترقيات بتترتبط بالشهادة الحاصل عليها العامل ومدة الخدمة والتقرير السنوى ()
- ٤ - لأن كثير من العمال الأجر والحوافز والمكافآت بتكون أهم عنده من الترقية اللى نفسه فيها ()
- ٥ - لأن ما فيش تميز بين العمال فى ظروف الإنتاج وعمال الخدمات المعاونة ()
- ٦ - لأن الترقية بيترتب عليها زيادة فى الأجر ما تقدرش عليها الشركة ()
- ٧ - لأن فرص الترقى بصفة عامة محدودة ()

س ٣٦ : فى رأيك إزاي نخلى الواحد يحس أن شغله فى

الشركة بيساهم فى نجاح الشركة ؟

- ١ - أن يكون فيه وسيلة سهلة للاتصال بين العاملين فى الشركة والإدارة وما يكونش بينهم حواجز ()
- ٢ - لازم ما يكونش فيه تمييز بين العاملين وبعضهم فى الشركة ويكون كله زى بعضه ()
- ٣ - لازم الكل يشتغل مع بعض م ش كل واحد شغال لنفسه ومصالحته ()
- ٤ - لازم يحس العاملين فى الشركة أن ليهم دور ورأى فى اللى بيحصل حوالىهم لأن العملية مش شغل ويس ()

س ٣٧ : فى رأيك إيه أحسن طريقة ممكن تحل مشاكل

العمال فى الشركة ؟

- ١ - المشرف أو الرئيس المباشر هو أحسن واحد يحل مشاكلالعمال لأنه أدرى الناس بيهم ()
- ٢ - العمال والمشرفين ممكن يحلوا مشاكلهم مع بعضهم ويرفعها المشرف لإدارة المصنع ()
- ٣ - مدير الإدارة ورئيس القسم يحلوا المشاكل الخاصة بالعمال دون الرجوع للعمال ()

- ٤ - مدير الإدارة هو المسئول عن حل مشاكل العمال في إدارته ()
- ٥ - مدير الإدارة مع المسئولين الكبار في الشركة مسئولين عن حل مشاكل العمال دون الرجوع لرؤساء الأقسام ()
- ٦ - ممثلى العمال فى مجلس الإدارة واللجنة النقابية مع المسئولين الكبار ()
- ٧ - المسئولين الكبار فى الشركة مسئولين عن حل المشاكل دون الرجوع لأحد ()
- ٨ - الأخصائى الاجتماعى أو مكتب الرعاية الاجتماعية ()

س ٢٨ : فى وأيلىك اشتراك العمال فى مجلس الإدارة إيه اللى

تتحقق من وراءه ؟

- ١ - كثير من نفوذ المسئولين الكبار فى الشركة شاركهم فيها ممثلى العمال فى المجلس ()
- ٢ -- أصبح لممثلى العمال فى المجلس دور ورأى فى إدارة المصنع إن صلحت نواياهم ونسيو مصالحهم الشخصية ()
- ٣ - أصبح فيه فرصة أن تتوافق أهداف ممثلى العمال فى المجلس مع الأعضاء المعينين فى المجلس ()
- ٤ - كثير من الأعضاء المعينين بدعوا يغيروا وجه نظرهم تجاه مشاركة العمال فى إدارة المصنع وقبلوا الوضع الجديد ()

القسم الثانى

نشاط الرابطة

oboi.kandi.com

تقرير عن ندوة

« العالم الإسلامى والتحدى الحضارى »

إعداد الدكتور / عزة محمد علي البجيرى (*)

قامت رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة عين شمس بعقد ندوة تحت عنوان « العالم الإسلامى والتحدى الحضارى » وذلك فى الفترة من ١٥ - ١٧ جمادى الأولى ١٤١٧هـ الموافق ٢٨ - ٣٠ سبتمبر ١٩٩٦ م ، وذلك بقرار الطباعة بجامعة عين شمس .

وقد ناقشت الندوة عدداً من البحوث تناولت مختلف التحديات التى تواجه العالم الإسلامى . فقد تناولت أ.د. منى الحماقى - أستاذ الاقتصاد بجامعة عين شمس ، والتحديات الاقتصادية التى واجه العالم الإسلامى من خلال بحثها حول « موقع الدول الإسلامية من تشابك المصالح الاقتصادية الدولية » حيث عرضت لتطور تشابك المصالح الاقتصادية الدولية وموقع الدول الإسلامية سواء فيما يتعلق بالدول المصدرة للبترول أو الدول حديثة العهد بالتصنيع أو حديثة التصدير وكذلك الدول الأقل نمواً والدول غير المصدرة للبترول . وحللت معطيات حجم التجارة البيئة بين الدول الإسلامية ورأت ضرورة دعمها بشكل فعال ، وانتهت الباحثة إلى أن الدول الإسلامية تمتلك موقفاً هاماً على خريطة العلاقات الاقتصادية الدولية ودعت إلى أهمية دعم تشابك المصالح بين الدول الإسلامية لتمكين من مواجهة التحديات الراهنة وعلى رأسها التكتلات الاقتصادية واتفاقية إنشاء منظمة التجارة العالمية .

وفى بحث آخر تناول أ.د. محمود أحمد شوق مستشار رئيس رابطة الجامعات الإسلامية « التحديات المستقبلية » التى تواجه العالم الإسلامى ومهمات التربية فى التغلب عليها « وقد عرض سيادته لهذا الموضوع فى قسمين تناول فى الأول أهم التحديات التى تواجه العالم الإسلامى سواء تلك المتعلقة بالأوضاع العالمية المعاصرة أو المتصلة بالتقدم العلمى والتقى المعاصر أو بالأحوال الداخلية للعالم الإسلامى المعاصر . وناقش فى

(★) مدرس القانون الدولى الخاص - كلية الشريعة - جامعة الأزهر - طنطا .

القسم الثانى المهمات الأساسية للتربية فى مواجهة هذه التحديات ، ويركز على عنصرين أساسيين من التربية هما السياسة التعليمية والمناهج الدراسية ، ويرى أن إسهام السياسة التعليمية يمكن أن يتم من زوايا عدة تتلخص فى المواد سياسيات رشيدة للتعليم فى الدول الإسلامية وجعل التعليم فى معاهد مسنولية مشتركة بين جميع مؤسسات البيئة وقيادتها والعمل على شمول التعليم لجميع من لهم الحق فيه وتوظيف جميع الوسائل والطرق ووسائل التقنية الحديثة فى سبيل الوصول لهذه الغاية وبالنسبة للمناهج الدراسية فقد رأى أنها مهمة صعبة - بالتناسب مع ما يحدث فى المجتمع من تطورات ويقدر ما يواجهه من تحديات وأن أهم ما يمكن عمله هو العناية بالتوجيه الإسلامى للعلوم المختلفة والاهتمام بالعلوم الحديثة .

وينتهى أ.د. محمود شوق إلى القول أن تحقيق المسلمين لأهدافهم يكمن بالدرجة فى قدرتهم على استشراف آفاق المستقبل واستطلاع العوامل المؤثرة فيه ومعرفة التحديات التى تحول دون تحقيق هذه الأهداف ثم التخطيط العلمى لتربية تعد جيلاً يقهر هذه التحديات ليقبل الأمة من عثرتها ويضعها على منصة الانطلاق الحضارى .

ثم قدمت أ.د. سهير محمد أحمد إبراهيم الأستاذ بكلية التجارة - بنات بجامعة الأزهر بحث حول « الإفراط فى استهلاك الموارد وفقدان الأمن البشرى كأحد التحديات التى تواجه العالم الإسلامى المعاصر » وقد قسمه إلى أربعة أقسام :

الأول : عن زيادة استهلاك الموارد الطبيعية فى العالم .

الثانى : التهديدات البيئية المصاحبة للإفراط فى استهلاك الموارد الطبيعية .

الثالث : فقدان الأمن الشرى كظاهرة عالمية ناجمة عن التدنى البيئى وسوء الاختيارات الإنسانية .

الرابع : قواعد الشريعة الإسلامية المتعلقة بضبط الاستهلاك .

وتنتهى الباحثة للإشارة إلى المنهج الإسلامى فى الحفاظ على الموارد والذى يقوم على أربعة مبادئ هى :

أولاً : بيان الحلال والحرام .

ثانياً : الاعتدال والوسطية .

ثالثاً : تحريم الاكتناز .

رابعاً : صيانة الموارد الطبيعية .

وعرضت الأمثلة من التاريخ الأول للإسلام للتدليل على ذلك . وخلصت إلى أن اسباب مكونات التعاليم الإسلامية فى قضايا الافراط فى الاستهلاك وفقدان الأمن البشرى تعد علاجاً حاسماً لهذه القضايا .

وفى بحث آخر تحت عنوان « الإستعمار الأجنبى المباشر فى الدول الإسلامية وموقف الاقتصاد الإسلامى منه ، وتناول أ.د. محمد بن على العقلا بقسم الاقتصاد الإسلامى بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية مفهوم الإستعمار الأجنبى المباشر وأهمية فى الوقت الحاضر .

ثم تحدث عن محددات الإستعمار الأجنبى المباشر فى الدول الإسلامية وتطور تدفقاته أم بأثره على التراث والثقافة سواء فيما يتعلق بالبيئة أم باستهلاك . ثم انتقل إلى آثار الإستعمار الأجنبى المباشر فى الدول الإسلامية وموقف الاقتصاد الإسلامى من الإستعمار الأجنبى المباشر والضوابط الأساسية للإستعمار المشترك بين المسلم وغير المسلم سواء ما تعلق بالضوابط الشرعية أم بالضوابط التنظيمية .

ثم قدم الأستاذ ماهر عبد المحسن الباحث محرك الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر بحثاً بعنوان « نحو حوار حضارى بين المسلمين وغيرهم » تناول فيه مفهوم الحضارة عموماً ومفهوم الحضارة الإسلامية بوجه خاص ثم حلل أسباب الازمة الحضارية فى العالم الإسلامى وكيفية رجوعها إلى العقل بوصفه السبب وطريق الحل . ثم عرض للنظام العالمى الجديد وأهم معالمه ودور المسلمين فى صياغته وكذلك عرض لمسألة الحوار الحضارى وآدابه سواء كان داخلياً أم خارج الأمة الإسلامية .

ثم قدم أ.د. محمد السعيد جمال الدين الأستاذ بكلية آداب عين شمس بحثاً للمؤتمر

بعنوان : « الدلالات الحضارية لنظرية الذاتية عند المفكرين المحدثين » والذي بدأ بالتأكد على أهمية مسألة الهوية في ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد واستعرض آراء المفكرين في مفهوم وأهمية الذاتية ، ويرى سيادته أن للأمة الإسلامية ذاتيتها المحددة المعالم الواضحة القسما ، وأنها مطالبة بالحفاظ على سنتها وتقاليدها وأدابها ، ومطالبة أيضاً بالسير قدماً في تحقيق غاياتها ومقاصدها وأوضح كيفية ذلك سواء في مجال التطبيق السياسي والاجتماعي .

وفي بحث بعنوان : « الاقتصاد الإسلامي في مواجهة التحدي الحضاري » قدمه الدكتور فخرى أبو صفية بجامعة اليرموك بالأردن ويرى أن نقطة الانطلاق في هذا البحث أنه أصبح لزاماً على المسلمين أن يشغلوا جهودهم ويعملوا فكرهم في الكشف عما في الإسلام من مبادئ وتوجيهات اقتصادية ، وكيفية تطبيق تلك المبادئ على واقعنا المعاصر سيما وقد احتلت المشكلة الاقتصادية على العموم مكاناً فسيحاً في عقول الناس وقلوبهم . وقام الباحث بدراسة الحقائق الاقتصادية العالمية في عقول الناس وقلوبهم . وقام الباحث بدراسة الحقائق الاقتصادية العالمية وقرر أن للدولة دور فعال في حل المشاكل الاقتصادية . وإن الإسلام اعتبر تدخل الدولة إلى جانب الحرية الفردية أصلاً مكملاً لبعضهما مرتبطان بالوازع الديني لدى الأفراد في المجتمع المسلم . وأن التشريع الإسلامي وضع قواعد لضبط حياة الإنسان تتدرج ضمن التدبير الآلهي للكون وقام الباحث بعرض موجز للمقاصد العامة في الشريعة . وتأصيلها في الاقتصاد الإسلامي . واختتم البحث بعدة توجيهات لتفعيل دور القواعد الاقتصادية الإسلامية في عملية التنمية الاقتصادي في الدول الإسلامية .

وقدم الأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندي أستاذ الشريعة الإسلامية ووكيل كلية الحقوق - جامعة طنطا بحثاً بعنوان : « العالم الإسلامي ومعضلاته السياسية والاقتصادية » وبدأ البحث بدراسة للتحديات السياسية في العالم الإسلامي ورأى أن الإسلام مستهدف من قوى دولية عديدة تريد اضعاف الأمة وهز أركانها ، وذلك رغم الكثرة العددية للسكان والتنوع الهائل في الثروات والموارد ، ويعتقد سيادته أن مكن الخطورة في هذه الأوضاع المتداعية هي مخالفة الصورة الواقعية للعالم الإسلامي عن الوضع المفترض فيه . ويرى أن نقطة البدء في وضع منهج لمجابهة المعضلة السياسية هو بذل الاخلاص والصدق في المسعى نحو بلوغ الهدف المرجو إلا وهو تحقيق الوحدة الضائعة بالوسائل الفعالة والمناسبة وتلمس المصلحة العامة للأمة .

ثم عرض أ.د. الجندى للتصور المعاصر للوحدة الإسلامية . ثم انتهى إلى مسألة التحدى الاقتصادى ورأى أن الأشكالية الحقيقية التى تواجه الأمة ككل هى التخلّى طوعاً أو كرهاً عن المفاهيم الاقتصادية الإسلامية بوجه خاص وتنحيتها جانباً وتغييبها عن ساحة الواقع العملى وقصرها على قاعات البحث والدراسة .

وفى بحث بعنوان : « النظام العالمى الجديد وآثاره على العالم الإسلامى » قدم الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الوهاب المهبرى نائب مدير جامعة الإمارات العربية المتحدة ، عرضاً لمراحل تطور النظام الدولى والذى بدأه بمؤقر فىنا ١٨١٠م مبرزاً أهم ملامح كل مرحلة ، وتساءل : هل نحن على أعتاب نظام دولى أبدى موضحاً موقف الاتجاهين المتقابلين فى هذا الشأن . وقام ببيان آثار النظام الدولى الجديد فى المجالات السياسية والعسكرية والجيو - سياسية والاقتصادية ، ورأى أن المنطقة العربية والإسلامية من أكثر المناطق تأثراً بالتغيرات الدولية خصوصاً بعد التحولات الأخيرة وأهمها انهيار الاتحاد السوفيتى خصوصاً فى ظل تفتت وحدات الأمة وعجز مؤسساتها على القيام بدور فعال ومؤثر . وانتهى إلى أن المسلمين يمكنهم استخدام أسلحتهم الفعالة مثل سلاح البترول الذى استخدموه بنجاح خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وعن « مشكلة التخلف الحضارى عند المسلمين » قدم أ.د. حامد طاهر أستاذ الفلسفة الإسلامية وعميد كلية دار العلوم بمصر بحثاً لهذه الندوة موضحاً فى البداية صعوبة دراسة هذه المشكلة ورأى أن الأوربيين قد سبقوا المسلمين أنفسهم فى التنبه لمشكلة التخلف الحضارى فى العالم الإسلامى وخصوصاً فى النصف الثانى من القرن السابع عشر ، وقام باستعراض آراء المؤرخين فى أسباب تخلف المسلمين وكيف يمكن للمسلمين أن ينزعوا عن أنفسهم وصف التخلف والسير فى ركب الحضارة بها وأخذ مكان الريادة فيها أعمالاً لقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ... الآية ﴾ .

وقدم أ.د. رأفت غنيمى الشيخ عميد معهد الدراسات الآسيوية بجامعة الزقازيق بحثاً للمؤقر تحت عنوان : « أشكال العمل الإسلامى المشترك » بدأه بعرض مقومات الوحدة الإسلامية المنشودة ومشكلات العالم الإسلامى المعاصر ، وموقف المسلمين من

الصهيونية . وعرض لكيفية مواجهة المسلمين للمشكلات المعاصرة ، ثم قدم تعريفاً مفصلاً بكل من منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي ورابطة الجامعات الإسلامية وغيرها من المنظمات . وقد تبين من خلال هذا البحث أن دعم العمل الإسلامي المشترك قد أصبح ضرورة ملحة لدفع الأمة نحو التقدم والأزدهار .

وعن مصادر المعرفة عند المسلمين ، الأصل - الذات - الواقع قدم الدكتور / مجدى محمد إبراهيم شفيق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - فرع نواكشوط بحثاً للندوة وتناول فيه مصادر المعرفة عند المسلمين واقعاً وعملاً معنى يتعلق بالأصل فقد قرر أنه الدين الإسلامي الشرعية والمنهاج والمنهج الشامل فى نظمه وقواعده ويرى أن التحدى الذى يواجه الأمة الإسلامية لا يواجهها بمفردها ، إنما هو تحدى لأصلها الذى هو أصل الجميع وهو ما يجب أن ننتبه إليه ، وبالنسبة للذات فيراه فى منهج التفكير لأنه يصيغ حياة الفرد وحياة المجتمع بصورة شبه تامة من سلوك خاضع لهذا التفكير وهذا ما حدث لشعوب مختلفة فى مراحل تاريخية متعاقبة ، وبالنسبة للواقع فقد رأى أن المسلم يجب أن يفهم الواقع المحيط به جيداً حتى يمكنه أن يتعامل معه انطلاقاً من كون الإسلام ديناً أقرب إلى العموم الشامل لكل ما استجدد ما يمكن أن يستجد أعمالاً لقوله تعالى : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً } .

وقدمت الدكتورة / نجلاء بهجت ناجى محمد - الأستاذ المساعد بكلية طب الأسنان بجامعة طنطا بحثاً بعنوان : « التوجيه الدينى للتعليم وأثره فى التحدى الحضارى » وبدأته بالتأكيد على أن إتقان العمل هو فضيلة كبرى نسيها المسلمون وأخذها الغرب وتقدم تأسيساً عن تحسين وإتقان العمل ، ولخصت الباحثة الدور الذى يجب أن تقوم به الأمة الإسلامية بأنه ينقسم إلى اتجاهين : أولهما - على المستوى المحلى بتوضيح وفهم وإرساء مبادئ الدين الإسلامى الحنيف والإهتمام بالعلم والتعليم الدينى على كافة مستويات التعليم ومراحله ، أما فيما يتعلق بهذا الدور على المستوى الدولى ، فالتعاون والتماسك هو أساس علاقات الدول الإسلامية بعضها ببعض ، وأن ذلك سوف يسهم إيجابياً نحو علاقتها بالدول الغربية .

وقدمت أ . د / زينب عفيفى شاکر - أستاذ مساعد الفلسفة الإسلامية بكلية

الأداب - جامعة المنوفية بحثاً بعنوان : « العالم الإسلامى بين مقومات الوجود وتحديات إشكاليات الأصالة والمعاصرة والتعددية فى القوى السياسية » .

وتناولت فى بدايته مقومات وجود الأمة الإسلامية ومقوماته فى الماضى والحاضر وملك مسألة الوحدة الإسلامية وهل هى حقيقة أم خيال وأحلام وذلك من المنظور التاريخى وعرض لمعوقات حلم الوحدة الإسلامية . ثم خصصت الباحثة قسماً من بحثها لدراسة بعض التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية وخصوصاً فيما يتعلق بإشكالية الأصالة والمعاصرة والتعددية الإسلامية من خلال توضيح مواقف مختلف الجماعات والطوائف والمنظمات الإسلامية .

وشارك الأستاذ الدكتور / محمد مصطفى هدارة - الأستاذ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية - بحث حول : « المجتمعات الإسلامية فى مواجهة التغريب » تناول فيه التحديات الحضارية المختلفة التى واجهت المسلمين وتواجههم وانتهى إلى أن المجتمعات الإسلامية مطالبة اليوم بالوحدة ونبذ الدعاوى القومية والعصبية القبلية والنزعات العرقية ، وهى مطالبة - فى مواجهة التغريب - بالوحدة فيما بينها فى النشاط الاقتصادى والعلمى والثقافى ، وإذا تم ذلك استطعنا أن نواجه حركة التغريب بدعوى الحدائة والمعاصرة التى تسلمت إلى مجتمعاتنا الإسلامية منذ أكثر من قرن على استحياء ، وهامى ذى تنتفض قرب نهاية القرن العشرين فى استعلاء ، وقد آن لذوى الفكر الإسلامى أن يكشفوا عوارها ، ويطفئوا نارها .

وقدم الأستاذ / نبيل عثمان - رئيس الهيئة العامة للإستعلامات بمصر بحثاً تحت عنوان : « الهوية الثقافية الإسلامية وتحديات النظام الإعلامى الدولى » .

ويدأ بدراسة لتكنولوجيا الإعلام والإتصال فى العالم المعاصر وإنعكاساتها سواء ما تعلق بأقمار البث المباشر أو الألياف الضوئية أو الطريق السريع للمعلومات وشبكة الأنترنت ، ثم تناول تأثيرات تكنولوجيا الإتصال الحديثة سواء فى المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية ، ثم عرض لمفهوم الهوية الإسلامية ومقوماتها والمخاطر المحيطة بها وخصوصاً الأخطار المتعلقة بالتطور الإعلامى العالمى المعاصر وخطر التمزق من الداخل ، ثم أوضح فى الجزء الثالث من البحث لاستراتيجيات المواجهة وأهمها ما يتعلق ببلورة أوضح

لهويتنا وترسيخ مقومات ثقافتنا وكذا تطعيم الفرد في المجتمع المسلم ببنائه فكرياً وثقافياً بناءً سليماً لا يجعله عرضة للتأثير بتيارات الإعلام والثقافة الوافرة ، ثم ختم البحث بعرض تجربة الإعلام المصري في عصر الفضائيات والبيث المباشر .

وأخيراً قدم أ . د / شوقي عبده الساهي - أستاذ السياسة الشرعية (المتفرغ) بجامعة الأزهر بحثاً حول : « الفكر الإسلامي وموقفه من التيارات الفكرية العالمية » .

وتناول تيار فكرة الوطنية وتيار فكرة القومية ، وموقف الفكر الإسلامي من القوميات ، وتأثير المسلمين بالفلسفة القومية ، وأوضح أسباب تأثر الشعوب الإسلامية بالفكر الماركسي وخطورة تأثيره على الشعوب الإسلامية ، ثم أوضح قدرة الفكر الإسلامي على التحدي الحضاري في كافة المراحل التاريخية وكيف أن هذا الفكر يتحرك غالباً باتجاه العلم والتكنولوجيا ، ثم خلاص أ . د / الساهي - إلى أن نتائج البحث في صورة طرق لإقامة حضارة إسلامية معاصرة وأهمها صياغة العقائد والنظم والمبادئ الإسلامية صياغة قوية مركزة مستمدة من القرآن والسنة وإقامة المؤسسات الإسلامية الأصلية والمتطورة لإبراز الأنظمة الاقتصادية والتربوية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والإعلامية المستمدة من العقيدة الإسلامية ، وعن طريق اجتهاد علماء المسلمين في شتى ميادين العلم والمعرفة والدخول في معترك السباق التكنولوجي والمادي ، وإستغلال كل وسائل الإعلام المتاحة كوسائل لتنفيذ وتطبيق حضارة إسلامية معاصرة ، والتبشير بها والدعوة إليها .

وبعد تقديم هذه البحوث ومناقشته على مدى جلسات المؤتمر والتي استمرت ثلاثة أيام خلصت الندوة إلى التوصيات الآتية :

١ - تأكيد الهوية الرسلامية وتحقيق التضامن القوي بين الدول الإسلامية في جميع المجالات وبخاصة في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام والتربية والتقنية.

٢ - الالتزام بالثوابت الإسلامية وعدم التفريط فيها وإنهاض الفكر الإسلامي لإستيعاب متغيرات العصر .

٣ - الاهتمام بالتنمية البشرية بإعتبارها العنصر اذساسى في التحدي الحضارى وبناء الإنسان المسلم المؤمن بعقيدته المواقب لعصره .

- ٤ - إنشاء مجموعة من المؤسسات على مستوى العالم الإسلامى تجمع فيها طاقاته فى مختلف المجالات مهمتها البحث عن أساليب التقدم المواكبة للعصر فى هذه المجالات.
- ٥ - الدعوة إلى دعم منظمة المؤتمر الإسلامى بعقد ميثاق دفاع مشترك بين الدول الإسلامىة وإنشاء محكمة عدل إسلامىة .
- ٦ - الإهتمام باللغة العربىة الفصحى فى كل المؤسسات التعلیمیة والإعلامیة والثقافیة والعمل على نشرها فى الدول الإسلامىة غیر العربىة بإعتبارها عنصر الربط والوحدة بین الشعوب الإسلامىة .
- ٧ - أوصت الندوة باتخاذ عدة تدابیر منها :
 - (أ) إنشاء قناة إعلامیة إسلامیة تسعى إلى تعمیق الهوية الإسلامیة وتأكيد الوجود الحضارى الإسلام .
 - (ب) إصدار كتیبات باللغات الأجنبیة الحیة تصوب الأخطاء الشائعة عن الإسلام .
 - (ج) التصدى للإتجاهات الفكریة الغربیة والمحاولات الإعلامیة التى تسعى إلى محو الشخیصیة الإسلامیة وتغریبها .
 - (د) متابعة ما ینشر فى الدول غیر الإسلامیة من كتب ووسائل إعلامیة وكشف ما فیها من أخطاء تتعلق بالإسلام وتصوبها .
- ٨ - دعم العلاقات الاقتصادیة بین الدول الإسلامیة وتأكيد مكانتها فى العلاقات الاقتصادیة الدولیة وذلك من خلال :
 - (أ) دعم إمكانات التبادل التجارى من الدول الإسلامیة والإهتمام بإنشاء مناطق حرة فیها .
 - (ب) دعم الاستثمارات واستخدام التقنیة الحدیثة .
 - (ج) التعاون فى مجال دعم أسواق الأوراق المالیة فى الدول الإسلامیة .
 - (د) تنفيذ القرار الصادر بإنشاء سوق إسلامیة مشتركة .

(هـ) توجيه فائض الأموال فى الدول الإسلامية الثرية إلى الاستثمار فى الدول الإسلامية الأخرى .

(و) تنظيم أموال الزكاة فى مؤسسات مستقلة بإستثمارها فى التنمية البشرية والاقتصادية .

٩ - دعوة المؤسسات التربوية فى العالم الإسلامى إلى تحقيق ما يلى :

(أ) العناية بالتربية الإسلامية فى مختلف مستويات التعليم وأنواعه تحقيقاً لبناء الشباب المسلم .

(ب) التركيز على الثقافة الإسلامية فى المستوى الجامعى لتحقيق تواصل المتعلم بمنابع دينه وقضايا عصره .

(ج) توجيه المناهج الدراسية بمختلف مستويات التعليم وأنواعه توجيهاً إسلامياً حماية لشباب الأمة الإسلامية من التغريب .

(د) الحرص على مواكبة المناهج الدراسية للتقدم العلمى والتقنى المعاصر .

(هـ) العناية بطرق التفكير والحوار الحر والتعليم الذاتى المستمر وبالقدرة على حل المشكلات واكتساب المهارات العلمية والتطبيقية .

(و) الاهتمام على جميع المستويات للقضاء على الأمية بجميع أنواعها فى المجتمعات الإسلامية .

١٠ - تكوين لجنة من رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة عين شمس الراعيتين للندوة لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات .

وما زال العمل مستمراً بالأمانة العامة للرابطة لدراسة ومواجهة التحديات المستقبلية التى تواجه الأمة الإسلامية فى القرن المقبل من خلال الدراسات والأبحاث المعمقة فى مختلف التخصصات .

تقرير عن ندوة التحديات التربوية التي يمكن أن تواجه العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين

إعداد أ. د. / محمود أحمد شوق (*)

عقدت رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسسكو) في الفترة ما بين ١٢ - ١٥ شوال ١٤١٨ هـ الموافق ١٠ - ١٣ فبراير ١٩٩٨م ندوة بمدينة الأقصر ، كان موضوعها :

التحديات التربوية التي تواجه العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين

شارك فيها علماء من كل من مصر والمغرب وفلسطين والأردن وباكستان وإيطاليا وبلجيكا وأذربيجان ، وكل من جامعات القاهرة : وعين شمس والمنوفية والأزهر والمنيا .

وقد انعقدت الندوة تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر ، و برئاسة معالي الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم - رئيس جامعة الأزهر ، ونائب رئيس رابطة الجامعات الإسلامية .

ولقد أمضى المؤتمرون ثلاثة أيام كاملة ، ناقشوا خلالها أكثر من ثلاثين بحثا وتقريراً ، كما شاركوا في حلقة نقاشية موضوعها :

التحديات التي تواجه تعليم أبناء المسلمين في الدول غير الإسلامية

تحدث فيها ستة باحثين من إيطاليا وبلجيكا ومصر .

كما قام المشاركون في الندوة بزيارة المعالم السياحية لمدينة الأقصر ، تحقيقاً لهدف الرابطة من اختيار مدينة الأقصر مقراً للندوة .

ولقد تحدث في الجلسة الافتتاحية كل من :

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر ، نائب رئيس الرابطة ، رئيس الندوة

الأستاذ الدكتور / جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية ، أمين عام الندوة

(*) مقرر عام الندوة .

الأستاذ الدكتور / محمد شتاتو

ممثل المدير العام لمنظمة الإيسسكو

الأستاذ الدكتور / محمود أحمد شوق

مقرر عام الندوة ، مقرر لجنة التحديات التربوية ، مستشار رئيس الرابطة

كما تحدث في الجلسة السيد اللواء / سلمى سليم

رئيس المجلس الأعلى لمدينة الأقصر

وكان من أهم أهداف الندوة تحقيق ما يلي :

- ١ - إبراز ملامح الواقع التربوي المعاصر للعالم الإسلامى .
- ٢ - إبراز المتغيرات العالمية ذات الأثر على المسيرة التربوية فى العالم الإسلامى .
- ٣ - تحديد أهم التحديات التربوية التى يمكن أن تواجه العالم الإسلامى فى القرن الحادى والعشرين .
- ٤ - بيان الآليات المناسبة لمواجهة هذه التحديات .
- ٥ - بحث مهمات رابطة الجامعات الإسلامية فى مواجهة هذه التحديات .

وقد دارت فعاليات الندوة حول أربعة محاور على النحو التالى :

- أولاً : الواقع التربوي المعاصر فى مختلف مراحل التعليم وأنواعه بالعالم الإسلامى .
- ثانياً : التحديات التى يمكن أن يواجهها العالم الإسلامى فى مختلف المجالات التربوية فى القرن المقبل .
- ثالثاً : مهمات الجامعات الإسلامية فى مواجهة هذه التحديات .
- رابعاً : مهمات المؤسسات الأخرى - فى العالم الإسلامى - فى مواجهة هذه التحديات .

وبعد مناقشة هذه المحاور فى ضوء ما تناولها من بحوث وعلى أساس دراسة الأساليب والإجراءات المتعلقة بكل منها ، توصل أعضاء الندوة إلى توجيه التوصيات التالية إلى الدول والشعوب وقادة العالم الإسلامى ومختلف منظماته بشكل عام ، وإلى

قيادات منظمة المؤتمر الإسلامى ورابطة الجامعات الإسلامية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة « الإيسسكو » ومختلف الجامعات أعضاء رابطة الجامعات الإسلامية ، على وجه الخصوص .

أولاً : بالنسبة للعالم الإسلامى :

١ - تنشيط دور التربية الدينية ونشر الثقافة الإسلامية فى مختلف مستويات التعليم حفاظاً على الهوية الإسلامية ، ووقاية للشباب من الوقوع فى مصيدة التطرف والانحراف ، وذلك من خلال :

(أ) العناية باكتساب المهارات الخاصة باللغة العربية ، قراءة وكتابة وفهماً وتعبيراً.

(ب) العناية بحفظ قدر مناسب من القرآن الكريم ودراسة الجوانب المناسبة من السنة، بما يساعد المتعلم على السلوك الإسلامى القويم .

(ج) رفع مستوى تدريس العلوم الشرعية ، بما يجعلها تناسب مراحل نمو المتعلم وحاجاته وثقافته ، ويحقق التكامل بين مختلف فروعها .

(د) إسهام كل من المقررات الدراسية التى يدرسها المتعلم والمناخ المدرسى فى مساعدة المتعلم على اكتساب السلوك الإسلامى القويم .

(هـ) التوجيه الإسلامى لمختلف المقررات الدراسية ، تحقيقاً للتكامل بينها وبين العلوم الشرعية .

(و) الحرص على إيجاد القدوة فى المجتمع المدرسى ، والتعريف بنماذج السلوك والعلاقات المستمدة من السيرة النبوية ومن سلوك الصحابة .

(ز) العناية بتدريس مقررات الثقافة الإسلامية فى المستويين الثانوى والجامعى .

٢ - تقوية الانتماء إلى الأمة الإسلامية وذلك من خلال :

(أ) دراسة إسهامات العلماء المسلمين السابقين فى إبداع المنهج العلمى للبحث ، ودراسة اكتشافاتهم فى مختلف العلوم الطبيعية والبحثية والاجتماعية والإنسانية .

- (ب) دراسة التاريخ الإسلامى ، وبخاصة السيرة النبوية وسير الصحابة .
- (ج) دراسة إسهامات العلماء المسلمين المعاصرين فى التقدم العلمى والتقانى المعاصر .
- (د) التعرف على الإمكانيات الكبيرة لدول العالم الإسلامى - سواء على المستوى المادى أو البشرى - التى يمكن أن يحقق تكاملها طفرة كبيرة فى فعالية العالم الإسلامى فى تشكيل النظام العالمى الجديد .
- ٣ - تكوين الشخصية المبدعة لدى المتعلمين وذلك من خلال :
- (أ) إتاحة حرية التفكير والتعبير والحوار والنقد بالنسبة للمتعلمين ، ومساعدتهم على اكتساب المهارات اللازمة لذلك .
- (ب) تدريب المتعلمين على الرجوع إلى مختلف مصادر المعلومات وبخاصة شبكات المعلومات .
- (ج) مساعدة المتعلمين على اكتساب مهارات البحث العلمى والتعاون فيه والتمكن من مهارات التعلم الذاتى .
- (هـ) التركيز على النشاط التربوى والرحلات العلمية والعمل الميدانى .
- ٤ - العمل على عبور الفجوة المعاصرة فى مجال التقدم العلمى والتقانى واللاحق بهذين المجالين مستقبلا وذلك من خلال :
- (أ) استثمار أساليب التقانة وأدواتها فى مختلف جوانب العملية التعليمية مثل الإدارة التعليمية والمدرسية والقبول والتخرج .
- (ب) استخدام شبكات المعلومات لمتابعة المستحدثات فى العلوم المختلفة ، ومساعدة الطلاب على اكتساب المهارة فى التعامل معها .
- (ج) استمرار تطوير المناهج الدراسية بحيث تتمكن من متابعة ما يستجد فى مجالات العلوم والتقانة واستثمار التقانة فى عمليات البحث العلمى والتقييم .
- (د) مراعاة متطلبات التقدم العلمى والتقانى عند اختيار المعلم وإعداده وتدريبه .
- (هـ) الاستفادة بجهود المنظمات الدولية المعنية بالتنمية البشرية فى تطوير مختلف جوانب العملية التعليمية ، مع المحافظة على الخصوصية الثقافية .

(ح) استمرار الاتصال بمراكز البحوث العلمية والتقانية العالمية للتعرف على إنجازاتها ، واستثمار هذه الإنجازات فى إنهاض العلوم والتقانة وتطبيقها فى العالم الإسلامى .

(و) استثمار التقانة الحديثة فى بث برامج تعليمية للتعليم عن بعد .

(ز) العمل على تطوير برامج خدمة المجتمع بالجامعات بما يحقق استخدام التقانة فى مواجهة مشكلات المجتمع المحلى والإسلامى ، وفى شتى الجوانب المكملة للعملية التعليمية .

٥ - فتح آفاق التعاون بين المؤسسات التربوية فى العالم الإسلامى وذلك من خلال :

(أ) استثمار المنظمات الإسلامية الحالية المعنية بقضايا التربية والتعليم مثل المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة واتحاد الجامعات العربية إضافة إلى رابطة الجامعات الإسلامية ومنظمة الإيسسكو فى تحقيق التكامل والتنسيق بين الخطط والمناهج الدراسية فى الدول الإسلامية .

(ب) تبادل الخبرات بين دول العالم الإسلامى فى مجالات العمل التربوى بما يحقق وحدة السياسات والأهداف التربوية بين هذه الدول ، مع المحافظة على خصوصية كل مجتمع .

(ج) عقد الندوات والمؤتمرات التى تسهم فى مواجهة المشكلات التعليمية والتحديات التربوية التى تواجه الدول الإسلامية بعامة .

(د) إصدار دوريات مشتركة ، وتبادل المطبوعات والكتب والرسائل الجماعية .

(هـ) تبادل الكفاءات بين دول العالم الإسلامى - بعد إعدادها الإعداد المناسب وبخاصة فيما يتعلق بالإعداد اللغوى والبنى .

(و) إعداد خريطة للبحث العلمى على مستوى العالم الإسلامى ، تمكنه من استثمار الطاقات المتوافرة فيه ومواجهة تحديات القرن القادم .

(ز) التعاون فى مجال إيقاف نزيف العقول البشرية الذى يتعرض له العالم الإسلامى ، والعمل على استثمار المهاجرين منهم لصالح هذا العالم .

ثانياً: بالنسبة للأقليات الإسلامية :

١ - الحفاظ على الهوية الإسلامية لأبناء الأقليات المسلمة وذلك من خلال انتماءهم :

(أ) استمرار تثقيف أبناء الأقليات المسلمة تثقيفاً يعزز انتمائهم إلى الأمة الإسلامية .

(ب) إعداد المناهج والكتب الدراسية المناسبة لبيئتهم باللغات التي يتحدثون بها في المهجر .

(ج) حسن اختيار المعلمين وإعدادهم بحيث يؤدون الرسالة الموكلة إليهم بكفاءة ، وبخاصة فيما يتعلق بالتعريب والثقافة الإسلامية وإتقان اللغة المحلية للأقليات .

(د) إيفاد صفوة مختارة من مفكرى العالم الإسلامى للالتقاء بأبناء هذه المجالات فى بلادهم ، للتعرف على مشكلاتهم والإسهام فى حلها تخفيفاً لأعبائهم ، وتحقيقاً للتواصل معهم .

(هـ) توظيف التعليم عن بعد فى تعليم أبناء الأقليات الإسلامية المفاهيم الأساسية للدين الإسلامى .

(و) وقاية الأقليات الإسلامية من الصراعات المذهبية التى تصدر إليهم من العالم الإسلامى ، تحقيقاً لوحدهم وتيسيراً لاعتراف دول الاغتراب بحقوقهم .

٢ - دعم العلاقات العلمية والثقافية مع الأقليات الإسلامية . وذلك من خلال تكوين لجنة دائمة تعمل على تطوير سبل الاتصال بهم وتنمية علاقتهم بالجامعات الإسلامية وبحث مشكلاتهم ودراسة ما يتقدمون به من مشروعات للتعاون .

مقرر عام الندوة

أ. د / محمود أحمد شوق

تقرير عن مؤتمر

الدراسات الإسلامية عند غير العرب

إعداد الدكتور / عزن همد علي البحيري (*)

عقدت رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع كلية الدراسات الإنسانية - بجامعة الأزهر مؤتمراً كبيراً حول « الدراسات الإسلامية عند غير العرب » في الفترة من ١٣ - ١٥ محرم ١٤١٨هـ الموافق ٢٠ - ٢٢ مايو ١٩٩٧م .

وقد افتتح المؤتمر أ . د / أحمد عمر هاشم - نيابة عن الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، ومعالى أ . د / عبد الله بن عبد المحسن التركي - وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ورئيس الرابطة ، أ . د / محمود حمدي زقزوق - وزير الأوقاف بجمهورية مصر العربية .

وقد تميز المؤتمر بالحضور الكبير ، والعدد الضخم من الأبحاث العلمية ، وقد جاوز المشاركون في المؤتمر الخمسمائة سواء من مصر أو من خارجها من إيطاليا والنمسا وإيران وأفغانستان ومن سائر الدول العربية .

وقد قُدم إلى المؤتمر عدد كبير من البحوث نوقشت على مدى الأيام الثلاثة للمؤتمر ، وقد قسمت محاور المؤتمر على الوجه التالي :

المحور الأول : التأثيرات الشرقية في الدراسات الإسلامية .

المحور الثاني : التأثيرات الغربية في الدراسات الإسلامية .

المحور الثالث : موقف الفكر الغربي من بعض القضايا مثل :

١ - مركز المرأة في الإسلام .

٢ - الاجتهاد في الإسلام .

٣ - النظام الاقتصادي .

٤ - قضايا الأسرة .

٥ - قضايا حقوق الإنسان .

(*) مدرس القانون الدولي الخاص - كلية الشريعة - جامعة الأزهر - طنطا .

ونظراً إلى العدد الكبير للبحوث المقدمة إلى هذا المؤتمر فنكتفى بعرضها مصحوبة بأسماء كاتبها وذلك على النحو التالي :

١ - مدينة سمرقند دورها في الحضارة الإسلامية .

أ . د / عفاف السيد زيدان

٢ - البيروني مؤرخاً .

أ . د / بديع محمد جمعة

٣ - الكتيبة الكامنة : حركة الجهاد الصوفية في القوقاز .

أ . د / محمد السعيد جمال الدين

٤ - المنهج الفكري عند الفارابي وابن سينا

أ . د / أحمد الخولي

٥ - انتشار الإسلام في بلاد الأرنأوط .

أ . د / أحمد فؤاد متولى

٦ - تفسير القرآن الكريم عند الترك .

أ . د / عبد العزيز محمد عوض الله

٧ - الدراسات الإسلامية في الاستشراق الإسرائيلي .

د / جلاء إدريس

٨ - الدولة العثمانية و « عقد الذمة » .

د / هويدا محمد فهمي

٩ - شمس العرب تسطع على الغرب .

عرض وتحليل أ . د / طه مصطفى أبو كريشة

التوصيات

أولاً : أن الدراسات الإسلامية التي يقوم بها غير المسلمين سواء في المشرق أو المغرب قد قدمت خدمات جليلة للفكر الإسلامي ، وعاونت منذ دخل الإسلام هذه البلاد أو عرف بين أهلها في تجلية العديد من المفاهيم في مجال تفسير القرآن الكريم ودراسات العقيدة والفلسفة الإسلامية والفقهاء الإسلامي ، كما عاونت على جمع أحاديث الرسول * وتحقيقتها ونشرها .

ثانياً : أن هناك - مع ذلك - دراسات أخرى غير موضوعية وغير محايدة قد نالت كثيراً من الإسلام وقيمه ومبادئه ، مما يوجب على الهيئات الإسلامية وعلى رأسها الأزهر الشريف ورابطة الجامعات الإسلامية أن تناقشها بالموضوعية اللازمة وأن تبين وجوه الخطأ فيها .

وقد وافق المؤتمر على القيام بالتدابير الآتية تجاه هذه الدراسات :

١ - الاهتمام بدراسة وتحليل الدراسات الإسلامية التي يقوم بها غير العرب - خاصة من غير المسلمين - وتبيان الفائدة التي تضيفها للعلوم الإسلامية عن طريق مركز متخصص يقام في جامعة الأزهر أو رابطة الجامعات الإسلامية ، يقوم بتتبع كل ما ينشر عن الإسلام والمسلمين في أى مكان ويرد عليه .

٢ - الاهتمام بإقامة جسور علمية وثقافية مع الجامعات الإسلامية ومختلف جامعات العلم عن طريق الاتفاقات ومختلف الروابط الأخرى ، بهدف دعم الدراسات الإسلامية والعربية وتطويرها وتنميتها بما يخدم أهداف الإسلام والمسلمين .

٣ - يوصى المؤتمر بضرورة تقديم المساعدات لإقامة المعاهد والمراكز والكلبيات التي تعنى بالدراسات العربية والإسلامية في مختلف أنحاء العالم .

ثالثاً : يوصى المؤتمر بمتابعة تنفيذ قرارات وتوصيات مؤتمرات جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية عن طريق أمانة عامة تقوم - فضلاً عن متابعة التنفيذ - بإقتراح عقد المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية بين الجامعات الإسلامية والجامعات الغربية والشرقية ، وسائر جامعات العالم بما يخدم الدراسات الإسلامية والعربية .

رابعاً ؛ يوصى المؤتمر بتقديم كافة المساعدات من قبل الجامعات والهيئات الإسلامية لأبناء المسلمين الذين يعيشون في خارج البلاد الإسلامية من أجل القضاء على ظاهرة تغريب الجيل الثانى وربطه بوطنه الإسلامى مع احترام أنظمة وقوانين وعادات وتقاليد شعوب الدول التى يعيشون فيها .

خامساً ؛ تيسير الدراسات الإسلامية والعربية لغير العرب فى الجامعات الإسلامية العربية بما يراعى ظروفهم ومستوى إلمامهم باللغة العربية .

سادساً ؛ التعاون بين رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر على وضع برامج متعلقة عن الإسلام والمسلمين وبشها على مختلف القنوات الفضائية وكذا المشاركة فى الشبكات العلمية التى تبث المعلومات رلى مختلف دول العالم كشبكة الإنترنت وغيرها .

سابعاً ؛ إنشاء مركز للترجمة يقوم بترجمة كل ما يكتب من دراسات عن الإسلام بلغات غير عربية إلى العربية كما يقوم بترجمة الدراسات الإسلامية العربية الأصلية إلى اللغات غير العربية أوربية كانت أو شرقية .

أهم توصيات ندوة التحديات الاجتماعية التي تواجه الأمة الإسلامية خلال القرن القادم

التي عقدت بمقر رابطة الجامعات الإسلامية

بتاريخ ١١ / ١١ / ١٩٩٧

إعداد الدكتور / نبيك السمالوطي (*)

اجتمع المدعون إلى ندوة دراسة التحديات الاجتماعية التي تواجه المجتمعات والأمة الإسلامية في القرن القادم وأساليب مواجهتها . وقد لبي الدعوة خمس وعشرون أستاذاً بعضهم عمداء معاهد للخدمة الاجتماعية مثل عميد المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بكفر الشيخ وعميد معهد سوهاج ، وبعضهم وكلاء كليات ورؤساء أقسام وأساتذة في تخصصات الخدمة الاجتماعية ، وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في الجامعات المصرية .

وقد تدارس الحاضرون ورقتي العمل المقدمة من مقرر لجنة التحديات الاجتماعية بالرابطة ، وخلص الحاضرون إلى عدة توصيات أهمها ما يلي :

أولاً : الأهمية القصوى لدراسة أساليب الحفاظ على ذاتية الشخصية الإسلامية بأخلاقياتها وقيمها وسلوكياتها الصحفية البعيدة عن التعصب أو التطرف أو التحيز أو الصراعات العرقية أو اللوتية أو القيمة أو الدينية ... الخ ، ومواجهة موجات العولمة التي تستند إلى ما هو سائد في الغرب ، الأمر الذي يهدد التميز في الشخصية الإسلامية ويهدم الفروق في الشخصيات الوطنية والقومية ، وبلغى البعد التاريخي للشخصية المسلمة والوطنية . وهذا يلقي مسؤولية كبيرة على أجهزة التنشئة الاجتماعية اعتباراً من الأسرة والحضانة إلى الجامعة ، وأجهزة الثقافة والإعلام والترفيه وعلى المؤسسات الدينية ... الخ .

ثانياً : أهمية دراسة أساليب الغزو الفكري والثقافي المخطط لاختراق ثقافة وفكر الإنسان من مواطني المجتمعات الإسلامية ، سواء من خلال العوامل الخارجية مثل القنوات

(*) مقرر لجنة التحديات الاجتماعية ومقرر الندوة .

الفضائية أو الإذاعات أو الكتب أو الصحف أو المجلات أو الجمعيات غير الحكومية ذات الطابع الدولي ، أو عن طريق مراكز البحوث الأجنبية على قنوات التليفزيون وبرامج الإذاعة الوطنية في الدول الإسلامية ويتصل بهذه النقطة كيفية تخصيص أبناء المجتمعات الإسلامية ، وتحسين التنظيمات الإعلامية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تلك المجتمعات في مواجهة كافة محاولات الاختراق الخارجي .

ثالثاً: تكليف متخصصين على مستوى عالٍ لتحديد أبرز التحديات التي تواجه الأسرة في المجتمعات الإسلامية وأهم السبل العملية والعلمية لمواجهتها ، مثل ضعف إمكانات الشباب وعزوفهم عن الزواج ، وسوء اختيار الطرف الآخر ، ومشكلات الطفولة ، وما يتصل بها من دراسة احتياجات الطفولة وتوعية الآباء بأسس التربية الصحيحة ومواجهة انشغال الوالدين بالعمل في الخارج عن أداء هذه المهمة الرئيسية ... ويتصل أيضاً بمشكلات الطفولة دراسة مدى توافر الحضانات الكافية ، ومدى توافر الامكانيات المادية والبشرية فيها . ويتصل أيضاً بالتحديات الأسرية ضعف ميزانية الأسرة واشكالية استيعاب الأطفال في المدارس الابتدائية ، واشكالية عمالة الأطفال وما يتصل بها من قوانين قابلة للتطبيق ... الخ .

رابعاً: الاهتمام بدراسة التحديات التي تواجه المرأة في المجتمعات الإسلامية ، سواء التحديات المخططة خارجياً متمثلة في انخفاض وعي المرأة وانتشار الأمية الهجائية والدينية والثقافية بنسب كبيرة في تلك المجتمعات ، ومتمثلة في ما تواجهه المرأة من صراعات في الأدوار والأجيال والقيم والعمل ويتصل بهذه النقطة دراسات مشكلات الطلاق والتفكك الأسري والصراعات الأسرية ... الخ ، وحقوق المرأة وواجباتها في الأسرة والعمل والمجتمع ... الخ .

خامساً: التركيز على دراسة التحديات التي تواجه الشباب ، والوصول إلى الأساليب العلمية والعملية لمواجهتها ، ومنها مشكلات القدوة لدى المراهقين وانتشار بظالة الخريجين من المراحل المتوسطة أو الجامعية ، وعدم توظيف طاقات الشباب الهائلة أو تخطيط استثمار هذه الطاقات في خدمة تنمية مجتمعهم . ويتصل بالتحديات قصور الوعي الديني لدى الشباب أو ما يمكن أن نطلق عليه الأمية الدينية ، مما يجعلهم يقعون أسرى أدعياء الدين من متعصبين ومتطرفين وإرهابيين ، وإلى تبنى الأفكار المنحرفة

والغربية والمضللة ويتصل بالتحديات مدى توافر مؤسسات كافية لممارسة حقوق الشباب في العمل والترفيه الموجه ، وفي ثقافة موجهة من خلال مؤسسات تدار بأسلوب علمي .

ومن التحديات أيضاً انخفاض دخول الشباب بشكل يحول دون تكوين أسرة ، وعن الدخول في مشروعات صغيرة . أضعف إلى هذا المعوقات البيروقراطية التي تواجهها الشباب عند دخولهم في مجال المشروعات الإنتاجية أو الخدمية أو السياحية الصغيرة ويتصل بالتحديات ما يواجهه الشباب من محاولات تغريب سواء خارجية أو داخلية .

سادساً؛ الاهتمام بالفهم العلمي للتحديات السكانية ذات الأبعاد الثلاث وهي :

(أ) توزيع السكان على مساحة المجتمع .

(ب) خصائص السكان الاجتماعية والمهنية والصحية والطبيعية .

(ج) معدلات الزيادة الطبيعية للسكان .

وهنا يجب التركيز على مشكلات الانفجار السكاني أو التخلل والكثافة السكانية، وعلى نوعية السكان ومدى ملائمتها لخدمة خدمة مختلف برامج التنمية وصنع التقدم لمجتمعاتهم . وفي هذا مواجهة لمشكلات السكان والتنمية معاً .

سابعاً؛ التركيز على المشكلات التي تتصل بالإسكان ومواجهة العشوائيات التي بدأت تشكل ظاهرة في العديد من المجتمعات الإسلامية . وهذه الظاهرة لها علاقة وثيقة بالعديد من التحديات والمشكلات التي تعاني منها تلك المجتمعات مثل سوء التخطيط العمراني أو انعدامه ، والضغط على المرافق ، والمناطق المتخلفة في المدن Siums والجريمة الفردية والمنظمة والإدمان والتطرف . كذلك يتصل بهذه المشكلة قضية الهجرات العشوائية من الريف إلى الحضر .

ثامناً؛ التركيز على تنمية المجتمعات الفردية أو الريفية حتى تستعد دورها الإنتاجي والجذب السكاني بعد أن تحول بعضها إلى مجتمعات استهلاكية قل فيها الدور الإنتاجي للأسر وبعد أن أصبحت مناطق طرد سكاني بكل ما يمثله هذا من مشكلات اقتصادية وحضرية واجتماعية وثقافية ... الخ ، وهذا يتطلب التنمية الشمولية المستمرة للريف اقتصادياً وبشرياً واجتماعياً وصحياً ... الخ .

تاسعاً؛ الاهتمام بقضية ميكنة الزراعة ونقل التقنية الأجنبية المناسبة للبيئات المحلية، واستيعابها وتوطينها والتجديد فيها، سواء في مجالات الزراعة أو الصناعة أو التعليم أو الترفيه أو التجارة أو المواصلات أو الاتصالات... الخ، بما يحقق النقلة الحضارية المخططة للمجتمعات الإسلامية إلى القرن الواحد والعشرين.

عاشراً؛ التركيز على التنمية الصحراوية حيث أن أغلب الدول المسلمة تنتشر فيها صحراوات شاسعة، يمكن استثمارها من خلال توظيف الموارد المتاحة بشكل مخطط، ومن خلال توطين البدو ومواجهة مشكلات المياه والتصحر ونقص الخبرات ونقل التكنولوجيا.

حادي عشر؛ مواجهة الجرائم الوافدة على ثقافة الإسلام وعلى الثقافات الوطنية ذات العمق التاريخي في الدول المسلمة مثل جرائم التطرف والإرهاب والتعصب والاعتصاب. وهي كلها تقع تحت مسمى الحراية والافساد في الأرض التي يحاربها الإسلام حرباً لا هوادة فيها. هذه الجرائم الوافدة بفعل تخطيط أجنبي متعاون مع عناصر داخلية عميلة تمثل خطورة كبرى على أمن الدول الإسلامية، وعلى برامج التنمية داخلها.

ثاني عشر؛ البحث عن أبرز أسباب تراجع دور المؤسسات غير الحكومية في بعض الدول الإسلامية، والعمل على تنمية دور العمل الأهلي في كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والصحية... تحقيقاً لمزيد من التنمية المتكاملة من خلال آلية المشاركة الشعبية الديمقراطية في اتخاذ القرار، والتخطيط والتنمية. ويتضح الأهمية الكبرى لهذه المؤسسات في ضوء عجز الحكومات عن القيام بمختلف برامج التنمية التي تتطلبها المجتمع، وفشل التجارب التي اعتمدت على الحكومة مصدراً للتنمية.

ثالثاً عشر؛ إقرا ورقتي العمل المقدمتين من مقرر لجنة التحديات الاجتماعية واعتبارها ورقة مدروسة بعناية تضمنت غالبية التحديات الكبرى الواقعية المطلوب دراستها ومواجهتها حتى تتمكن المجتمعات الإسلامية من الانطلاق لتحقيق رسالتها في الأمن والتنمية والتقدم والرعاية الاجتماعية لأبنائها بما يتفق مع مقتضيات العصر.

تقرير عن ندوة

التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل

إعداد/ منير شوق

استمراراً لنشاط الرابطة البحثي والثقافي المعنى بدراسة التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل عقد برحاب جامعة الإمارات العربية المتحدة ندوة « التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل » خلال الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧ والتي تضمنت المحاور الآتية :

المحور الأول : المحور السياسي :

ويشمل هذا المحور دراسة ما يلي :

- ١ - أهم التحديات الداخلية للأمة الإسلامية .
- ٢ - أهم التحديات الخارجية للأمة الإسلامية .
- ٣ - مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي .
- ٤ - العلاقات السياسية مع القوى الكبرى المهيمنة على العالم .
- ٥ - القوة الذاتية التي يمكن أن تكتسبها الأمة الإسلامية في القرن المقبل .
- ٦ - التواجد السياسي الإسلامي في المنظمات العالمية .
- ٧ - المنظمات السياسية الإسلامية ومدى فاعليتها في تحقيق الأهداف العامة الإسلامية .

المحور الثاني : المحور الاقتصادي :

ويشمل هذا المحور دراسة ما يلي :

- ١ - التحديات الاقتصادية الداخلية بشكل عام .
- ٢ - التحديات الاقتصادية الخارجية بشكل عام .

- ٣ - أثر المنظمات الاقتصادية الإسلامية مثل « البنك الإسلامي للتنمية » و « منظمة التجارة الإسلامية » فى التنمية فى العالم الإسلامى .
- ٤ - إمكانيات تطور هذه المنظمات لمواجهة قضايا العصر .
- ٥ - البنية الاقتصادية للدول الإسلامية لإظهار عوامل القوة والضعف فيها ، وإمكانيات تطورها .
- ٦ - إمكانيات إيجاد آليات للتكامل الاقتصادى الإسلامى بداية من المناطق الحرة ، والاتحادات الاقتصادية ... الخ .
- ٧ - الاستثمارات المالية للدول الإسلامية الأخرى وأثرها على الدول الإسلامية .
- ٨ - المعونات الاقتصادية التى تقدم من الدول الإسلامية ، وكذلك التى تقدم إليها بمختلف أشكالها وأنواعها وأثرها على الدول الإسلامية .
- ٩ - التبادل التجارى بين الدول الإسلامية ومع غيرها من القوى الدولية ، وكيف يمكن تفعيلها لصالح الدول الإسلامية .
- ١٠ - المشروعات المشتركة والاستثمارات القائمة بين الدول الإسلامية ، وبينها .

المحور الثالث : التحدى الحضارى :

ويشمل هذا المحور دراسة ما يلى :

- ١ - عطاء حضارة الإسلام فى مسيرتها لطويلة والتحديات التى تعرضت لها ، وكذا التحديات التى يمكن تواجها فى القرن المقبل .
- ٢ - العوامل المميزة للحضارة الإسلامية والعطاء الذى قدمته للإنسانية ، وإلى أى مدى يمكن لها أن تسهم فى العطاء الحضارى الإنسانى فى القرن المقبل .
- ٣ - الاتهامات التى تثار ضد الحضارة الإسلامية فى الوقت الحاضر ، وكيفية مواجهتها ، مثل : (التخلف - الإرهاب - العنصرية - الانغلاق) .

- ٤ - تجلية عطاء الحضارة الإسلامية فى الدراسات العلمية ذات الطابع التجريبي - بصفة خاصة - وكيف يكن وصل ما انقطع من هذه الدراسات .
- ٥ - كيفية إمكان إحياء الدور الفعال للحضارة الإسلامية ، وتعظيم عطائها فى مختلف مجالات الحياة داخل الدول الإسلامية وخارجها فى القرن المقبل .
- ٦ - التفاعل بين الحضارتين الإسلامية والغربية وكيفية استثمار هذا التفاعل لصالح البشرية فى القرن المقبل .

المحور الرابع : التحديات التربوية :

ويشمل هذا المحور دراسة ما يلي :

- ١ - الواقع المعاصر للتربية والتعليم فى العالم الإسلامى .
- ٢ - مدى وفاء التربية والتعليم بحاجة العالم الإسلامى المعاصرة .
- ٣ - التحديات المختلفة من داخل العالم الإسلامى ومن خارجه التى تواجه التربية والتعليم فى العالم الإسلامى .
- ٤ - أهم التطورات العالمية المعاصرة فى مجال التربية والتعليم .
- ٥ - حاجة العالم الإسلامى المستقبلية فى مجال التربية والتعليم .
- ٦ - مدى قدرة المؤسسات التربوية والتعليم على الوفاء بهذه الحاجات .
- ٧ - اعداد هذه المؤسسات للاضطلاع بمهامها فى إنهاض العالم الإسلامى بما يواكب حاجة العالم الإسلامى المستقبلية .
- ٨ - مهمات الجامعات الإسلامية فى مساعدة هذه المؤسسات فى الاضطلاع بهذه المهمات .

المحور الخامس : التحديات الإعلامية :

ويشمل هذا المحور دراسة ما يلي :

- ١ - واقع الإعلام المعاصر فى العالم الإسلامى .

- ٢ - أهم الاتجاهات الحديثة فى الساحة الإعلامية العالمية .
 - ٣ - التحديات التى تواجه الإعلام فى الوقت الحاضر من داخل العالم الإسلامى ومن خارجه .
 - ٤ - مدى قدرة الإعلام فى العالم الإسلامى على مواجهة هذه التحديات .
 - ٥ - خطة لتطوير الإعلام فى العالم الإسلامى لمواجهة هذه التحديات وبوابك الإعلام فى الساحة العالمية .
 - ٦ - مهمات الجامعات الإسلامية فى إنجاز هذه الخطة .
- المحور السادس : التحديات التكنولوجية :**
- ويشمل هذا المحور دراسة ما يلى :
- ١ - القضايا العلمية المثارة ومنها (الاستنساخ - نقل الأعضاء - استخدامات الهندسة الوراثية ما له وما عليه) .
 - ٢ - نقل التكنولوجيا (براءات الاختراع - الحاسب الآلى ... إلخ) .
 - ٣ - تكوين منظمات إسلامية تعمل بأمر البعث العلمى وتقوية المؤسسات المتواجدة داخليا وخارجيا .
 - ٤ - المشروعات العلمية المشتركة بين البلدان الإسلامية والدول الأخرى ومدى تأثيره على البعث العلمى داخل الدول الإسلامية .
 - ٥ - فتح قنوات اتصال بين المؤسسات العلمية والبحثية بالبلدان الإسلامية والمؤسسات العلمية العالمية للاستفادة من الخبرات العلمية والتكنولوجية بما يخدم مشاريع التنمية بالبلدان الإسلامية .
 - ٦ - إنشاء مراكز متخصصة تعنى بالمشروعات العلمية والتكنولوجية ودعمها ماديا .
 - ٧ - الاهتمام بالبعث العلمى داخل الجامعات الإسلامية .

واتفق المتناقشون فى الندوة على تحديد أهم المشكلات التى تواجه التعليم فى العالم

الإسلامى فيما يلى :

١ - الاهتمام بالكف فى العملية التعليمية على حساب الكيف .

٢ - القصور فى التخطيط التعليمى .

٣ - مراكز إدارة التعليم وعدم اشتراك المجتمع فى شؤنه .

٤ - عدم الاهتمام بالبحث العلمى والتجريب التربوى فى تطوير التعليم .

٥ - تخلف التعليم عن التقدم العلمى والتقنى .

٦ - مشكلات خاصة بالمعلم .

٧ - مشكلات خاصة بالمناهج الدراسية .

٨ - مشكلات خاصة بالعملية التعليمية .

وفى سبيل مواجهة تلك التحديات اتفقت الآراء على ضرورة تكريس دور الجامعة

الإسلامية فى مواجهة التحديات وتوصية الحكومات وأصحاب القرار فى العالم الإسلامى

للإهتمام والإرتقاء المستوى التعليمى والثقافى للمواطن منذ الطفولة حتى المشيب ،

واتخاذ الخطوات والتدابير الآتية :

١ - إسهام عناصر المجتمع - غير العاملين فى مجال التعليم وتخطيطه وتقديمه

وتطويره .

٢ - الاهتمام بتخطيط العملية التعليمية .

٣ - القضاء على الأمية .

٤ - التنسيق بين التعليم الرسمى وغير الرسمى .

٥ - عدم استعارة نظم تربوية من الخارج .

٦ - إعداد الباحثين فى مجال التربية إعداداً جيداً

- ٧ - التنسيق مع مؤسسات التعليم ومؤسسات المجتمع الأخرى .
- ٨ - الإهتمام بالمعلم مادياً ومعنوياً .
- ٩ - الإهتمام بالمنشأة التعليمية .
- ١٠ - تطبيق الأسلوب العلمى فى تخطيط وتنفيذ المناهج الدراسية .
- ١١ - تنقية المناهج من الحشو والتكرار .
- ١٢ - الإهتمام بمناهج العلوم الشرعية .
- ١٣ - توجيه العلوم توجيهاً إسلامياً .

ومن خلال المناقشة تم تقسيم التحديات السياسية التى تواجه الأمة الإسلامية إلى :

أولاً : تحديات سياسية داخلية وينظر إليها على مستويات الفكر والنظم والحركة ضمن التحديات ما يعود إلى الفكر السياسى أو يتجلى فيه ومنها ما يتمثل فى النظم والمؤسسات ومنها ما يتضح أكثر ضمن أنماط الحركة السياسية وأساليبها .

ثانياً : التحديات السياسية الخارجية التى تتمثل فى موقع العالم الإسلامى فى مواجهة التكتلات السياسية والاقتصادية الغربية ومدى مقدرته على التفاعل والحصول على الدور اللائق والطبيعى فى علاقاته السياسية مع العالم غير الإسلامى .

وقد تناولت البحوث المقدمة التحولات الفكرية فى الكتلة الشرقية وما تخلف عن هذا التحول فى مواجهة العالم الأوربى والأمريكى والتقارب والاتفاق ومدى إنعكاس هذه التحولات على الدول الإسلامية سلباً وإيجاباً والاتجاه الحالى نحو استعداد الإسلام منه موقف العدو وما يستتبع ذلك من ضرورة انهاض الكيان السياسى الإسلامى وتقويته اقتصادياً وأهمية التحالف الإسلامى سياسياً واقتصادياً بالتقوى على مسايرة التحولات الكبرى وتفاعل منها حضارياً .

أيضاً إبراز الفكر الإسلامى بما يحمل من قيم التسامح والحرية فى مواجهة الادعاءات الباطلة عند مقارنة الشورى فى الإسلام بالديمقراطية الغربية وأوصى المناقشون

بضرورة إعطاء مساحة أكبر للتعبير والمشاركة السياسية الفاعلة داخل المجتمعات الإسلامية وهنا يبرز دور الجامعات الإسلامية التي يترى فيها الكوادر والقيادات السياسية والاجتماعية التي تقود المجتمع الإسلامى إلى رحاب العلم والتقدم والإزدهار .

تتمثل التحديات الحضارية التي تواجه العالم الإسلامى فيما يلى :

أولاً : الأمية المتفشية بين المسلمين .

ثانياً : الحكم فى كثير من البلاد الإسلامية بغير الشورى .

ثالثاً : التخلف الثقافى المتفشى بين معظم المسلمين فى البلاد النابوية .

رابعاً : الصراعات والخلافات بين الدول الإسلامية .

خامساً : الفقر .

سادساً : التكتلات الخارجية السياسية والاقتصادية .

سابعاً : سيطرة القوى الكبرى على مقدرات العالم الإسلامى .

وقد تناولت البحوث المقدمة الاتهامات التي تتعارض ضد الحضارة الإسلامية مثل التخلف والإرهاب والعنصرية والإنغلاق وفقدان المناقشات والآراء المتداولة هذه الاتهامات لأنها ليست إلا محض إفتراء على الحضارة الإسلامية والدين الإسلامى يخص على العلم وعلى الاهتمام بأسباب التقدم والرقى تجارياً وصناعياً وزراعياً أيضاً ليس صحيحاً ما يثار أن الفئنة المأجورة التي لطخت الإسلام وشوهدت صورته وحملت السلاح وروعت الأمية هى الصورة الحقيقية للإسلام الذى يدعو إلى التسامح والإخاء وينبذ الإرهاب ولم يفرق الإسلام بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى والناس سواسية كأسنان المشط ولم يفرق بين سيد وعمد بل ألغى الرق والعبودية التي لا تكون إلا لله فقط وإنفتاح الإسلام على الحضارات الأخرى ... لا تقبل الجدال وعوره الزاهرة خبر شاهد على ذلك .

ومن هنا أجمع المتناقشون على أهمية الاستفادة من عطاء العصور الزاهية فى الإسلام لقد لتدعيم الحاضر وتقويته والإعداد للمستقبل والأخذ بنواحي العلم والتكنولوجية ولن يتأتى ذلك إلا بإتباع منهجى الصالحين من الأولين والإهتمام باللغة العربية لغة القرآن الكريم ونشرها وتعليمها .

تتمثل التحديات الإعلامية التي تواجه العالم الإسلامي في :

- ١ - نقص الكوادر الإعلامية المدربة .
- ٢ - ضحالة الثقافة الإسلامية وضعف الاهتمام باللغة العربية الفصحى .
- ٣ - افتقار غالبية القائمين على الإعلام في وسائل الاتصال إلى القدوة الحسنة .
- ٤ - سيطرة الدول الكبرى على وسائل الإتصال والإعلام العالمية .
- ٥ - افتقار وسائل الإعلام في العالم الإسلامي إلى التحويل .
- ٦ - افتقار السياسة الإعلامية في العالم العربي والإسلامي إلى المرجعية الإسلامية .

ولمواجهة التحديات الإعلامية أوصى المتناقشون بما يلي :

- ١ - إعداد كوادر إعلامية مؤهلة تأهيل علمياً وثقافياً ودينياً ولغوياً جيداً .
- ٢ - إنشاء محطات فضائية وتليفزيونية وإذاعية لبث المواد الإعلامية .
- ٣ - الاهتمام بالمواد الإعلامية المقدمة من خلال شبكات ومحطات الفضائيات الإسلامية الحالية .
- ٤ - توفير الأموال اللازمة لإنشاء مزيد من الإذاعات والمحطات الفضائية ودعم المحطات القائمة .
- ٥ - نشر الثقافة الإسلامية والاهتمام بالتربية والتعليم حتى يتوقى المواطن المسلم ما يبث من مواد إعلامية لا توافق الأخلاق والقيم الإسلامية والإنسانية .

تتمثل التحديات الاقتصادية التي تواجه العالم الإسلامي فيما يلي :

- ١ - إنخفاض الناتج القومي في الدول الإسلامية .
- ٢ - تبعية إقتصاديات كثيرة من الدول بنظم إقتصادية خارجية .
- ٣ - غرق كثير من الدول في الديون الخارجية .
- ٤ - قلة الموارد المائية اللازمة لقيام الزراعة .

٥ - عدم استغلال المناطق الشاسعة لكثير من الدول فى الزراعة وإقامة المشاريع الاقتصادية .

٦ - عدم الاهتمام بالأبحاث الاقتصادية والدراسات المؤهلة للنحو الاقتصادى .

٧ - عدم استغلال فوائض بيع البترول العربى الاستغلال الأمثل .

٨ - ضعف مستوى التجارة والتبادل الاقتصادى بين الدول الإسلامية .

وأوصى المتناقشون بأهمية البعد الاقتصادى لتتقدم الدول الإسلامية وذلك عن طريق :

١ - زيادة التبادل التجارى بين الدول الإسلامية .

٢ - إقامة الصناديق الإنمائية بين الدول الإسلامية .

٣ - توجيه الاستثمارات الإسلامية الخارجية لصالح الدول الإسلامية .

٤ - الإهتمام بالمشروعات الاستثمارية المشتركة .

٥ - رفع مستوى كفاءة الفرد داخل المنشأة الاقتصادية .

٦ - ترشيد الانفاق الحكومى فى كثير من الدول الإسلامية .

٧ - إزالة الحواجز الجمركية فى وجه الصادرات بين الدول الإسلامية .

٨ - الإهتمام بمستوى المنتج الاقتصادى ليضارع نظيره فى البلاد الأوربية .

٩ - فتح وإقامة مشروعات اقتصادية بالتعاون مع الجهات الاقتصادية والاستثمارية العالمية لاستصلاح الأراضى الصحراوية والتوسع فى إقامة الموانئ والمصانع .

١٠ - تقديم التسهيلات والحواجز الكافية لجذب رؤوس الأموال الأجنبية للإستثمار داخل البلاد الإسلامية .

تتمثل التحديات التكنولوجية فيما يلى :

١ - القضايا العالمية المثارة منها : الإستنساخ - نقل الأعضاء - استخدامات الهندسة الوراثية ما له وما عليه .

٢ - تأخر الدول الإسلامية تكنولوجياً .

٣ - عدم وجود منظمات إسلامية تعنى بالبحث العلمي .

٤ - ضعف التعاون العلمي بين الدول الإسلامية .

٥ - ضعف إمكانيات البحث العلمي .

٦ - عدم الإكتراث بالإنجازات والدراسات العلمية .

وأوصى المتناقشون بما يلي :

١ - توخى الحذر والثقة فى استخدامات الهندسة الوراثية والتجارب التى يتم إجراؤها لاستنساخ البشر فى المعامل والمحافل العلمية العالمية .

٢ - وضع الضوابط الأخلاقية الكافية لمنع التلاعب بالأجناس البشرية .

٣ - إنشاء مراكز بحثية متخصصة فى البلاد الإسلامية .

٤ - دعم البحث العلمى وإعطاؤه الأولوية فى ميزانيات الدول الإسلامية .

٥ - الاستفادة من الهندسة الوراثية فى مجال الزراعة .

٦ - فتح قنوات إتصال بين المؤسسات العلمية والبحثية بالبلدان الإسلامية والمؤسسات العلمية العالمية بما يخدم مشاريع التنمية بالبلدان الإسلامية .

هذا وقد حضر الندوة وشارك فيها لفييف من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات

الإسلامية من مصر والإمارات والسعودية وقطر والأردن والعراق والكويت وباكستان

والمغرب وسوريا وفلسطين والسودان وعمان والبحرين ولبنان وشارك فيها عدد من السفراء

والشخصيات العامة ورجالات الدولة بدولة الإمارات العربية المتحدة .

القسم الثالث

التعريف بالأعضاء

oboi.kandi.com

تفاصيل عن بعض الأعضاء

١ - جامعة الزقازيق

- ١ - مقر الجامعة : الزقازيق - جمهورية مصر العربية .
- ٢ - العنوان البريدي : الزقازيق .
- العنوان البرقي : الزقازيق .
- تليكس :
- فاكسميلي : ٣٤٥٤٥٢ / ٠٥٥ .
- هاتف : ٧٤٧٨٧٥ - مباشر .
- ٣ - فروع الجامعة : فرع الجامعة بينها - محافظة القيوية - جمهورية مصر العربية .
- ٤ - سنة التأسيس : (١٣٩٤) هجرى (١٩٧٤) ميلادى .
- ٥ - نوع الجامعة : جامعة حكومية .
- ٦ - تبعية الجامعة : مستقلة .
- ٧ - نظام الدراسة فى الجامعة :
- فصلى (كلية الزراعة) - سنوى
- ٨ - لغة التدريس فى الجامعة :
- اللغة العربية . - اللغة الإنجليزية .
- ٩ - التقويم السنوى للجامعة :

نوع التقويم	البداية	النهاية
سنة دراسية	أكتوبر	يونيو
الفصول الدراسية	سبتمبر	فبراير الفصل الأول
عطلة طويلة	يوليو	سبتمبر

• سوف تتابع المجلة نشر تفاصيل عن الأعضاء فى أعدادها القادمة ، إن شاء الله .

١٠ - الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعة :

- ليسانس - بكالوريوس - دبلوم - ماجستير - دكتوراه .

١١ - توفر دراسات صيفية واعتمادها :

يوجد تدريب صيفي بكلية الهندسة لجميع الفرق فيما عدا طلاب السنة النهائية ولمدة شهر ونصف .

١٢ - توفر دراسات خاصة واعتمادها :

١٣ - الكليات والأقسام التي تضمها الجامعة والدرجات العلمية التي تمنحها :

(أ) فرع الزقازيق :

- كلية الزراعة .

- كلية التجارة (الزقازيق وبنها) .

- كلية الطب (الزقازيق وبنها) .

- كلية الطب البيطري (الزقازيق وبنها) .

- كلية العلوم . - كلية التربية .

- كلية الآداب . - كلية الحقوق .

- كلية الصيدلة . - كلية الهندسة .

- كلية التربية الرياضية (بنين - بنات) .

- المعهد العالي للكفاية الإنتاجية .

- المعهد العالي للتمريض .

- معهد حضارات الشرق الأدنى القديم .

(ب) فرع بنها :

- كلية التجارة .

- كلية الهندسة .

- كلية العلوم .

- كلية الزراعة .

- كلية الآداب .

٢ - جامعة قطر

- ١ - مقر الجامعة : الدوحة - قطر .
- ٢ - العنوان البريد : ص.ب (٢٧١٣) الدوحة - دولة قطر .
- تـلـكـس : ٤٦٣٠ - جامعة - دوحه .
- فاكسمبلى : ٨٣٥١١١ .
- هاتف : ٨٩٢٠٥٤ - ٨٩٢٠٨٨ - بدالة ٨٣٢٢٢٢
- ٣ - فروع الجامعة : لا يوجد .
- ٤ - سنة التأسيس : (١٣٩٣) هجرى (١٩٧٣) ميلادى .
- ٥ - نوع الجامعة : جامعة حكومية .
- ٦ - تبعية الجامعة : مستقلة .
- ٧ - نظام الدراسة فى الجامعة : فصلى - ساعات متعددة .
- ٨ - لغة التدريس فى الجامعة : اللغة العربية .
- ٩ - الدرجات العلمية التى تمنحها الجامعة :
- الشهادة المرحلية .
- البكالوريوس .
- الدبلوم العامة .
- الدبلوم الخاصة .
- ١٠ - توفر دراسات صيفية واعتمادها : دراسات صيفية .
- ١١ - توفر دراسات خاصة واعتمادها : دراسات تكميلية .

٣ - جامعة الإمام الأوزاعي

- ١ - مقر الجامعة : بيروت .
- ٢ - العنوان البريدي : ص.ب (٥٣٥٥ / ١٤ .
- العنوان البرقي :
- تـلـكـس :
- فاكس : ٤٥٣-٧٠٤ (٠١) .
- هاتف : ٤٥٢-٧٠٤ (٠١) .
- ٣ - فروع الجامعة :
- ٤ - سنة التأسيس : ١٩٧٩ م .
- ٥ - نوع الجامعة : أهلية .
- ٦ - تبعية الجامعة :
- ٧ - نظام الدراسة في الجامعة : من أكتوبر إلى يوليو .
- ٨ - لغة التدريس في الجامعة : اللغة العربية .
- ٩ - الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعة :
- ليسانس
- ماجستير
- دكتوراه
- ١٠ - توفر دراسات صيفية واعتمادها :
- ١١ - توفر دراسات خاصة واعتمادها :
- ١٢ - الكليات والأقسام التي تضمها الجامعة :
- كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية .
- كلية إدارة الأعمال الإسلامية .

٤ - جامعة القرويين

- ١ - مقر الجامعة : فاس - المملكة المغربية .
- ٢ - العنوان البريدي : ص.ب : ٢٥٠٩ - فاس .
 - تـلـكـس :
 - فاكسميلي : ١٣ - ٥٥ / ٦٤١
 - هاتف :
- ٣ - فروع الجامعة :
 - كلية الشريعة - فاس .
 - كلية اللغة العربية - مراكش .
 - كلية أصول الدين - تطوان .
 - كلية الشريعة - أكادير أيت ملول .
- ٤ - سنة التأسيس : (١٢٤٥) هجرى (١٨٥٩) ميلادى .
- ٥ - نوع الجامعة : جامعة حكومية .
- ٦ - تبعية الجامعة : وزارة التربية الوطنية - التعليم العالى .
- ٧ - نظام الدراسة فى الجامعة : سنوى .
- ٨ - لغة التدريس فى الجامعة : اللغة العربية - لغات أخرى حية .
- ٩ - الدرجات العلمية التى تمنحها الجامعة :
 - شهادة الدراسات الجامعية العامة .
 - الإجازة العليا .
 - دبلوم الدراسات العليا (التخصص) .
 - دكتوراه الدولة (العالمية) .
- ١٠ - توفر دراسات صيفية واعتمادها : لا يوجد .
- ١١ - توفر دراسات خاصة واعتمادها : لا يوجد .

- ١٢ - الكليات التى تضمها الجامعة .
- كليتا الشريعة بنفاس وأكادير .
- كلية اللغة العربية بمراكش .
- كلية أصول الدين .
- ١٣ - المراكز والمعاهد العلمية فى الجامعة :
- مركز الدراسات والبحوث الإسلامية .
- ١٤- يتم قبول الطلبة فى : بداية العام الدراسى .
- ١٥ - شروط القبول :
- الشهادة الجامعية الأولى الحصول على الشهادة الثانوية (البكالوريا) .
- دبلوم دراسات عليا الحصول على الإجازة العليا .
- دكتوراه الدولة الحصول على دبلوم الدراسات العليا .

٥ - جامعة مرمره

- ١ - مقر الجامعة : استانبول .
- ٢ - العنوان البريدى :
- العنوان البرقى :
- تـلـكـس :
- فاكس : ٩٠ (٢١٢) ٥١٨١٦١٥ .
- هاتف : ٩٠ (٢١٢) ٥١٨٤٨٠٣ .
- ٣ - فروع الجامعة :
- ٤ - سنة التأسيس : ١٨٨٣ م .
- ٥ - نوع الجامعة : حكومية .
- ٦ - تبعية الجامعة : حكومية .
- ٧ - نظام الدراسة فى الجامعة : من أكتوبر إلى يونية .
- ٨ - لغة التدريس فى الجامعة : التركية - الإنجليزية .
- ٩ - التقويم السنوى للجامعة :
- ١٠ - الدرجات العلمية التى تمنحها الجامعة .
 - ليسانس .
 - بكالوريوس .
 - ماجستير .
 - دكتوراه فى الطب والقانون .
- ١١ - توفر دراسات صيفية واعتمادها : يوجد .
- ١٢ - توفر دراسات خاصة واعتمادها : يوجد .

١٣ - الكليات التي تضمها الجامعة :

- كلية العلوم والآداب .
- كلية الحقوق .
- كلية أتاتورك للتربية .
- كلية التربية التقنية .
- كلية الاقتصاد وإدارة الأعمال .
- كلية طب الأسنان .
- كلية علم الأدوية .
- كلية أصول الدين .
- كلية الفنون الجميلة .
- كلية الطب .
- كلية الاتصال .
- كلية الهندسة .
- معهد العلوم الاجتماعية .

القسم الرابع
إصدارات جديدة

o
b
e
i
k
a
n
d
.
c
o
m

الدول الإسلامية المستقلة في الشرق

عرض الدكتور / عز الدين إسماعيل أحمد

شد انتباهي ذلك المرجع الهام الذي حمل إلينا روح الإسلام الطيبة في الشرق ومدى ما بلغته الدول الإسلامية والإسلام في هذه البلاد من شأن وعزة أمام جحافل الشرك والمشركين ، والانتصارات العديدة التي حققها المجاهدين المسلمين في سبيل نشر الإسلام .

والكتاب الذي بين أيدينا في حوالي ٥٠٣ هـ صفحة من القطع الكبير وهو للأستاذ الدكتور عصام عبد الرؤوف الفقى أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة ، ويقع الكتاب فى ثلاثة أبواب ، يضم كل باب منها عدة موضوعات رئيسية تتناول تاريخ الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق ، كما أن الكتاب مزود بالعديد من الخرائط ، التى توضح سير الحملات الحربية الإسلامية ، والوقائع العسكرية التى انتصرت فيها الجيوش الإسلامية ، وحققت انتصارات باهرة على جحافل الشرك ، ومن العلامات المميزة لهذا الكتاب أنه مزود بجميع المصادر والمراجع العربية والأجنبية التى اعتمد عليها المؤلف ، ويتميز أسلوب الكتابة بالبساطة والبعد عن التعقيد ، كما عالج المؤلف موضوعاته بمنهجية تاريخية محايدة ، استند فيها إلى الوثائق والمراجع وآراء الكتاب والمعاصرين وشهود العيان فى تلك الوقائع التى حدثت ، كما خرج من كل ذلك بدروس مستفادة والكتاب هام وضرورى لكل المشتغلين بالتاريخ الإسلامى فى الشرق ، وكذلك الباحثين والمهتمين . وسوف نعرض الأفكار الرئيسية لهذا الكتاب .

تناول الباب الأول ظهور الإسلام فى طبرستان وجرجان وبلاد الديلم حيث قال « بدأ الفتح الإسلامى لطبرستان وجرجان فى عهد عثمان بن عفان ، وكان أول من غزاهم من العرب سعيد بن العاص والى الكوفة فى عهد عثمان بن عفان أن شن على هذه البلاد حملة اشترك فيها بعض الصحابة الأجلاء ومنهم الحسن والحسين ونجح سعيد فى فتح بعض بلدان طبرستان واستولى على سهلها والرومان والدينلوبنز . ثم سار إلى جرجان فى مائة ألف من أهل الشام والعراق وطبرستان على رأس جيش الموالى والمتطوعة ، وابتداءً بداغستان فحاصرها ، وكان أهلها من الترك وشدد عليهم الحصار ، حتى طلبوا الأمان فعقد معهم صلحا ، وغنم المسلمون مغنم كثيرة ، ثم خرج منها إلى جرجان واستقبله أهلها

بالصلح فصالح ملك الجرجان على مائتى ألف درهم ، على أن الفتح الإسلامى لطبرستان وجرجان فى عهد الراشدين لم يكن مستقراً ، فكانت تؤدى كل الإتاوة » .

وفى الباب الثانى وتحت عنوان الدولة الغزنوية يقول المؤلف : وقد حرص السلاطين الغزنويين على إظهار مدى ما حققوه من نجاح وتوفيق ضد أعداء الإسلام ، فكان محمود الغزنوى يرسل عقب كل غزوة يغزوها فى بلاد الهند خطاباً إلى الخليفة العباسى يتحدث فيه عما أحرزه من نصر للإسلام ، وكان الخليفة بدوره يرسل إليه التشجيع والتعظيم ، ففى سنة ٤٠٤ هـ - ١٠١٣ م فتح محمود بن سبكتكين نارددين ، فأرسل إليه الخليفة العباسى القادر بالله يجدد له العهد ولقبه بنظام الدين . وفى سنة ٤١٠ هـ ١٠١٩م لقب محمود بأبى الخليفة القادر بكتاب يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند جاء فيه « انتخب العبد ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف رجل ، وانضم جماهير من المتطوعين ، وخرج العبد من بلده فى العام التاسع ٤٠٩ هـ بقلب فانشرح لطلب الشهادة ، ففتح قلاعاً وحصوناً ، وأسلم زهاء عشرين ألفاً من عباد الأوثان وسلموا قدر ألف ألف درهم ، ووافى العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف قصر مشيد ، وألف بيت من الأصنام العظيمة زيادة على ألف صنم ، ولهم صنم معظم يؤرخون به لعظم جهالتهم بثلاثمائة عام .

كما حرص الخلفاء العباسيون بدورهم على اعتراف الغزنويين لهم بالسيادة على بلادهم ، فلما توفى الخليفة القادر بالله أرسلت الخلافة رسولا إلى السلطان مسعود تخبره بوفاة الخليفة وتوليه ولى عهده القائم ، فجلس السلطان مسعود للعزاء ثلاثة أيام وأمر بإقامة الخطبة للخليفة الجديد القائم بأمر الله فجلس السلطان ومعه رسول الخليفة بعد الصلاة فجاء بخزينة السلطان ووضعت تحت المنبر وبها عشرة آلاف دينار من السلطان للخليفة ، ثم أخذت الأموال تتوالى بعد ذلك من الأمراء وأئجال السلطان والوزير وكبير الحجاج وغيرهم ، وكان الموكلون يجمعون تلك الأموال ويحملونها إلى رسول الخليفة وهذا دليل على حرص السلاطين الغزنويين على صلات المجاملة بينهم وبين الخليفة العباسى . وما يجدر ذكره أن السلطان مسعود كان يطلب من الخليفة تفويضاً بحكم طبرستان وخوارزم وغيرهما ، كما طلب من الخليفة قطع صلته بأعدائه وخانات تركستان لذلك سخا فى هديته.

ومما لا شك فيه أن الرغبة فى الجهاد ورفع راية الإسلام فى غير بلاد الإسلام من أقوى الأسباب التى دفعت الفزنويين إلى القيام بفتوحاتهم فمن الثابت أن محمود الغزنوى كان مسلماً قوى العقيدة ، تواقاً إلى نشر الإسلام .

وتحت عنوان الدولة الخوارزمية يتناول المؤلف تاريخ هذه الدولة فيقول .. أسس الدولة الخوارزمية توشتكى أحد الأتراك فى بلاط ملكا شاه . وكان يشغل وظيفة الساقى ، ومازال يترقى فى سلك الوظائف ، وكان حسب الطريقة كامل الأوصاف ، وقد أدب أبنة محمد وأحسن تأديبه ، لذلك وقع اختيار أصدقائه بركياروق عليه ليكون حاكماً على إقليم خوارزم ولقبه بخوارزم شاه سنة ٤٩٠ هـ وكان حاكماً عادلاً ، وقرب أهل العلم والدين إليه ، فإزداد ذكره حسناً ومحلّه علواً ، ولما ملك السلطان سنجر السلجوقى خراسان أمر محمد خوارزمشاه على إقليم خوارزم وأعمالها فظهرت شجاعته وكفائته وعظم سنجر محلّه وقدره على أن الدولة السلجوقية بدأت تضعف بعد وفاة سنجر بينما أخذت الدولة الخوارزمية تزداد قوة واستطاع السلطان تكش أن يهزم ويقتل آخر السلاطين السلاجقة ، واستولى على ملكهم فى العراق والسرى وأصفهان . ولما توفى تكش خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزمشاه فسار على سياسة أبيه الرامية إلى توسيع حدود دولته .

وفى موضوع آخر يقول المؤلف عن المغول :

« وهكذا لم يتمكن الأتابكة فى الموصل والجزيرة من الحد من الخطر المغولى الذى تعرضت له بلادهم بل خشوا بأسهم ، واضطروا إلى الدخول فى طاعتهم ، غير أن هذه السياسة التى اتبعها هؤلاء الأتابكة لم تجد نفعاً فتعرضت بلادهم لغارات المغول التى اقترنت بالتخريب والتدمير .

وتطلع المغول إلى الزحف على مصر ليتموا بذلك السيطرة على بلاد الشرق الإسلامى وليقضوا على آخر قوة إسلامية فى استطاعتها التصدى لهم .

وأرسل هولوكو إلى سلطان المماليك فى مصر الملك قطز خطاباً يهدده فيه ، ويتوعده إن امتنع عن التسليم والإذعان له ، ويذكره بأن المغول فتحوا كافة البلاد ، ولم تستطيع أى قوة الوقوف فى وجههم ومما جاء فى خطابه : لكم فى جميع البلاد مصر ، فاتعظوا بغيركم

وأسلموا إلينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ، فنحن لا نرحم من بدى ، ولا نرق لمن شكنا وأى أرض تأويكم ، وأى طريق تنجيكم ؟ فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالطيال ، وعدونا كالرمال .. وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد ، فما من سيفونا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص .

لكن السلطان قطز لم يأبه بتهديد المغول ، بل عقد العزم على ضرورة مقاومتهم مهما كانت التضحيات ، فأمر بقتل رسل سلطان المغول وعلقت رؤوسهم على باب زويلة ، وخرج السلطان قطز إلى بلاد الشام للقاء المغول الذين اجتازوا الشام ودخلوا فلسطين ، واقتربوا من حدود مصر ، واحتلوا غزة واشتبك المسلمون من مصر والشام وبلاد الجزيرة فى رمضان ١٢٦٠م مع المغول فى عين جالوت بالقرب من نابلس فى معركة حامية الوطيس انتصر فيها المسلمون على أعدائهم بعد أن اشتدت هجمات المغول حتى أن كتب قائد المغول تحول أثناء المعركة إلى قطعة من اللهب بسبب الغيرة والغضب ، وقد أظهر المسلمون شجاعة منقطعة النظير أثناء المعركة ، ولما رأى السلطان قطز قوة بأس المغول القى بخوذته عن رأسه إلى الأرض وصرخ بأعلى صوته ، وإسلاماه ، عندئذ ثارت حماسة ضده وحمى وطيس المعركة ، وانتصر المسلمون انتصارا رائعا ومزقوا شمل المغول كل ممزق فى المعركة ، ولم ينجح من المغول إلا من لاذ بالفرار ، وفروا لا يلوون على دار ولا يركنون إلى قرار .

ومما لاشك فيه أن هذا المرجع يمثل أحد المراجع الأساسية التى كتبها المؤرخون عن تاريخ الإسلام والدول الإسلامية فى الشرق ، وقد كتبه مؤلفه بأسلوب رفيع سلى بعيد عن التعقيد ، وقد تميز بنوع من الشمولية وهو إضافة لا بأس بها للمكتبة العربية والمكتبة الإسلامية .

عرض لكتاب

« الإطار التشريعي للنشاط الإعلامي »

للدكتور / جعفر عبد السلام علي

تقديم الدكتور / عزت محمد علي البديري (*)

يأتى هذا الكتاب الهام لمؤلفه الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون الدولي ونائب رئيس جامعة الأزهر كواحد من أهم المؤلفات فى السنوات الأخيرة إذ يعالج موضوعاً حيويماً زادت أهميته بانتشار وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية واستخدام التقنية العالية فيها ، الأمر الذى استدعى المعالجة القانونية من جوانب متعددة سواء من ناحية العلاقات الدولية لأن ممارسة النشاط الإعلامى تتم عبر دول أو من ناحية الدراسات الدستورية باعتبار أن الإعلام هو أحد وسائل التعبير عن حرية الرأى كأحد الحريات الأساسية أو ما ورد فى التشريعات الداخلية من نصوص وقواعد تنظيم النشاط الإعلامى .

ويتكون الكتاب مما يقارب الأربعمائة صفحة من القطع المتوسط ، ونشرته دار المنار عام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

وقد بدأ المؤلف بالتعريف « بالمبادئ الرئيسية للقاعدة القانونية » فى الباب الأول تناول فيه التعريف بالقاعدة القانونية والتشريعية وخصائصها وأقسامها ومصادرها وخاصة التشريع والعرف .

ثم تناول المؤلف فى الباب الثانى من هذا الكتاب « الإطار الدولى للنشاط الإعلامى » مستوفياً « المشكلات الدولية للنشاط الإعلامى » فى فصل أول وبدأها بمشكلة الحرية والتعبير حيث تحار حكومات الدول عادة فى التعامل مع الإعلام القادم إليها من الخارج وخصوصاً المسموع منه والمرئى ، فهناك دول تقف ضد الإعلام الوافد بكل الوسائل الفنية لمنعنه ؛ كالتشويش أو البث المضاد ، ودول أخرى تترك للأفراد والشركات

(*) مدرس القانون الدولى الخاص - كلية الشريعة - جامعة الأزهر - طنطا .

الحرية فى استغلال الموجات والبث فى الإذاعات وإصدار الصحف كما لا تضع قيوداً على استقبال البث الوافد من الخارج . ونادى المؤلف بضرورة التمسك بالحرية كمبدأ لكن يجب أن تكون هذه الحرية مسئولة بحيث نحافظ على كيان وقيم وتقاليد المجتمع . فالإعلام لكى يقوم بدوره الدولى والداخلى خير قيام ينبغى أن يكون حراً بكل معانى الكلمة لأن وسائل الإعلام اليوم هى وسيلة المجتمع الدولى لتحقيق التعامل والتعاون بين الشعوب ولا بد من أن نطلقها من كل عقاب يقيدها دون ضرورة . فالضرورة فقط هى التى تسمح بالقيود ، بشرط أن تكون هذه الضرورة حقيقية لا وهمية وواقعية لا مضطبعة فلا توجد حرية بدون حدود تكفل أن يمارسها الكافة . ويقرر المؤلف الكبير أن حرية الإعلام قد صارت قاعدة أساسية من قواعد القانون الدولى الوضعى فى الوقت الحاضر .

ثم تناول المؤلف المبادئ التى تحكم حرية التعبير فى القانون الدولى مشيراً إلى قضية حقوق الإنسان فى نصوص ميثاق الأمم المتحدة والوثيقة الدولية لحقوق الإنسان مستعرضاً القيود الواردة فى الوثائق الدولية على حرية التعبير التى تلخصت فى أنه لا يجوز فرض قيود إلا بمقتضى القانون ويجب أن تنفى هذه القيود كفالة احترام حقوق وسمعة الآخرين وحماية الأمن القومى أو النظام العام أو الصحة العامة أو الأخلاق ثم تناول الأستاذ الدكتور / جعفر عبد السلام فى الفصل الثالث من هذا الكتاب « التنظيم الدولى لحق الاتصال بين الشعوب » فوصف العلاقة بين الإعلام والاتصال والتعاون الدولى فى مجال الاتصالات . والذى يجب أن تكون من أهدافه حفظ السلام والأمن الدوليين وإظهار أهمية التقارير بين البشر وعدم تأثيره على المساواة ، بضرورة القضاء على كافة الأسباب التى تؤدى إلى العنف ، وضرورة الاستماع إلى صوت الشعوب المقهورة ، بالإضافة إلى ضرورة تعزيز التعاون الدولى فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، واحترام حقوق الإنسان وحياته .

ثم تناول الكتاب ملحق فى التصحيح الدولى الذى يكفل الحفاظ على سمعة الدول وهيئاتها ومؤسساتها ضد الكذب والافتراء .

ثم أشار المؤلف (فى المبحث الثالث من الفصل الثالث) إلى دور المنظمات الدولية العاملة فى حقل الاتصال ، مثل منظمة اليونسكو والاتحاد الدولى للمنظمات السلوكية

واللاسلكية ، وما يمكن أن تقوم به هذه المنظمات من دور تنظيمى ورقابى فى مجال موجات الأثير على وجه الخصوص . كما تحدث عن منظمات الاتصالات فى النطاق الإسلامى وعلى رأسها وكالة الأنباء الإسلامىة ، ومنظمة اتحاد الدول الإسلامىة .

ثم يشرح المؤلف أبعاد ما يعرف به « النظام العالمى الإعلامى الجديد » وذلك فى فصل رابع (من الباب الأول) ويحلل أهم معالم هذا النظام ومنها ضرورة الاستماع إلى صوت الدول النامىة فى المشكلات الدولىة وضرورة الالتزام بالقيم الروحية فى الرسالة الإعلامىة وضرورة الاستفادة من التعاون الدولى مع المحافظة على التراث والقيم الأصلية وإقرار المسئولية الدولىة عن النشاط الإعلامى الضار .

وجاء عنوان الباب الثالث (والأخير) « الإطار القانونى للنشاط الإعلامى فى جمهورية مصرة العربىة وذلك فى فصلين الأول : التنظيم الدستورى للنشاط الإعلامى والسكانى ، والثانى : التنظيم القانونى للصحافة . وتناول الفصل الأول حرية التعبير عن الرأى فى الدستور المصرى فى مبحث أول ، موضحاً أهم ضمانات حرية التعبير فى الدستور والقيود التى ترد على هذه الحرية من ضرورة الالتزام بالمقومات الأساسىة للمجتمع المنصوص عليها فى الدستور والحفاظ على الحقوق والحريات والواجبات العامة ، واحترام الحياة الخاصة للمواطنين ، وعدم المساس بالسلامة العامة أو الأمن القومى .

ثم شرح الكتاب مسألة التنظيم الدستورى لوسائط الإعلام والمقومات الأساسىة لرسالة الإعلام .

ثم تناول الفصل الثانى (من الباب الثالث) « التنظيم القانونى للصحافة » وقرر أن مصر عرفت التشريعات التى تنظم الصحافة منذ وقت ليس بالقصير منذ عام ١٨٠٠ وحتى القانون رقم ١٤٨ لسنة ١٩٨٠ بشأن سلطة الصحافة وتناول فى هذا الفصل الأحكام المتعلقة بالصحيفة من حيث قواعد إصدارها وإلغاء نشاطها ووقفها وملكية الصحف وإداراتها والأحكام المتعلقة بالصحفيين (مبحث ثان) من حيث المبادئ الأساسىة التى تحكم مركز الصحفى وحقوق وواجبات الصحفى ومسئولية الصحفى وتأديبه سواء ما يتعلق بالمسئولية السياسىة والمسئولية التأديبىة ، ثم يلقى المبحث الثالث الضوء على الهيئات القائمة على شئون الصحافة فى مصر وعلى رأسها مجلس الشورى الذى يمارس الآن حقوق

ملكية الدولة للصحافة القومية خلفاً للاتحاد الاشتراكي وما يملكه من حقوق واسعة على الصحف القومية في تعيين مجالسها وممارسة بعض سلطات الإشراف ، كذلك يرأس رئيس مجلس الشورى المجلس الأعلى للصحافة .

ثم يتعرض الكتاب لمسألة هامة جداً تطفو على السطح السياسي والاجتماعي خاصة في مصر وهي « جرائم النشر » والتي وضعها المشرع للحفاظ على مجموعة من المصالح الأساسية للمجتمع ؛ فمنها ما يتصل بالحفاظ على شرف واعتبار الأفراد العاديين بتحريم القذف والسب ، ومنها ما يتصل باحترام الحكام والهيئات الرسمية الحاكمة أو حكام وممثل الدول الأخرى ، ومنها ما يتصل بحماية المجتمع من التحريض على ارتكاب الجرائم بشكل عام وجرائم تمس كيان الدولية بشكل خاص ، ومنها ما يتصل بحماية الخصومة الجنائية من تأثير النشر الضار بها مثل تحريم محاولات التأثير على القضاة أو الشهود أو إهانة القضاة ، ومنها ما يتصل بحماية المجتمع من نشر بعض الأكاذيب المضللة التي تضر الصالح العام أو السلم أو يكون من شأنها تركيز السلم العام (أو ما تعرف بجرائم الإفشاء والتضليل) .

القسم الخامس

وثائق

oboeikandi.com

وثائق

حول المؤتمر الدولي للسكان والتنمية

بقلم الدكتور / جمال أبو السورور (*)

تقديم:

مما لا شك فيه أن انعقاد المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة خلال الفترة من ٥ - ١٣ سبتمبر ١٩٩٤م والذي تنظمه الأمم المتحدة يعتبر حدثاً هاماً في مجال السكان والتنمية ، وأنه لمن المتوقع أن يكون لهذا المؤتمر الهام بصماته على السياسات السكانية التي تتبع في مختلف بلدان العالم .

وإناسبة صدور مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الصادر من الأمم المتحدة حسبما وافقت عليه اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي للسكان والتنمية في دورتها الثالثة التي عقدت في نيويورك في الفترة من ٢٠ - ٢٢ أبريل ١٩٩٤ إلى المؤتمر لمؤالة النظر فيه .

ولما كان المؤتمر الدولي للسكان والتنمية يضم ممثلين من جميع أنحاء العالم باختلاف دياناتهم وثقافتهم وتقاليدهم وجنسياتهم ومشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية ، فإنه من الصعب جداً إغفال هذه الخلفية المتباينة عند مناقشة مشروع برنامج عمل المؤتمر خلال جلساته .

لذلك كان من الطبيعي أن يقوم المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر بتكليف من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بدراسة مشروع برنامج عمل المؤتمر المقدم من الأمانة العامة للأمم المتحدة وإبراز النقاط التي تناولها المشروع والتي تختلف اختلافاً جوهرياً مع معتقدات وسياسات المسلمين مسترشداً بما اتخذ من قرارات وتوصيات في مؤتمرات دولية سابقة تناولت المشكلة السكانية في العالم الإسلامي واشترك في صياغة هذه القرارات عدد كبير

(*) مدير المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية .

من الدول الإسلامية ، ويصدر المركز هذه الدراسة متوجة بتعليق من لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف . ولما كان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الذي يرأسه فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر هو أعلى سلطة فقهية متخصصة بالأزهر فإنه من الطبيعي أن يتوج هذا الكتيب ببيان مجمع البحوث الإسلامية لاسيما المشاركين عند مناقشة مشروع برنامج عمل المؤتمر أثناء انعقاد جلساته .

والله ولي التوفيق

١٠٤ / جمال أبو السرور

مدير المركز الدولي الإسلامي

للدراستات والبحوث السكانية

الأزهر الشريف

بيان مجمع البحوث الإسلامية

بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للأمم المتحدة للسكان والتنمية بالقاهرة

توشك الأمم المتحدة أن تعقد في القاهرة ، خلال شهر سبتمبر المقبل ١٩٩٤ ، مؤتمرها الدولي للسكان والتنمية ، لتناقش فيه مشروع برنامج عمل أعد من قبل ، تناول في شق منه بعض أحكام الأسرة والعلاقات الجنسية بين الأزواج أو غيرهم ، ومدى الحق في الإجهاض ، وحق المراهقين في النشاط الجنسي .

والمطلع على هذا المشروع يرى أن ما زخر به من تعبيرات فضفاضة ، وعبارات مطلقة ، ومصطلحات مبتدعة ، يوحي بأنه يرمى إلى تبني نقيض ما وضعه الإسلام من مقومات أساسية للأسرة ، ويسمح بالإجهاض في غير الحالات التي تسمح فيها الشريعة الإسلامية بذلك ، ويهدف إلى حماية العلاقات الجنسية التي تثور بين الجنس الواحد أو الجنسين المختلفين عن غير طريق الزواج الشرعي ، بما يهدم القيم التي تحرص عليها الأديان السماوية جمعا ، ويؤدي إلى أن تشيع الفاحشة ، وتتفشى الأمراض الوبيلة التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي .

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، انطلاقا من تحمله تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومن دوافع مسئولته عن بيان الرأي فيما يحدث من مشكلات اجتماعية أو غيرها ، قد اجتمع في يوم الخميس ٢٦ من صفر سنة ١٤١٦ هـ الموافق ٤ من أغسطس سنة ١٩٩٤م للنظر في مشروع برنامج العمل المشار إليه ، وخلص إلى تأكيد الحقائق التالية :

أولا : فيما يتعلق بالأسرة :

إن الإسلام ليجعل من الأسرة مصدر السكينة والمودة والرحمة^(١) ويسوى فيها بين المرأة والرجل لتساويهما في الإنسانية^(٢) ويعطى لكل منهما الحق في إنشاء الزواج واستمراره ما وسعهما أن يقيما حدود الله^(٣) مع أمرهما بالصبر على ما قد يكرهون فيه

عسى أن يكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً^(٤) ، ويطلب بتنشئة الناشئة فى الأسرة على الإيمان بالله والثقة فى حكمته وحكمه ، ليكون ذلك الإيمان هو سياج الأمن والأمان لكل فرد فى خطواته من طفولته إلى شيخوخته^(٥) ، ويجعل الرجل قواماً على الأسرة بحكم مسئوليته عنها ، وتحمله عبء الوفاء بمتطلباتها^(٦) ، وحماية النفس ، وحملهم على الصلاة^(٧) ، حتى تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر فلا تنحرف بهم للطريق إلى الهاوية بقلّة خبرتهم مع كثرة الإغراءات حولهم ، وتوهج الغرائز فيهم .

ولا ريب أن هذه المقومات تتنافى مع التشكيك فى اعتبار الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع كما جاء فى المبدأ رقم « ١٠ » من المشروع ، كما تتنافى مع مطالبة الوالدين بالتغاضى عن النشاط الجنسى للمراهقين على غير طريق الزواج ، مع الرضا عن هذا النشاط واعتباره سرا لا يحق لأى منهم التدخل فيه ، بما يحمل على إغراء المراهقين بالاندفاع وراء غرائزهم ، ويعرضهم بالتالى للأمراض الفتاكة التى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى^(٨) .

ثانياً: فيما يتصل بالعلاقات الجنسية :

لا يقر الإسلام أى علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعى ، الذى يقوم بين الرجل والمرأة ، بشروط وأوضاع لا يؤتى ثماره دونها ، ويضع أغلظ العقوبات على الزنا واللواط ، ولو تم بالرضا من الرشيدين ، ويمنع المقدمات التى تفضى إليهما كالمخلوة والاختلاط الفاجر ، بل إنه ليأمر كلا من الذكر والأنثى بغض بصره حتى لا ينساق إلى طريق الغواية والضلال^(٩) ، وما ذلك كله إلا لأن الإسلام يحرص كما حرصت سائر الأديان السماوية على استقرار المجتمع على الطريق القويم الذى يكفل له القوة والمتعة صحباً ونفسياً واجتماعياً .

ومن ثم فإن مما يناقض الإسلام أن يسمح بأشكال اقتران أخرى غير الزواج ، كما تشير إلى ذلك الفقرة الخامسة من المادة الخامسة من المشروع أو بتمتع الأفراد غير المتزوجين بحياة جنسية مرضية ، كما تشير إلى ذلك المادة السابعة فى فقرتها الأولى والثانية ، أو أن تكون خدمات الرعاية التناسلية والجنسية بما فى ذلك تنظيم الأسرة فى متناول الجميع دون اشتراط الزواج كما توحى بذلك المادة السابعة فى فقرتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة .

ثالثاً: فيما يتصل بالإجهاض :

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد انتهى إلى أن الحمل محرم إسقاطه مطلقاً ، (ولو نتج الجنين عن زنى أو اغتصاب) ، إلا إذا كان هناك سبب طبي يقتضى المحافظة على حياة الأم لأنها أصل وحياتها متحققة ، وقد استقرت حياتها ، ولها حظ مستقبل في الحياة ، كما أن لها وعليها حقوقاً ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته بعد ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها (١٠) .

ومن ثم فإن إباحة الإجهاض فى غير الحالة الموضحة آنفاً ، يتناقض مع حكم الإسلام ، ولو كان تحت مسمى تنظيم الأسرة أو صحة الإنجاب أو الصحة الجنسية (١١) .

ومجمع البحوث الإسلامية إذا كان قد خص بالذكر ما يتصل بالمسائل الثلاثة السابقة ، فذلك لا يعنى أن المشروع قد برئ من مخالفة الشريعة فيما عداها فقد سرت فيه بعض العبارات التى توحى بأمر غير مقبولة ، ومن أمثلة المساواة بين الذكر والأنثى فى حقوق الميراث الذى تشير إليه الفقرة السابعة عشرة من المادة الرابعة ، وإلزام الحكومات والمنظمات غير الحكومية برفع الحد الأدنى لسن الزواج مع إتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر ، كما جاء فى الفقرة الثانية والعشرين من المادة الرابعة بما قد يفهم على أنه دعوة إلى تسهيل الدعارة .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو دول المؤتمر إلى تعديل صياغة المشروع وضبط عباراته حتى لا تشتمل ولو فى مفهومها على ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية وثبت فى قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور . ويلفت النظر بشكل خاص إلى ما حوته المادة السابعة بقرائنها المتعددة ، وما انساب منها إلى سائر أجزاء المشروع من عبارات واصطلاحات تستلزم التغيير ضبطاً للصياغة وإحكاماً لها ، ويؤكد المجمع فى هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ويوصى بالتحفظ عليه حتى لا يلزم الأمة الإسلامية بشيء منه .

شيخ الأزهر الشريف

ورئيس مجمع البحوث الإسلامية

جاء الحق على جاد الحق

الهوامش

- ١ - انظر الآية رقم ٢١ من سورة الروم .
- ٢ - انظر الآية رقم ٧١ من سورة التوبة ، والآيات أرقام ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ من سورة النجم .
- ٣ - انظر الآية رقم ٢٢٩ من سورة البقرة .
- ٤ - انظر الآية رقم ١٩ من سورة النساء .
- ٥ - انظر توصيات المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية .
- ٦ - انظر الآية رقم ٣٤ من سورة النساء .
- ٧ - انظر الآية رقم ١٣٢ من سورة طه والآية رقم ٢٩ من سورة العنكبوت .
- ٨ - انظر على سبيل المثال المادة السابعة من مشروع برنامج عمل المؤتمر في فقراته الثانية والثالثة والرابعة والأربعين والخامسة والأربعين .
- ٩ - انظر الآيتين ٣٠ ، ٣١ من سورة النور .
- ١٠ - انظر قرار مجمع البحوث الإسلامية الصادر في جلسته رقم ٧ دورة ٣٠ المنعقدة بتاريخ ١٩ شوال ١٤١٤ هـ الموافق ٣١ مارس ١٩٩٤ م .
- ١١ - انظر على سبيل المثال ما تشير إليه المادة السابعة في فقرتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة .

تعليق من لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف بمناسبة

انعقاد مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة

من القضايا الهامة التي شغلت العالم الآن قضية السكان والتنمية التي عقدت من أجلها عدة مؤتمرات .

وذلك من أجل إيجاد التوازن بين الموارد المتاحة وبين التكاثر السكاني ، الأمر الذي نادى به « مالتوس » وغيره حين رأى التباطؤ في زيادة الموارد والسرعة في التناسل .

وسيعقد في القاهرة في الفترة من ٥ - ١٣ من سبتمبر ١٩٩٤ مؤتمر لبحث هذه القضية وسيعقب انعقاده آراء وتعليقات بعضها يتعلق بالناحية الدينية ، ولهذا المؤتمر وما سبق من مؤتمرات مماثلة خطورته حيث أنه في مصر ، ذات المركز المتميز في العالم الإسلامي ، والتي ينص دستورها على أن دينها الرسمي هو الإسلام ، والتي فيها الجامع الأزهر الشريف القائم على دراسة الدين ونشر تعاليمه في العالم أجمع .

ومن هنا رأى الأزهر بحكم مركزه الديني ورسالته التي ظل يؤديها أكثر من ألف عام بيان موقف الدين من هذه المؤتمرات وما انتهت إليه وما أثير حولها من تعليقات فشكل لجنة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ومن الخبراء ذوى الكفاءة الممتازة في هذا الموضوع حيث استعرضت التوصيات التي صدرت عن تلك المؤتمرات ، والآراء التي قيلت حولها كما اطلعت على مشروع برنامج أعمال هذا المؤتمر الذي سيعقد في مصر في سبتمبر ١٩٩٤ .

وتعليقاً على برنامج عمل المؤتمر تقرر لجنة الفتوى ما يأتي :

١ - الإسلام دين لا يعارض سنة الله في التطور ، بل يدعو إلى التنمية الشاملة للإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض ، وذلك تحت مظلة الهدى الديني الذي توارثته البشرية من يوم أن أهبط آدم إلى الأرض حيث قال له ربه ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ .

وفي نصوص الإسلام وهو الدين الخاتم الصالح لكل عصر ومكان ما يدعو إلى الترقى والأخذ بالأحسن من كل شئ مقررًا أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، أما بالحرص على كل ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه .

- ٢ - فى مجال التنمية الاقتصادية دعا إلى العمل المتواصل ، مراعيًا التنسيق بين العبادة وابتغاء الرزق طلبًا للغنى من طرقه المشروعة ليحقق للإنسان كرامته ويساعده على أداء رسالته الإصلاحية منفردًا من الفقر الذى يسلم إلى الذلة والمسكنة أو يدعو إلى سلوك طرق منحرفة .
- ٣ - يؤكد الإسلام أن الثروات التى خلقها الله فى الكون لا تنفذ ، فقد ضمن الله العلى الحكيم والرحيم الرزق لكل دابة فى الأرض قبل أن يخلقها ، وجعل السبل إليه مذللة وأمر بالبحث عنه فى كل مظانه فى البر والبحر وفى كل مكان .
- ٤ - فى الوقت الذى يدعو فيه الإسلام إلى العمل الجاد المنتج وابتغاء الرزق من مظانه المشروعة يدعو إلى حسن استخدام الثروة بتوجيهها إلى المجالات المشروعة فى اعتدال لا تقتير فيه ولا إسراف ، يضع كل شيء فى موضعه ، مراعيًا الأولويات التى تفرضها ظروف الزمان والمكان .
- ٥ - وضع الله هذه السياسة التنموية ، وكلف بها الإنسان من حيث هو إنسان ، لا فرق بين رجل وامرأة وكبير وصغير ما دامت عنده الأهلية والكفاءة مع مراعاة التنسيق بين الجهود والإمكانات ، ووضع الشخص المناسب فى المكان المناسب لضمان أن يكون إنتاجه وتصرفه على الوجه المطلوب .
- ٦ - ليس ترشيد الاستهلاك وحسن استخدام الثروة قاصراً على الحد من التناسل ، فالتناسل لازم لمتابعة المسيرة الإنسانية إلى أن تقوم الساعة ، فهناك أمور أخرى لها خطورتها البالغة فى تبرير الثروة وضياع الجهد الإنسانى ، كالإسراف فى المتع والكماليات وتجاوز الحدود المشروعة فى السلوك كالتنافس المسعور فى التسلح والغلب ، وابتكار كل الوسائل وتجنيد كل العقول من أجل بسط النفوذ والسلطان ، وشن الحروب التى تستنزف جهود البشر فى التنمية ويعانى من آثارها السيئة الغالب والمغلوب على السواء وكان الأولى أن توجه تلك الجهود إلى توفير الحياة الكريمة للكادحين .

٧ - وإذا كان الإسلام يوافق على الحد من التناسل فهو بصفة مؤقتة ، حتى تفر الأزومات التي خلقها طغيان العقل البشرى ويعود الإنسان بعد ذلك إلى مباشرة مهمته بشكل طبيعى كما أراد الله .

٨ - لا يوافق الإسلام مطلقاً على الإجهاض سواء كان الحمل من زوج شرعى أو من زنا ، اللهم إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك كالإبقاء على حياة الأم الحامل ، والضرورة تقدر بقدرها ، كما لا يوافق على التعقيم النهائى الذى يعطل وظيفة الرجل أو المرأة فى المحافظة على بقاء النوع الإنسانى .

٩ - أولى الإسلام العناية بالأسرة اهتماماً كبيراً ، فهى الخلية الأولى فى جسم المجتمع ووضع لها من التشريعات ما يكفل أمنها واستقرارها ويساعد على أداء مهمتها ، تحت إشراف مسئولية لازمة لكل جماعة تتعاون على خير أفرادها ، تتبادل فيها الآراء وتوزع الجهود ، مع انسجام خالص من أجل مصلحتها ومصلحة الجماعات الأخرى التى تتعاون كلها لمصلحة المجتمع البشرى .

١٠ - الأسرة المستقرة المنتجة هى التى تقوم على أساس الزواج الشرعى الذى يحافظ على بقاء النوع الإنسانى ، ويربى الأجيال فى بيئة تعرف للحقوق والواجبات قدرها وتسهم بصدق فى خير البشرية .

١١ - الإسلام يدعو بقوة إلى تربية النشء تربية كاملة تؤهله لحمل رسالة من بعد أبويه ، ويحمل الوالدين فى المرتبة الأولى مسئولية هذه التربية ، القائمة على وضع المنهج الصحيح للسلوك ، والإشراف على تنفيذه بدقة ، ولا يوافق أبداً على ترك الحرية للنشء يفعل ما يشاء دون رقابة ورعاية ، وبخاصة فى المراحل الخطيرة من حياته ، ولا بد من تعاون كل الأجهزة فى الدولة على أداء الواجب فى هذا المجال ، فالسلوك له عدة مؤثرات ذاتية وخارجية ، ولا بد من تنافسها لتسير فى خط واحد دون إهمال وتقصير ودون تعارض بالسير فى اتجاه مضاد .

١٢ - الإسلام لا يفرق بين الذكر والأنثى فى وجوب التربية والرعاية ، فهما الركنان الأساسيان فى بناء المجتمع ، ولم يفرق بين الرجل والمرأة فى وجوب أداء الواجبات المنوطة بكل منهما وفى الحفاظ على الحقوق التى نظمها الدين على أساس الاستعدادات والإمكانات المتاحة والمسئوليات الملقاة على عاتق كل منهما ، وعلى أساس التعاون المشترك لخير الأسرة وخير المجتمع ، ومجال النشاط لكل منهما فى التنمية فى داخل البيت وخارجه واسع ، والميدان مفتوح لكل من يريد ، ومع مراعاة التنسيق الذى لا يطفى فيه واجب على واجب .

١٣ - الإسلام يوجب تعليم الكبار والصغار على السواء ، الآداب التى تحمى السلوك من الانحراف ويجعل للقدوة أثرا كبيرا فى هذا المجال .

هذه بعض التوجيهات التى يجب أن تراعى عند مناقشة المسائل المعروضة على مؤتمر السكان والتنمية ، يقدمها الأزهر قياما بواجبه الذى درج عليه مئات السنين .

والله ولى التوفيق ...

قائمة المحتويات
للعدد التاسع والعشرون ،
من مجلة رابطة الجامعات الإسلامية

رقم الصفحة	الموضوع
	القسم الأول : البحوث والدراسات الرئيسية
١١	- السوق الإسلامية المشتركة في إطار فكرة الوحدة الإسلامية د . جعفر عبد السلام
٣٩	- ملامح إطار جديد للتعليم في الدول العربية في ضوء المتغيرات العالمية والإقليمية د . جمال على خليل الدهشان - جامعة التوفيقية
٦٥	- الوقت الذي تتحقق فيه الوفاة : المعايير الطبية لتحديده ، والنتائج الشرعية المترتبة عليه د . سعيد سيف النصر - كلية الشرطة بمصر
٨٧	- آثار الزكاة على التنمية الاقتصادية د . على بو علا - جامعة فاس بالمغرب
١١٧	- المشاركة السياسية بين أزمة الديمقراطية وخلق آليات تفعيل نظام الشورى د . أسعد عبد المجيد - كلية العلوم القانونية - الدار البيضاء بالمغرب
١٢٩	- الجسواتب التبريرية في فكر ابن خلدون د . عليان عبد الله الحولى - الجامعة الإسلامية - غزة
١٧٧	- البيئة الأسرية وتنمية التفكير الابتكاري للإناث د . سليم محمد الشايب - جامعة قناة السويس
١٩٣	- البناء القيمي للعمال المشتغلين في مجتمع المصنع د . خالد البدرأوى محمد - كلية تربية العريش - جامعة قناة السويس
	القسم الثاني : نشاط الرابطة
٢٥٧	- تقرير عن ندوة العالم الإسلامي والتحدى الحضارى إعداد د . عزت البحبرى
٢٦٧	- تقرير عن : التحديات التربوية التى يمكن أن تواجه العالم الإسلامى فى القرن الحادى والعشرين إعداد أ . د . محمود شوق

**تابع قائمة المحتويات
للعدد التاسع والعشرون ،
من مجلة رابطة الجامعات الإسلامية**

رقم الصفحة	الموضوع
٢٧٣	- تقرير عن مؤتمر : الدراسات الإسلامية عند غير العرب إعداد د. عزت البحيري
٢٧٧	- أهم توصيات ندوة : التحديات الاجتماعية التي تواجه الأمة الإسلامية خلال القرن القادم
القسم الثالث : التعريف بالأعضاء	
٢٩٣	١ - جامعة الرقازيق
٢٩٥	٢ - جامعة قطر
٢٩٦	٣ - جامعة الإمام الأوزاعي بلبنان
٢٩٧	٤ - جامعة القرويين بالمغرب
٢٩٩	٥ - جامعة مرمرة بتركيا
القسم الرابع : إصدارات جديدة	
٣٠٣	- الدول الإسلامية المتقلبة في الشرق عرض د. عز الدين إسماعيل أحمد
٣٠٧	- الإطار التشريعي للنشاط الإعلامي عرض د. عزت البحيري
القسم الخامس : وثائق	
٣١٣	- حول المؤتمر الدولي للسكان والتنمية د. جمال أبو السرور ، مدير المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية
٣١٥	- الأزهر الشريف : بيان مجمع البحوث الإسلامية بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للأمم المتحدة للسكان والتنمية بالقاهرة
٣١٩	- تعليق من لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف ، بمناسبة انعقاد مؤتمر السكان والتمنية في القاهرة